دار الثقافة

كريج س. كيينر



قضايا الطلاق والزواج

لنتزوج ثانيةً

قضايا الطلاق والزواج

بقلم

كريج س. كيينر

ترجمة

بهيج يوسف



And Marries Another

By : Craig S. Keener

This book was first published by Hendrickson Publishers, Inc.

Translated by permission and published in Arabic , 1996

طبعة أولى

لنتزوج ثانية

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٦٩٥ ط١ / ١-١ / ١٩٩٦

رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٠٩٩١ / ٩٦

I.S.B.N 977 - 213 - 336 -9

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

تصميم الغلاف: سها ناجى

مقدمة الدار

«لا يكفى أن نؤكد ببساطة أن يسوع قال قولاً ما، بل يجب أن نضع ما قاله فى قرينته لنعرف كيف فهم الناس يسوع قبل أن نفرض تعاليمه على الآخرين». هكذا أشار الكاتب إلى هدفه من كتاب لنتزوج ثانيةً.

ودار الثقافة تقدم هذا الكتاب لكل من يريد أن يقبل تعاليم يسوع من منطلق الدراسة والفحص، لأن يسوع لم يعط أوامر ولم يقم بإملاء شريعة دوّنها كُتّاب الأناجيل، ولكنه تكلم بأسلوب يسهل لسامعيه فهمه، ولذلك استخدم أسلوب عصره وتشبيهاته وقوالبه الأدبية، وهذا ما يجب بحثه لكل من يريد أن يأخذ المسيح مثالاً، ويتبع تعاليمه دون أن يعطى لنصوص الإنجيل معان أكثر مما تحتمل، ودون أن يقع فى خلط ما يوافق بما لا يوافق.

إن قراءة الكتاب المقدس فى ظل تلك الحقائق يلقى أضواء رائعة على هذا الكتاب الفريد، ويمتع القارىء باكتشاف حقائق ثمينة تثرى حياته وخبراته ومعرفته بكتابه المقدس وبإلهه الذى يحدثه بين صفحاته.

دار الثقافة

قائمة المحتويات

مقدمة

يعكس هذا الكتاب العديد من الاهتمامات كما تعودت أن أفعل فى كل كتاب أكتبه ، وذلك لحرصى على نمو الفهم للأسفار المقدسة والقدرة على تفسيرها ، وتطبيقها على ظروفها فى الوقت الحالى .

وهذا الاهتمام يرجع إلى سنوات الدراسة الطويلة للكتاب المقدس وعالمه ، ويظهر هذا فى توثيق الملاحظات الختامية لكل من يرغب فى فحصها .

والهدف الرئيسى لهذا الكتاب بالذات ، ليس هدفاً دراسياً بل رعوياً فكثيراً ما يُصاب العديد من الاشخاص المحبين والرحماء بالجروح من شركاء حياتهم الذين وثقوا بهم ، ثم يجرحون مرة أخرى من الإخوة المسيحيين الذين لا يعرفون كيف يتصرفون مع مثل هؤلاء الأشخاص . ولم تطلب الكنيسة من الكثيرين الذين اخطأوا فى حق شركاء حياتهم ، وذلك بتطليقهم دون أساس كتابية أن يتوبوا ... فالطلاق مأساة وكثيراً مايكون تجاوب الكنيسة المرتبك تجاه هذه المأساة سبباً فى زيادة تعقيدها .

ففى المجتمع الذى أعمل فيه راعياً يوجد نقص كبير فى عدد الشبان العزّاب ، لذلك فإن بعض الرجال يشعرون أنهم يمكن أن يمارسوا علاقات عابرة مع النساء ، وتبذل الزوجات كل الجهد للمحافظة على البيت ثابتاً ، بينما يراوغهن الأزواج أو يدمنون المخدرات . أما رفيقاتهم فلا يحصلن إلا على طفل (غير شرعى) ، ولحسن الحظ فإن المجتمع المسيحى أكثر حرصاً من المجتمع المحيط به ، من حيث الاقتصار على زوجة واحدة ، لكن لأن العديد من المؤمنين الجدد الذين سبق لهم أن اختبروا العلاقات المحطّمة ،

يقبلون إلى المسيح يوما ، لذا فإن موضوع العلاقات المحطمة أصبح موضوعا علينا أن نواجهه طول الوقت .

في مجتمعات أخرى غالباً ماتكون الزوجة هى التى تترك زوجها ، وقد يكون ذلك تحت ضغوط رجال الدين ، أو ربما بسبب الخروج خارج إطارات تعاليم الإنجيل ، وأحياناً يكون السبب هو عدم تدقيق أحد الطرفين عند اختيار شريك الحياة ، أو أن يتم الزواج قبل أن يتجدد أيهما ، وأحياناً يدير أو تدير أحدهما ظهره لأسلوب الحياة المسيحية رغم أمانة الطرف الأخر فى السير مع الله ، وأمانته للحياة الزوجية ... أيا كان السبب فهناك الكثير من الزيجات المحطمة بحيث لايمكن تجاهلها .

وأنا فى هذا الكتاب سوف أمزج بين اهتماماتى الرعوية ، وبين الأبحاث التى تهدف لدراسة الحضارة التى كانت سائدة أيام كتابة موضوعات الطلاق والزواج تمهيداً للكتابة فى موضوع الطلاق والزواج مرة أخرى فى الكنيسة اليوم .

لماذا نؤكد على تأثير الحضارة

لقد حرص الأسلوب التقليدى عند الإنجيليين على التركيز على الأسلوب (اللغوى التاريخى) ، وفى العصور الحديثة اهتموا بنموذج (النقد التاريخى) ، وكنا ندرك دائماً أن فهم الخلفية الحضارية أمر حيوى لفهم الكتاب المقدس فهماً أوفى ، ومع ذلك فإنه بالرغم من الفيض الغزير من الترجمات والمعونات الدراسية عند أغلب الكنائس فإن الكنائس أو أقسام التعليم المسيحى لم يقدما المساعدة الكافية للمسيحيين ، لكى يستطيعوا فهم ما تقصده نصوص العهد الجديد ، وكيف يمكن الانتقال من ماقصده فى تلك الحضارة إلى ما يقصده فى حياتنا اليوم ، ويتضح عدم الاهتمام هذا

من خلال عدم الاهتمام بتدريس تلك الموضوعات في كثير من المعاهد التى يتلقى فيها الرعاة علومهم وتدريباتهم .

ولن يلخص هذا الكتاب القرينة الحضارية لزمن العهد الجديد فإن ذلك يتطلب كتاباً آخر . لكن كتابنا هذا يلفت الأنظار فقط إلى موضوعات الطلاق وإعادة الزواج فى العهد الجديد ، ويحاول أن يضع الفقرات المتعلقة بها في العهد الجديد فى قرينتها التاريخية .

لكن لماذا كان وضع النصوص فى قرينتها الحضارية الصحيحة لازماً لفهمها ؟ لأن القرينة التى نقرأ من خلالها نصاً ما ، تؤثر فى طريقة فهمنا له . فإن كلمة (الرب) لاتعنى نفس المعنى فى خدمات الكنيسة فى تسبحة (هار كريشنا)

والاحتجاج ضد تشغيل الأطفال كان يعنى فى زمن الثورة الصناعية فى انجلترا شيئا أخر غير مايعنيه تلميذ المدرسة الابتدائية حين يبرر سبب عدم أدائه لواجباته المنزلية . وبنفس الطريقة فإن الكثير من تعاليم يسوع قد خصصت موضوعات معينة ، وقبلت بطرق حضارية لوقتها .. وفهم هذه الموضوعات ، وطرق الحديث يمكن أن تزيد من قدرتنا على التقاط ما قصده يسوع حقاً ، وكيف يجب أن تؤثر تعاليمة فى حياتنا اليوم .

كل منا يدرك أن بعض النصوص مخصصة للمواقف التى وجهت لها أصلا : فمثلا لايمكن لأحدنا أن يأخذ وصية بولس لتلميذه تيموثاوس بأن يحضر الرداء الذى تركه فى ترواس (٢ تى ٤ : ١٣) كأنه وصية له شخصياً . ويمكنك أن تتخيل لو أن كلاً منا قام برحلة إلى ترواس فى محاولة جادة للعثور على رداء القرن الأول ، وما يتبعها من محاولة تحديد هوية الرداء ، وفيما إذا كان هذا الرداء هو رداء بولس ، وأخيرا لو أنه نجح

فى ذلك فكيف يمكنه أن يعطيه لبولس ؟ إن هذه حقاً وصية يستحيل علينا أن ننفذها اليوم .

لكن أسفاراً بالكامل من الكتاب المقدس تواجه حالات محددة . ألم يقل بولس - بوحى الروح القدس - فى (رو ١ : ٧) إنه يكتب [إلى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعوين قدسين] ؟ وألا يعنى ذلك أنه يخاطب مواقف معينة فى روما ؟ ألم يستخدم اللغة اليونانية وأساليب التحدث بها بصورها البلاغية ؟ وبنفس الطريقة : ألا تجيب رسالة (١كو٧) على أسئلة الكورنثويين نقطة بنقطة ؟ كما أن (متى) و (بولس) يعطيان توجيهات مختلفة فيما يتعلق بموضوع هذا الكتاب ، لأنهما كانا يخاطبان قراءً مختلفين فى ظروف مختلفة . وفى النهاية فإن كل ما جاء فى الكتاب المقدس له خلفية حضارية بغض النظر عما إذا كانت تهم بعضنا ، فإن الله لم يختر أن يعطينا كتاباً يحوى بيانات تطبيقية آلياً فى كل لغة وثقافة ، دون ترجمة أو تفسير . بل أنه فعل شيئاً أكثر تعقيداً وأكثر إقناعاً من ذلك بأن أعطانا كتاباً عامراً بالقصص التاريخية والرسائل والنّبوات التى وجهها الله لشعوب محددة تعمل بطرق محددة . هذا النوع من الكتب يمكن أن ترتبط وتنتسب إليه معظم حضارات العالم ، وعندما نقرأ هذه القصص والرسائل والنبوات ، باعتبارها حالات ندرس من خلالها الكيفية التى تكلّم الله لشعوب تعمل بطرق معينة . نستطيع أن نعرف نحن أيضاً ما يريد أن يقوله لنا اليوم .

نحن لا نعرف كل شىء عن طريقة تفكير النّاس ، أو أسلوب كلامهم فى القرن الأول ، ومع ذلك ، ومع عدم معرفتنا للخلفية الكاملة فإنه من المهم أن نقرأ النصوص الكتابية على أساس أن الله كان يتكلم أولاً عن احتياجات

قرّائه المعاصرين لزمن الكتابة ، وعندما نقرأ الكتاب المقدس والطريقة التى كُتب بها نجد أن الله يواجه مواقف محددة عن طريق خدامه الموحى إليهم، وهذا أصوب من مجرد ترديد آيات معينة لتأييد وجهات نظرنا فى المجادلات ، دون مراعاة ما هو المقصود من هذه النصوص ، ويمكننى أن أثبت بالدليل القاطع ماجاء فى هذا الكتاب بنفس الطريقة التى أثبت بها المدافعون عن الجانب الآخر دعاواهم ، وذلك باقتباس آيات معينة من الكتاب ـ لكننى فضلت أن أكتب كتاباً يتعامل مع الفقرات الكتابية موضوع البحث ، مع توجيه الانتباه إلى القرائن التاريخية والحضارية التى أحاطت بكتّاب الأسفار الموحى إليهم لكى نستطيع أن نفهم ماكانوا يقصدونه بطريقة أفضل ، وأعتقد أن هذه هى أفضل أساليب الدراسة الإنجيلية .

كيف تمت كتابة هذا الكتاب

هناك طرق مختلفة لكتابة الكتب ، فكتب الدراسات التى يقُصد بها المناقشة على المستوى العلمى يتم كتابتها بطريقة مختلفة تماماً عن الكتب العامة التى قصد بها مناقشة أمر شائع ، وهناك أساليب كثيرة تندرج بين هذين النوعين . وآمل أن يحتل هذا الكتاب مكانه اللائق به عند علماء الكتاب المقدس عند أولئك الأوفياء للكتاب المقدس الذين ليس لديهم سوى القليل من الدراية اللاهوتية ، أما المادة الأدبية للدراسات نفسها فتعطى معلومات ثقافية أقل بكثير من الكتاب المقدس نفسه ، كما أنها ليست موحى بها ، لكن حيث يقوم الدارسون بتزويد القراء بالرؤية التاريخية والثقافية التى تساعد على فهم الكيفية التى قرأ بها القرّاء الأولون العهد

الجديد ، فإننا نكون مدينين لهم ، وقد اعتمدت فعلاً على بُعد نظرهم وإدراكهم لذلك . وعليه فإن هذا الكتاب قد أرجأ معظم الملاحظات الفنية والإشارات المحددة للكتب والمقالات إلى الملاحظات الختامية كما استبعدت اللغة اليونانية وهى لغة العهد الجديد بقدر الإمكان ، وحيث أشرنا إلى مراجع أو مصادر يهودية أو يونانية أو رومانية - لم أفترض أن القارىء معتاد فعلاً على اللغة الفنية التى يستخدمها المؤرخون للعالم القديم ، لذلك فقد اضطررت أحياناً إلى التضحية بالدّقة اللغوية لصالح الوضوح فى التعبير بالنسبة للقارىء ، كما تفاديت معظم المناقشات حول المؤلفين والتاريخ والمسائل التمهيدية الأخرى التى يمكن أن تحول الأنظار عن الموضوعات الرئيسية التى يتعامل معها الكتاب .

ومن جهة أخرى ، قصدت أن أشرح القرائن الحضارية والثقافية الموجودة خلف نصوص العهد الجديد ، والموضوعات التى يبدو أن الكتّاب كانوا يواجهونها لكى أزود القارىء بالمعلومات التى لايستطيع معظمهم أن يصلوا إليها ، أما الملاحظات الختاميه فهى لازمة لتجسيد الموضوع وتزويده بالمصادر لمن يرغب فى فحص المعلومات فحصا أوفى - لكن القارىء ليس ملزما بالرجوع إلى الملاحظات الختاميه لمتابعة مناقشات الكتاب .

وجميع محتويات هذا الكتاب هى نتائج أبحاثى الخاصة ، كما أن الإحالات إلى نصوص قديمة مأخوذة من دراستى لهذه النصوص (سواء فى لغاتها الأصلية أو مترجمة) إلا إذا ذكرت مايخالف ذلك - وفيما عدا أعمال (بات هاريل Pat Harrell) فى عام ١٩٦٧ التى توازت أبحاثه مع أبحاثى فقد تجنّبت استعراض الكتابات الثانوية عن هذا الموضوع إلى أن أنتهى من هذا الكتاب ... وكما هو الحال عادة عندما يواصل الإنسان

أبحاثه الخاصة وجدت أن بعض أعمالي تغطى الأرضية التى سبق أن غطاها الآخرون ، بينما وجدت أن بعضها جديد تماماً ، فقد كتب عدد من الإنجيليين المحافظين كتباً يدافعون فيها عن موقف مشابه لموقفى الذى أشرحه فى جملة وهى : يجب تجنب الطلاق . إلا أن هناك ظروفاً معينة يكون الطلاق وإعادة الزواج مرة أخرى أمراً مقبولاً. لدرجة أن معارضى هذا الموقف يصفونه بأنه (إجماع إنجيلى) إن كثيراً ممن أعرفهم من ذوى الخبرة المحدودة بالإنجيل ، ولم يتح لهم أن يسمعوا من على منابر كنائسهم تفصيلات هذا الموضوع ، يدركون أن الكتاب المقدس يسمح بالزواج مرّة أخرى فى ظروف معينة . وهم مسيحيون أتقياء ولا يمكن أن نعتبرهم من الفئات المتجاوبة مع الحضارة وليسوا مع الحضارة المتفسخة ، وهم على معرفة ما بالكتاب المقدس ويستطيعون أن يستشهدوا بأجزاء محددة من النص الكتابى ويؤكدون أنها تسمح بإعادة الزواج .

يختلف هذا الكتاب عن معظم الكتب السابقة فى أنه يحتوى على تأكيد واضح على الخلفية الحضارية ، ويختلف عن بعض الدراسات السابقة فى اختصاره النسبى وفى نوعية قرآءه ، فهم إنجليون محدودون ، وفى تفضيله للقرينة التاريخية الحضارية على التفصيلات اللغوية أو التدخل الضمنى مع المصادر الثانوية ، كما أنه يختلف فى السوق الأوسع الذى زوده به دار نشر (هندريكسون Hendrickson) بكل كرم .

يمكن تناول هذا الكتاب من إحدى زاويتين اعتماداً على العدد الغالب فى الكنيسة ، والذى يهمه الموضوع .

فى أغلب الكنائس يحظر على الطرف البرىء فى الطلاق أن يتزوج مرة أخرى ، ولن أذكر أسماء الطوائف لكن معظم القرآء الذين يألفون الموضوع

يفكرون فى طوائفهم الخاصة ، وأعرف عدداً كثيراً من المسيحيين الذين جرحتهم العديد من هذه الطوائف بمواقفها غير الواقعية وغير الكتابية عن الطلاق وإعادة الزواج ، وأنا أعرف كنيسة نِصف أعضائها من المطلقين سواء بسبب اختلاف أسلوب الحياة قبل تحولهم إلى المسيحية ، أو لأن الطرف الآخر هجرهم ، لكن هؤلاء الأشخاص لن يتولوا منصباً قيادياً فى كنائسهم لو أنهم تزوجوا مرة أخرى ، بغض النظر عن مدى تقوى حياتهم الحاضرة .

إن وجهة النظر الغالبة فى الكنيسة تنظر إلى الطلاق على أنه مأساة ، إلا أنه غالباً ما يكون نتيجة لا يمكن تجنّبها للعيش فى المجتمع الحديث . بالإضافة إلى أن الكنيسة لا تقوم بعمل شيء لتأديب وتصحيح الطرف المخطيء إن الكتاب يحذر من القضاة الظالمين الذين يبرئون المذنب ويحكمون على البرئ ، فكلاً التصرفين خاطئ ولا ويجب التسامح مع أى منهما وكما هو معروف عن موقف كنائسنا إن الطلاق المبنى على غير أسس الأسفار المقدسة هو موضوع تأديب كنسى ، لكن الأطراف البريئة فى الطلاق تحتاج أن ينظر إليها برحمة وتشجيع ، لا أن تعاقب عن خطية لم ترتكبها .

وهذا الكتاب موجه بالذات إلى الذين يحكمون أو يعاقبون الطرف البريء . فواضح أن العديد من حالات الطلاق (مثل تلك التى يتفق فيها الطرفان على الطلاق على أساس عدم الانسجام) ليس فيها طرف بريء وواضح أيضا ، بنفس الدرجة ، أن الكثير من حالات الطلاق فيها طرف بريء طبقا للأسفار المقدسة . ويجب ألا يفهم من القول أنى أكتب هذا الكتاب خصيصاً لأواجه الظلم الناتج عن إدانة الطرف البريء . إنى أعتقد أن الأسفار الإلهية لا تعطى الطلاق مكانة قوية ، بل أن الأسفار صريحة جداً فى تحريم الطلاق فى الظروف العادية ، وأنظر إلى هذا على أنه أحد

المعطيات . أما الموضوع الذى يعتبر محل اختلاف فهو ماذا يجب أن نفعل للطرف البرىء أو للطرف الآخر الذى أبدى التوبة ، ويريد أن يعيد الأوضاع إلى سابق عهدها .

سوف تتركز المادة الرئيسية لهذا الكتاب فى تحليل الفقرات الرئيسية موضوع الدراسة فى (متى ٥ : ٣٢) وقرائنها و (متى ١٩ : ٩ ، ١كو ٧، ١تى ٣ : ٢)سوف احتفظ بمعظم ملاحظاتى الشخصية حول كيفية تطبيق هذه المعلومات للفصل الختامى فى هذا الكتاب ، وكما أقدم هذا الكتاب مصحوباً بالصلاة أن تأتى رسالته بالشفاء للعديد من أولئك المجروحين فى جسد المسيح ، وعلىّ أن أعبر عن امتنانى وتقديرى إلى (باتريك الكسندر Patrick ALexander) المحرر لما قدمه من مقترحات وتصحيحات مفيدة ، أما الأخطاء الباقية فأنا مسئول عنها ، وأود أن أهدى هذا الكتاب إلى (بن أكر Ben Aker) أستاذى السابق الذى علمنى أولا أن دراسة الكتاب المقدس يمكن أن تكون أداة فعّالة بالنسبة لمحبى (الكلمة) الغيورين .

١ - السؤال التمهيدى
مامدى صلة هذا الكتاب بالموضوع ؟

لماذا يطرح فى السوق المسيحية كتاب أخر عن الطلاق وإعادة الزواج ؟ لأن الموضـوع مُلح حـتى أن كـثـيـر من كنائس المسـيـح فـشلت فى تحـمـل المسئولية . فمن جهة أصبح من السهل جداً ترديد بعض نصوص كتابية تستخدم فى تنفيذ الحكم على حياة الأشخاص أو خدمتهم ، ومن جانب آخر يتم تجاهل نصوص معينة ، والتغاضى عن طبيعة الطلاق المأسوية الرهيبة وبذلك تندمج الكنيسة وتذوب فى القيم المزيفة لمجتمع أمريكا الشمالية الحديثة .

عندما بدأت تدريبى فى كلية الكتاب المقدس تقابلت مع إخوة وأخوات تم طلاقهم قبل تحولهم إلى المسيحية ، إلا أنهم شعروا بالدعوة للخدمة بعد تجديدهم ، ورغم أن معظم الطلبة الذين عرفتهم كانوا يتعاطفون معهم إلا أن معظم الأساتذة قالوا لرعاة المستقبل إنه عليهم التخلى عن دعوتهم ، لأن كنيستهم المحافظة جداً لن تصرح لهم بالعمل كرعاة ، وبذلك تقع تلك الفئة التى أقدمت على الطلاق قبل تجديدها ، وتريد الآن تلبية دعوة الخدمة فى ورطة ، فإن معظم المناطق لاتريد راعياً أعزباً ، لكن الطائفة تحرم المطلقين من الزواج مرة أخرى تحت أى ظرف من الظروف .

ولا يبدو لى أن الأسفار المقدسة كانت تستخدم بالكامل هنا ، فماذا عن غفران الخطايا السابقة ؟ كيف كان تعاملنا مع مدمنى المخدرات والملحدين (الذين كنت واحدا منهم) أو حتى المقاومين للمسيحيين ومضطهدى المسيحية وقتلة أخوتنا وأخواتنا فى المسيح مثل الرسول بولس ؟ وكيف تعاملنا مع أولئك الذين تورّطوا فى علاقات جنسية ، ولم يرتبطوا بالتزام

رسمى قط ومع ذلك لا يحرمون الأن من الزواج والخدمة؟ لقد كان معظم معلمى الكتاب المقدس متفقون معى فى رأيى ، أما الذين أرادوا أن يسووا المسائل المعقّدة باقتباس كتابى بدون قرينة لمجرد أن يتمسكوا بنصوص تدعمهم فكانوا أقلية ، ورأوا أن يصرفوا النظر عن حياة وخدمة الآخرين الذين دعاهم الله أيضا (بنفس الطريقة) كما سبق أن دعا غيرهم ، فلا ضير إذا من إمكانية تسخير هذه النصوص نفسها فى مواقف مضادة لمواقفهم ، ولا ضير من لجوء بعض الجامعات المسيحية إلى قواعد العماد أو أية تفاصيل أخرى لتثبت أن هؤلاء المعلمين أنفسهم لم ينالوا الخلاص ، فكل ما يحتاجونه لإثبات ذلك هو مجرد بعض النصوص التى تؤيد أراءهم ولاشىء غير ذلك .

شعر أحد الإخوة فى كنيستى المحلية بأنه مدعو للخدمة ، وجاء إلى كلية الكتاب المقدس وكانت له الشجاعة لدراسة الكتاب طبقا لما جاء فيه وليس مايقوله الأخرون ، وكنت أحترمه لأجل هذا ، وقبل تجديده كان متزوجاً لكن زوجته لم تكن أمينة له ، وبالتالى قيل له أنه لا يستطيع أن يصبح راعياً للكنيسة ، فما كان منه إلا أن تحوّل عن مذهبه إلى مذهب آخر كما فعل كثيرون غيره من قبل . هؤلاء المؤمنون الذين سبق طلاقهم دمرّهم رفض كنائسهم ولأنهم لم يستطيعوا التأقلم مع غيرهم من المذاهب فقدوا رسالتهم وخدمتهم ، بل أننى أشعر أن البعض منهم ، إذ لم يجدوا ترحيباً فى كثير من الكنائس ، تركوا الكنيسة بأكملها ، وعموماً يمكن القول بأن « كل من لايستطيع الصمود فى المحاكمة فهو مسيحى غير جدير بمسيحيته » لكن يسوع لم ينطق بكلمة من هذا عندما حذّر بعقاب كل من يتسبّب فى عثرة أحد هؤلاء الأصاغر . أو الذى يرد الناس عن الملكوت بدلاً من أن يذهب

وراءهم لنجدتهم لكى يقدم لهم العلوفة الروحية .

وبدراستى التفصيلية للكتاب المقدس ، توصلت أخيرا إلى استنتاج طالما قاومته قبل ذلك ، وهو أننا يجب أن نقرأ الكتاب المقدس فى ضوء خلفيته الثقافية والحضارية ، ولكن كلما ازدت شوقاً لمعرفة حق الله ، وازدت حماساً للتوصل إليه ، زاد إحساسى بالرعب بسبب جهل الكنيسة بالأسفار المقدسة واستخدامها للنصوص المؤيدة لوجهة نظرها باستهتار للحكم على الناس دون حساسية ، سواء للنص أو للموضوعات الرعوية التى تتناول حياة هؤلاء الناس ، وكلما ازدت مواجهةً للنص بمعرفة ما قاله ، كلما ازدت اقتناعاً أنه قد حان الوقت لإدراك مدى زيغاننا عن تعليمه ، وعلى أساس مجموعة صغيرة من النصوص تقوم بعض الكنائس من جهة بإقصاء الأشخاص المطلقين من الخدمة بغض النظر عن الخلفيات ، وبينما نرى تكرار إدانة العهد الجديد للمادية فإن كنائسنا ، بل ورجال الدين أنفسهم كثيراً ما يكونوا منغمسين فيها حتى النخاع ، والكتاب يأمر بأن يكون الشيخ (صالحاً للتعليم) ومع ذلك فقد سمعت كثيرين من طلبة الصف الثانى فى كليات الكتاب المقدس والقادة فى (انترفيرستى Inter Var-sity) من الطلبة فى سن العشرين وفى معسكرات جامعية علمانية ممن يستطيعون تعليم الكتاب المقدس بأسلوب أفضل بكثير من العديد من الرعاة المدربين ، وذلك ببساطة لأنهم كانوا شجعاناً فى ممارسة المزيد من الإيمان بالنص بما يكفى لشرحه وتطبيقه ، بدلاً من إلقاء العظات الدينية المنمقة والمزينة بآيات محفوظة من الكتاب المقدس .

لقد عانيت الكثير من المتاعب أثناء رعايتى ، فكانت هناك نماذج كثيرة محطمة يجب التعامل معها ، ومعظم الحالات كانت سرّية بحيث لم يستطع

شخص آخر فى الكنيسة (بخلاف الراعى) أن يعلم أن أكثر من نصف الأعضاء كانوا يجتازون أزمات خطيرة فى وقت ما . والكتاب المقدس وثيق الصلة جداً بهذه الحالات ، إذا سمحنا له أن يتكلم إلينا كقصة تبين مدى ارتباط الله بالشعب فى الماضى ، فبهذه الطريقة يكون الكتاب المقدس مرتبطاً باحتياجاتنا الحالية أيضاً .. لكن إذا عاملنا الكتاب المقدس كسلسلة من النصوص المؤيدة لنا فلن يكون الكتاب فى هذه الحالة انعكاساً لفكرنا اللاهوتى الخاص ، مما اعتبرته غير مناسب للنماذج المحطمة التى علينا أن نواجهها نحن الرعاة يومياً .. والأمثلة كثيرة عن الحاجة العاجلة إلى رعاية أولئك المتضررين من الطلاق .

افترق أحد الإخوة فى الكنيسة عن زوجته لأنها هربت مع (امرأة) أخرى « ورغم أنه بدا لى أنه واحد من أكثر الذين أعرفهم حماساً لله ، فإنه كان يلوم نفسه لأجل موقفه ، ولم أستطع أن أتخيله مسئولاً عما ما حدث له،لكنى استطعت بعد معاينتى لحالات أخرى مشابهة أن أفهم نوع الألم المضنى الذى تخلقه مأساة تفكير الإنسان عن نفسه فى حالته هذه .. وهو التفكير الذى يتزايد بالجريمة المزيفة التى تلصقها به المعايير الزائفة لكثير من كنائسنا ..

غادر البلدة راعياً للشباب فى إحدى الكنائس إلى مدينة أخرى ، وعندما كنت أشهد للمسيح فى شوارع مدينته فى الصيف التالى ، والتقيت به حيث كان هو أيضاً يشهد للمسيح فى الشوارع ، حكى لى عن ما وهبه الله له فى حياته ، ومع ذلك فقد كان هناك صراع مع قادة الطائفة . ولما قامت زوجته أخيراً بطلب رسمى للطلاق ، كان عليه أن يهجر الطوائف كلها ، لكنه ظل أميناً للرب وقد فتح الرب أبواباً جديدة لخدمته .

وكنت أعرف أختاً كانت قد تزوجت فى أواخر عقدها الثانى ، لكن زوجها هرب فى اليوم الثانى للزواج ولم تره قط بعد ذلك ، وكانت مضطربة لدرجة أن والدها ملأ لها استمارة طلب الطلاق ، وبسبب هذه الحادثة ، عندما تزوجت بعد سنوات من أحد الرعاة ، لم يستطع زوجها أن يحصل على أوراق اعتماد كراع فى أحد الطوائف ، وها هما الآن يخدمان فى طائفة أخرى وفى مكان آخر من البلاد .

أعرف أحد الأشخاص الذين يستحقون كل احترام ، فهو يخدم الآخرين بكل قلبه ، وكان زواجه يبدو قوياً . علمت فيما بعد أن زوجته كانت تمارس الزنا فى كثير من أوقات حياتهما الزوجية ، وفى نفس الوقت كانت تهجره . كانت ملتحقة بكلية الكتاب المقدس هى وزوجها ، لكن بينما لم يفكر أحد فى أن يلوم الكلية أو الطائفة لعدم الاهتمام بتعليمها بطريقة أفضل ، فإن سياسات الطائفة عاملت زوجها كما لو أنه قد فشل فى زواجه . وأنا لا أدافع عن لوم أى من الكلية أو الطائفة بسبب سلوكها ، لكننى لا أستطيع أن ادرك لماذا يعامل الزوج كمخطىء . لقد عمل الزوج كل ما فى استطاعته لاستردادها ، لكنه فى النهاية تقدم بطلب الطلاق وترك المدينة بهدوء وخجل اعتقاداً منه أن طائفته تدينه . أما الذين عرفوه تألموا من أجله، ومن علموا بحالته اتصلوا به لإبداء تعاطفهم معه ، لكن المعايير القاسية لطائفته عاقبته بدلاً من أن تؤدب زوجته التى لم تعد تحت سيطرة تأديبهم . وقد تزوج مرة ثانية وسعد فى زواجه ومازال يخدم الرب من كل القلب .. لكنه مُنع من الخدمة فى الطائفة التى اختار أن يبقى فيها .

قيل لى عن سيدة هرب زوجها مع امرأة أخرى فى الطائفة نفسها ، وطلق زوجته ، وببساطة بدأ الثنائى الزانى ـ وأطلق عليهما هذا الاسم لأن زواجهما

الجديد كان بالتأكيد غير قائم فى نظر الله ـ فى حضور كنيسة أخرى تتبع نفس المدينة بينما ذبلت الزوجة المهجورة دون أن تجد عزاءً ، وهى تحمل وصمة الطلاق ، وهى تتساءل فيما إذا كانت العيون التى تدينها قد رفعت صلاة من أجلها . ويحتمل أن تكون قد تساءلت أيضاً عما كانت قد ارتكبته لتستحق هذا ... وأخيرا تركت المدينة كلها .

يبدو أن معظم كنائسنا تنظر إلى الطلاق باعتباره نجاسة بدلاً من اعتباره خطية ، فنحن لانستدعى المخطىء ليعطى حساباً عن خطأه ، ولاندافع عن المظلوم ، لكننا نجمعهما معاً فى فئة واحدة تسمى (النجسين) الذين لانرغب فى لمسهم لئلا يلوثونا ، وبعملنا هذا لا نظهر الرحمة لأى من الطرفين ، ونحن عندما ندين كل الأشخاص المطلّقين كما لو كانوا قد اختاروا حالتهم هذه ، نحن لانعكس عدل الله الذى يدافع عن المضطهدين والمظلومين ، الله الذى يدافع عن الأرامل اللواتى حرمن من أزواجهن بالموت وأولئك المطلقين الذين حرموا من شركاء حياتهم بالخيانة .

إن التفسيرات المتزمّتة لآيات منتزعة من قرينتها ، طالما استخدمت فى صياغة التعاليم (المسيحية) ـ كما أن التعاليم المسيحية القاسية طالما استخدمت لظلم الأخرين .. ومثل ذلك : كيف استبعد الأمريكيون البيض ـ الأفارقة السود ، وعندما بدأوا يفكرون فى السماح للعبيد بالسماع عن يسوع المسيح والمسيحية ، قيل لهم أنهم يجب أن يخضعوا لسادتهم بسبب لعنة (حام) ولايمكن أن ينالوا الخلاص إذا هم فشلوا فى تقديم الطاعة .
إن النصوص التى يدعو فيها بولس العبيد إلى الخضوع لسادتهم هى نصوص يتعامل بها مع الحضارة التى كان يعيش فيها قبل أن يستطيع تغييرها ، لكن البعض أشار إليها ليثبت أن بولس اعتقد أن (الرق) نفسه

كان أمراً حسناً . أما النصوص التى قالت إن السادة والعبيد متساوون أمام الله (كما فى أف : ٦ : ٩)) فلم تجد آذانا صاغية عند من يملكون العبيد فبعد أن تم إلغاء الرقيق تم تجاهل النصوص التى تتكلم عن تعويض المظالم الاقتصادية . لقدكان كلا من المطالبين بإلغاء الرق ، والذين عارضوه من المسيحيين المؤمنين بالإنجيل ، لكنى أريد أن أقول أن الآخرين الذين يدعون أنهم مسيحيون - (ويحتمل أن بعضهم كان مسيحياً فعلاً) كانوا يستخدمون الأسفار المقدسة لتبرير موقفهم الظالم ، وكذلك فإن ظلم الأطراف البريئة فى الطلاق فى بعض كنائسنا لا يستند إلى الحق تماماً كما حدث مع الذين ظلموا ، لكن كلا المثلين يعكسان كيف يمكن الحكم على المواقف ارتجالاً بواسطة النصوص الكتابية المؤيدة ، وإلى أى مدى نبعد نحن ككنيسة عن (محبة القريب مثل النفس) وبنفس الطريقة ، قيل للنساء أن الخضوع المسيحى يعنى الطاعة الكاملة بما قد يكون أحيانا من خضوع للضرب والاساءة ، أو أن الكتاب المقدس - كا يقال لهن - يعلم بأن المرأة أدنى من الرجل اجتماعياً وفكرياً . لقد زودت الحركة النسائية التى بدت عام ٨٠٠ بالوقود بصفة خاصة بنفس العناصر المقدسة الانتعاشية التى ساندت حركة المطالبة بإلغاء الرق ... فلقد وجدت القيادات النسائية فى ذلك الوقت أن هناك شبهاً بين الظلم الواقع عليهن ، وذلك الواقع على العبيد ، ومن السهل علينا أن ننسى اليوم أن النساء لم يكن يستطعن الإدلاء بأصواتهن فى الانتخابات فى الولايات المتحدة أو كندا حتى عام ١٩٢٠ ، وأن أول أمّة سمحت لهن بالتصويت هى نيوزيلاندا عام ١٨٩٣ ولسوء الحظ فإن الكثيرين الذين قالوا بالخضوع الكامل للمرأة دللوا على موقفهم من كلمات بولس فى رسائله ، دون مراعاة قرينتها التاريخية ، أو

دون مراعاة لكتابات بولس ككل .

وهل هناك ما يدعو للعجب إذا كان التقليد المسيحى لكنيسة السود فى أمريكا قد تبنّى بعض الأنشطة التى قام بها السود الذين يرون أن المسيحية ديانة (عنصرية) ، وهل سنصاب بالدهشة إذا علمت أن الجذور الانجيلية فى حركة التحرر النسائى فى القرن التاسع عشر فى أمريكا قد أخلت مكاناً لكثير من المدافعين عن المساواة بين الجنسين الذين يعتبرون أن المسيحية ديانة قمعية ؟... وأن جزءاً كبيراً من الكنيسة يكوّن انطباعه تجاه الطلاق عن طريق عدد من النصوص المؤيدة المرتجلة - دون الأخذ فى الاعتبار المواقف القديمة أو الحديثة معطين القليل من الاهتمام بما يفعلونه لمصداقية الإنجيل؟ وبغض النظر عن وجود البعض الذين ينادون بأن هذه الأسفار المقدسة لاتنادى بالتفسيرات التى يقول بها هؤلاء القوم ، فإن تفسيرات الآخرين المتصلبة التى سوف يقتبسها معارضو المسيحية ترغب فى إظهار المسيحية كأداة للتقليدية الظالمة ، وقد رأيت رد فعل سوء استغلال الأسفار المقدسة فى الكليات الجامعية ، ورأيت حياة الطلبة وهى تتحطم بهذه الصورة المشوهة المزيفة للمسحيين ، فإن بعض هؤلاء الطلبة لن يستمعوا إلى الإنجيل مرة أخرى ، وأخرون لازال فى استطاعتنا اللحاق بهم واحداً واحداً .

لكن بُعدهم عن المسيحية ، بسبب إساءة المسيحية على يد بعض المسيحيين أمر يحزن القلب .. ولكى نحدث تغييراً بعيد المدى يتعين علينا أن نعيد النظر فى الطريقة التى تعيش بها الكنيسة والطريقة التى تعامل أعضاءها بها ، لكى نقلل من الأسس التى تقوم عليها انتقادات المنتقدين المنصفين . وبكلمات أخرى علينا أن نتعلم حقاً (فوق مستوى الشبهات) بالنسبة لحضارتنا أو أمام الله ، كانت لدىّ خطط لكتابة عدد من الكتب

بالإضافة إلى البحث الذى كنت أقوم به بخصوص العالم القديم ، وأحد هذه الكتب كان مقدراً له أن يكون كتاباً عن الطلاق والزواج للمرة الثانية فى (العهد الجديد) . أردت أن أجعل مساهمتى فى الدفاع عن أولئك الذين جرحوا من السياسات الكنسية التى تخلّت عندما خُذلوا .. رغم أن الكثيرين فى الكنيسة ساندوا الحق ، فإن الكثيرين أيضاً لم يفعلوا ذلك ، وهذا أكثر مدعاةً للألم ، لأن الكنيسة كان يجب أن تكون الأولى فى إدانة الظلم ، ومع ذلك فإن هذا الكتاب لم يكن على قمة قائمتى ، ولكن كنت أتمنى كتابته فيما بعد (ومن يرغب أن يبدأ حياته بكتاب مثير للجدل أو الخلاف ؟)

وما دفعنى لأن أجعل هذا الكتاب واحدا من أوائل كُتبى ، كان عمق المأساة التى حدثت لأحد الرعاة الذى كان وثيق الصلة بى ، والذى سأطلق عليه اسم (استفانوس) .. وسأقص قصة استفانوس بتفصيل أكثر قليلاً من الباقين باعتباره آخر نموذج استشهد به الذى يبين السبب فى ضرورة كتابة هذا الكتاب .

لم يكن أحد يظن أن (استفانوس Stephen) وزوجته (جينيفر Jen-nifer) يمكن أن يطلقوا فى يوم من الأيام ، وكان أقلهم شكاً هو استفانوس نفسه فقد كان سعيداً فى زواجه ، ويحب زوجته ، وكان اقتناعه الكامل واقتناع الآخرين الذين يعرفونهما أن زوجته كانت تحبه ، ونظراً لأنها كانت من أسرة محطمة فقد كان لايزال فى داخلها صراعات مع ماضيها ، لكن الله قد شفى الكثيرين الذين جاءوا من مثل الخلفيات ، وقد بدت (جينيفر) لجميعنا أنها قوية الإيمان .. وقبل أن يتزوجا كان يقضيان معظم وقتهما فى الحديث والصلاة ودراسة الكتاب المقدس والشهادة معاً . وكانت

تصرفاتها تتسم بالشرف .. وكان لدى استفانوس من الأسباب التى تجعله يتأكد من أسلوب حياتها كما من خلال صَلاتها أن هذه المرأة خُلقت له .

لكن بعد بضع سنوات من الزواج فشلت بعض خططهما التى كانا يعتقدان أنها مطابقة لمشيئة الله ، كما تدخلت عدة عوامل مختلفة حدثت بعد ذلك لكن لاحظ الناس فى كنيستهما المحلية فى هذه الفترة أن حضور الزوجة إلى الكنيسة بدأ يتناقص ، وأنها بدأت أخيراً تنجذب نحو أسلوب حياة يشبة الأسلوب الذى كانت تعيش به قبل تجديدها . وشعر استفانوس بالعجز والغضب والارتباك والألم ، وراقبها وتعلق بالأمل ، رافضاً اليأس ، محاولاً أن يجد معونة ، لكن دون أن يجد أى شيء يمكن أن يتفق عليه معها . لم يستطع استفانوس أن يصدق مايحدث ، لأن زوجته كانت امرأة تقية من أول يوم عرفها فيه .. لكن بعد فترة قصيرة علم أنها تورطت فى علاقة مع زوج واحدة من أخلص صديقاتها .. ثم أعلنت أنها سوف تهجر (استفانوس) وتقدم طلباً رسمياً للحصول على الطلاق ... وحتى اليوم فإن زوجها يعترف بأنها عملت ذلك بأرق طريقة ممكنة .. ولم يستطع الزوج أن يذكر ، ولو فيما بينه وبين نفسه ، أن هذه الظروف كانت تدينها فإن سلوكها كان فى نظره نوعاً من الحلول الوسط التى يعيشها يومياً معظم سكان أمريكا الشمالية المسيحيين ، ولم يضمر استفانوس قط فى قلبه أية مرارة ضدها ، وكل ما شعر به هو الأسف لما لاحظه من التحول عن طريق دعوة المسيح والأسى على خسارة زواجها . شعر استفانوس بمشاعر المرارة ضد الرجل الذى استولى على عواطف زوجته ، لكن حب المسيح - بمرور الوقت - أزاح هذه الكراهية من قلبه وعلّمه أن يحب الرجل حتى أنه يقول إنه يستطيع أن يعانقه كصديق إذا سنحت الفرصة ليفعل ذلك .. لكن الأمر الأصعب هو

معاملة الإخوة المسيحيين الذين شعروا أن فى إمكانهم إدانة الرجل بسبب حالته الزوجية الجديدة الغامضة . وقد حارب استفانوس الطلاق مدة تقرب من عامين ، إلى أن شعر أخيرا أنه قد تعب بما فيه الكفاية من الانتظار فأصبح أكثر استعداداً للتحرر من الزواج .

وأثناء سنتى الانتظار هاتين كان الله وحده هو الذى حفظ له تماسكه ، وفى خلال الستّة شهور الأولى أخذ يفتش فى ذاكرته عن كل ما قد يكون عمله من أخطاء ، وتساءل : لماذا حكم الله عليه بهذا الحكم ، رغم أن الله كان يزوده بكل ما يحتاج إليه ، ويباركه فى قيادة شعبه إلى المسيح عن طريق ألمه الشخصى ... واسترجع الرجل كل نقاش دار بينه وبين زوجته ليعرف فيما إذا كان قد حدث ما يندم عليه .. لكنه كان يعيد تأكيد حبه لزوجته كل يوم ، وكان يشعر فى أعماقه أنه كان زوجاً صالحاً . ربما أكثر من معظم الأزواج الذين عرفهم ممن كانت زوجاتهم تخلص لهم . لقد كانت تلك أصعب الأوقات التى مرّ بها طول حياته ، بل أنها كانت أفظع من الأوقات التى كان يضُرب فيها أو التى تهددت فيها حياته بسبب التبشير بالمسيح فى الشوارع ، فإن الألم الجسدى لتلك الضربات كان وقتياً ، والندوب التى تركتها كانت علامات يستطيع أن يفخر بأنها من نعمة الله عليه ، أما الجروح التى تسببت فى تمزيق جسده ، فقد بدت كما لو كانت لن تندمل قط إلى أن تم الطلاق .. وفى النهاية ذكّره الله بما جاء فى سفر (هوشع) وكيف أن الله اختبر رفضاً عميقاً من شعبه وكيف أن هذا الرفض لم يشكك فى محبة الله لشعبه ، وبنفس الطريقة لم يكن طلاق (استفانوس) اتهاماً لحبه لزوجته .

لكن ما آلمه فى النهاية كان أكثر من ألم التفريق بينه بين زوجته ، هو

موقف بعض أفراد الكنيسة من جسد المسيح تجاهه ـ فقد كتب له زوجان من مكان بعيد بأنهما سيقطعان كل صلة به إلى أن يتصالح مع زوجته ، وختما خطابهما بالادعاء بأن هذا الألم الذى كان يختبره كان هو عقاب الله له على خطية فى حياته . ورغم أنه أدرك أن هذا الخطاب يذكّره بشدة بتشجيعات رفقاء أيوب الذين جاءوا ليعزّوه إلا أنه ترك جرحاً عميقاً داخله ... لقد أخبرته زوجته مراراً من قبل أنها ليست مهتمّة بالتصالح ، وكان تجاوبها الوحيد مع محاولات التصالح أن قدمت طلباً رسمياً للطلاق ، إلا أنه مازال يعتبر فى نظر الناس مسئولاً عن المصالحة ، وأكثر من ذلك فقد تنبه أنه منذ أن انتقل من بيته بسبب إلحاحها حيث كان الرجل الآخر يعيش فى نفس مدينتها بدأت إشاعة كاذبة تنتشر حول سبب الانفصال وقد استغرب : لماذا ينشر الإخوة والأخوات إشاعات عنه دون الاهتمام بالذهاب إليه باتهاماتهم أو الاستفسار منه عن مدى صحتها .

لقد رفض بعض المؤمنين تقديم أية مشجعات ، وكل ماستطاعوا أن يقولوه هو أن (قطع العلاقة الزوجية يتسبب الزوجان فيه معاً ، وقد تسأل من أين جاء هذا القول فى الكتاب المقدس ؟ ففى ظل شريعة العهد القديم ، مالذى كان يقال فى حق الشريك الحى بعد أن يتم رجم الشريك الزانى حتى الموت ؟ ترى هل طارد هوشع (جومر) امرأته ؟ علّق زوجان على حالة استفانوس قائلين : إن هوشع والرب نفسه شريكان لأنهما التقيا وهما فى حالة قداسة لايمكن بلوغها بحيث اضطرت (جومر) المسكينة وشعب إسرائيل إلى الانسحاب . لكن هذا الرأى لايستحق حتى النقاش

لقد أساءت الكنيسة معاملة استفانوس فمنذ متى كان الكتاب المقدس يسمح لنا أن ندين شخصاً دون إثبات الدعوى بشهادة شاهدين أوثلاثة

وبدون مواجهة الشخص وسماع وجهة نظره أو (نظرها) ؟ فإن بعض شركاء الحياة الزوجية يهجرون شركائهم لأسباب لا دخل للشريك المخلص فيها وفى حالات أخرى ، رأيتها بنفسى لم يهجر الطرف المخلص عش الزوجية رغم أن الطرف الأخر كان يقترف أعمالا رهيبة ، ومع ذلك فإن الشركاء غير الشرفاء لا تتهمهم الكنيسة بأية تهمة لأن شركاءهم ظلوا مخلصين لهم ، ومايقلقنى أكثر من ذلك هو أن بعض هؤلاء الشركاء المخلصين ، بتمسكهم بالبقاء مع شركائهم غير المخلصين يمكن أن يكونوا معرضين هم أنفسهم للإصابة بمرض (الإيدز) وبعض الأمراض الأخرى التى تنقل العدوى عن طريق الاتصال الجنسى ، ومع ذلك يتعرض الشركاء المخلصين فى كثير من الكنائس فى الوقوع فى الموقف المخجل نفسه الذى يتعرض له كل مصاب بمرض (الإيدز) ... وهذه الكنائس فى رأيى تتصرف بالشكل المقبول من الكنيسة .

وقد يتهمنى بعض الأشخاص الذين يتمسكون بمواقفهم المتحيزة عما يقوله الكتاب المقدس ، بأننى ألجا إلى موقف عاطفى غير أخلاقى وجوابى على ذلك هو : نعم أننى ألجأ إلى الجانب العاطفى لدى القرّاء عمداً لكن ليس بطريقة أو بهدف غير أخلاقى،فلقد رأى ربنا يسوع الجموع وتحنن عليهم (متى ٩: ٣٦)، ولم تكن رحمته فقط على المضطهدين والمظلومين الذين كانوا يعانون نتيجة استغلال الآخرين لهم بل إنه صلى طالباً من الآب أن يغفر لأولئك الظالمين الذين سمّروه على الصليب ،وكان يرحم أولئك الذين أساءوا إليه إساءات خطيرة . أما الأشخاص الذين أصيبوا بتجربة تكاد تساوى كارثة موت شريك الحياة . لابد أن يحملوا فى دواخلهم شعوراً سلبياً تجاه موقف بعض أعضاء الكنيسة ، وهذا يحدث لهم بطريقة لاشعورية ،أما

الذى لم يختبر نبذ الكنيسة ، ورفضها للتوبة فإن استفانوس يقول إن مثل هذا الشخص يشعر كما لو أنه قد أصيب بضربة حجر ألقاه عليه شخص كان متوقعاً منه أن يكون أول من يقدم له العون .

على أن التوقف عند تصوير عدم حساسية بعض الأشخاص قد يعطى صورة لجانب واحدٍ مما اختبره استفانوس ، لأن تصرف بعض المسيحيين كمسيحيين هو وحده الذى قدم له الشفاء والقوة لمواجهة كل يوم جديد يأتى بالألم ، فقد ساعده العون الأدبى للإخوة والأخوات من أعضاء كنيسة محلية أخرى الذين اكتشفوا موقفه ، على اجتياز الشهور الأولى من التجربة ، وكان الإخوة والأخوات الذين رفعوا روحه المعنوية أعضاءً فى كنائس للسود فى المنطقة الأخرى التى انتقل إليها فيما بعد ، وكان معظم أعضائها من السود الفقراء الذين يواجهون فى مجتمعهم كمسيحيين مثل هذه الصراعات بانتظام ، ومن الطبيعى أنه يشعر اليوم بالارتياح فى كنيسة أغلبيتها من السود أكثر مما يشعر فى كنيسة أغلبيتها من البيض ، رغم أنه هو نفسه أبيض .

بل أن بعضاً من موظفى الطائفة المحافظة التى كان عضواً عاملاً فيها حاولوا مساعدته ، رغم أنه فى النهاية لايمكن التغاضى عن السياسات المكتوبة ، وبمرور الوقت قدم له أحد زملاء الخدمة طريقة أخرى للوفاء لدعوة الخدمة التى دعى إليها ، وذلك بأن قدم له الدعوة لمشاركته فى طائفته أما ، فيمايتعلق بطائفته الأولى فهو يقول إنه رغم موقفها الرسمى إلا أن معظم الشعب فيها الذين عرفوه شخصياً كانوا متعاطفين ومساندين له ، وهو يحتفظ بتقديره المخلص لهذه اللفتة (وكما يقول : إنه لا يوجد إنسان كامل) .. وظل يعمل من خلال الحزن والأسي لمدة عامين ، وعندما تم

تنفيذ حكم الطلاق أخيراً ، شعر بأنه حر ، فالطلاق الآن أصبح فى حكم الماضى الذى لايمر بخاطره إلا قليلاً وذلك عندما يواجه تعصباً من قطاعات معينة فى المجتمع المسيحى فيما يتعلق بالطلاق ... وقد أصبح أخيراً مجرد (أعزب) .. ولن يكون لديه أية تحفظات من جهة الزواج مرة أخرى ، إذا وجد الشخص المناسب الذى يشاركه فى دعوته وقناعاته ... ورغم الألم الذى نزل به من بعض من يعتبرون جسد المسيح فهو يشهد أن اختباره العميق كان اختبار شفاء مقدم من الكنيسة لأن الحب الذى لقيه من الإخوة والأخوات هو فقط الذى اجتاز به الألم الذى اختبره .

لكن يبدو لى أن كل من اجتاز محنة الطلاق ، رغم أنفه أو أنفها لم يختبر الموقف الإيجابى المؤيد له (أو لها) من الكنيسة كما كان استفانوس محظوظاً ومباركا من الله بأن يكون له هذا العدد من الأصدقاء ، كما كان محظوظاً فى كونه احتفظ بقوة تمسكه بالكتاب المقدس والكرازة الشخصية حتى أنه استطاع أن يصير نافعاً مرة أخرى لخدمة الأخرين سواء فى وظيفة رسمية للخدمة أو بدون وظيفة رسمية .

وأنا أعترف بكل حزن أننى أعرف إخوة وأخوات ، بعكس استفانوس ، قد اختبروا من جسد المسيح رفضاً أكثر من التشجيع ، وفى بعض الحالات لم يكونوا شركاء صالحين كما يجب ، لكن كان يمكن بذل جهد ما بين الطرفين للإصلاح خاصة وأن المشاكل لم تكن من التى يسمح فيها الكتاب المقدس بالطلاق ، وفى حالات أخرى تم الطلاق ليس فقط رغم كون الشريك المتضرر مسيحياً فاضلاً بل بسبب كونه كذلك بسبب رفضه المشاركة فيما اعتبره أسلوباً آثماً للحياة ، فهو ليس (عالمياً) أو (وجودياً) بالكفاية بحيث يُرضى هوى شريكه . كان استفانوس يتمنّى أن تكون له حرية التحرك

فى كل الدوائر الإنجيلية ، خادماً حسب المواهب التى أعطاها الله له ، وهو يعرف الكثير من الدوائر الكارزماتية والإنجيلية التى يمكن ألا يواجه فيها أى تعصب بسبب تجربته ، بل أنه وجد فعلاً كثيراً من المجروحين (سواء من المؤمنين أو غير المؤمنين الذين انفتحوا له لكونه هو أيضاً مجروح .. لكننى لا أستطيع أن أبوح بالاسم الحقيقى لهذا الشخص لأن هناك ـ للأسف ـ أفراداً فى جسد المسيح ، لن يعاملوه كأخ بمجرد أن يعرفوا شيئاً عن تجربته .

على أن الوصمة التى يُدفع إليها إنسان دون استحقاق ليست وصمة على الإطلاق ، ولا يستطيع أن يشعر فى أعماقه بصرخات العالم الذى يحبه الله حبا عظيماً ، إلا أولئك الذين حطمتهم وكسرتهم الألام المختلفة التى جلبها عليهم هذا العالم الغارق فى الألم المتغرب ولا رجاء له إلا فى صليب ربنا يسوع المسيح فلو أننا ـ كل من يتبع يسوع المسيح ـ استطعنا أن نكون شركاء فى ألامه ونشعر بآلام (جسده) الذى مزقه التمييز العنصرى والمنقسم إلى ثروات مكدسة وفقر مدقَع لا يجد من يخفف عنه ، عالم يتمزق بالتعاليم الثانوية التى قد تستحق الإيمان بها لكنها لا تستحق أن تكون سبباً فى تحطيم الزمالة إذا استطعنا أن نشعر بألم المسيح ـ ألم المحبة العظمى التى دفعته لتحمل الصليب ليصالح لنفسه عالماً غريباً عنه ، عندئذ فقط سنستطيع أن نتحمل ألم الرفض والهجر النهائى . لأنه كما كان تحمل هوشع ألم كسر الرابطة الزوجية مثالاً وظلا لألم الله وشهادةً بأن أحدا لم يتسبب فى جرحنا بالقدر الذى جرحنا نحن به مشاعر الله ، وأنه يناشدنا ليلاً نهاراً أن نعطيه قلوبنا وحياتنا ، وأن الكثيرين من شعبه لم يعطوه إلا أقل القليل ، مستغرقين فى ألوان الحب الأخرى ، فإذا ساعدنا الألم الذى نتعرض له على أن نشعر بالألام التى نسببها للأخرين ، وإذا كانت تعزيات

لرب تعيننا على أن نساعد ونعزّى الأخرين لكان فى هذا الكفاية .

هذا هو الألم الذى اختبره استفانوس وأخرون كثيرون مثله ، ونفعل حسناً كشعب الله ، وكجسد المسيح - حين نتعلم من الآمهم بدلا من أن ننبذهم ِنلقى بهم خارجاً .

(٢) الغضب والشهوة

نموذج لقراءة قانون الطلاق
كما جاء فى الموعظة على الجبل

نحن ندرك -كمسيحيين - أن يسوع هو ربنا وسيدنا ، وأن من حقه أن يخبرنا بما يجب علينا أن نفعله ، وهذا يعنى أن تعاليمه ملزمة لحياتنا ، بما فى ذلك تعاليمه عن الطلاق . لكننا يجب أن نفهم تعاليمه أولاً حتى نستطيع أن نطبقها . وفى هذا الفصل سنبدأ فى البحث فى طبيعة تعاليم يسوع ، وما تعنيه بالنسبة لتابعيه اليوم ، وبمقارنة كيفية قراءتنا لأقواله الأخرى يمكن أن نكتسب بصيرة حول كيفية قراءة أقواله عن الطلاق .

إن دعوة يسوع جوهرية ، ولا تطلب شيئاً أقل من الالتزام الكلى، لكن (معرفة) هذا لا تكفى بل يجب أن نقرأ تعاليمه ، ونؤمن أن له سلطاناً علينا ، وهدفنا الحقيقى من دراستنا لهذه التعاليم يجب أن يكون التوصّل إلى ما كان يسوع يقصده منها، وليس مجرد ما نحب نحن أن نفكر أنه كان يعنيه . والوصول إلى هذا الهدف يتضمن أكثر من مجرد ترجمة أقواله من اللغة اليونانية إلى لغتنا ، إذ يتضمن فهم صيغ الحديث والملامح الأدبية والثقافية والموضوعات التى كان يسوع يتكلم فيها أصلاً. وعلينا - إذا كنا نحترم سلطان يسوع أصلاً - أن تكون لنا الرغبة فى توسيع جهودنا لتشمل التوصل إلى حقيقة ما كان يقوله أصلاً لسامعيه الأول ، وليّس فقط ما يخيل إلينا أنه كان يقوله ونحن نحيا فى حضارة وثقافة بعيدة عن ثقافة وحضارة المستمعين الأول له.

وهناك أمر واحد سوف نتبعه ببعض التفاصيل ، وهو كيف يمكن أن

نفهم كلمات يسوع المسجّلة فى الأناجيل بواسطة قرائه القدماء وخاصة بواسطة قرائه من اليهود الأقدمين ، وسوف نحتاج لكى نفعل ذلك أن ننظر إلى أقوال أخرى قالها معلمون يهود قدماء ، ونقارن كيفية فهم معاصريهم لها ، وسوف نتبع هذا النموذج فى ثلاثة فصول من هذا الكتاب تتعامل مع تعليم يسوع .

وقبل أن نأتى إلى الفصل التالى لنكتشف أقوال يسوع عن الطلاق فى (متى ٥:٣١ - ٣٢) من المفيد أن نفحص ما يقوله يسوع فى متى (٥ : ٢١ - ٣٠) فإن هذا سوف يضع القول الخاص بالطلاق فى قرينته كما أراد كاتب إنجيل متى أن نفهمها . إن أية مبادئ تساعدنا على فهم أقوال يسوع الأخرى فى هذا الفصل ، سوف تكون دليلاً يرشدنا فى فهم متى (٥ : ٣١ ، ٣٢) فى الفصل التالى .

أقوال يسوع فى (متى ٥) بصفة عامة

يلخص لنا متّى تعليم يسوع كدعوة للتوبة ، على ضوء ملكوت الله القادم (٤:١٧) ثم يعطينا مثالاً عن التلمذة الحقة فالتلاميذ يتخلّون عن مصادر رزقهم ، وعن عائلاتهم لكى يتبعوا يسوع (٤:١٨ - ٢٢) ، وأخيراً هو يأتى بنا إلى نماذج من تعاليم يسوع عن أساليب العيش فى الملكوت بتوسع أكبر.

لقد أراد بعض الناس فى أيام يسوع أن يأتوا بالملكوت بالقوة ، لكن يسوع يحذر فيقول إن الملكوت يخص الضعفاء والرحماء وصانعى السلام والمظلومين الذين يتمسكون بالمحبة (٥:٣ - ١٢) فهذه هى حياة التوبة الحقيقية والإيثار التى يطلبها من تابعيه ، وكل من يتبعه فى الظاهر ، ولا يعيش بهذه الطريقة ، فإنه لا يكون نافعاً له تماماً كما يكون الملح الذى بلا ملوحة أو النور المخفى (٥:١٣ - ١٦).

والفقرة التالية لذلك ، ترينا كيف نقرأ بقية أصحاح (٥) من إنجيل متى فإن يسوع سوف يشرح (ولا يعقّد) شريعة الله (٥:١٧ - ٢٠) ورغم أن متّى يوضح بجلاء ، أن يسوع اصطدم مع الكثير من معلمى الشريعة فى أيامه حول عدد من النقاط فإنه لايريد من قرائه أن يغفلوا عن النقطة التالية

إن يسوع لم يكن يعترض على الكتاب المقدس نفسه ، فهو لم يأت لكى يضعف من سلطان الله كما هو معبّر عنه فى الشريعة والناموس ، بل لكى يجعل مطالب الله تتناسب مع حياة سامية . وتوضح الطريقة الخاصة التى صيغت بها كلمات يسوع فى هذا القسم مدى براعة يسوع فى استخدام التقنيات التعليمية وأساليب الحديث التى كانت سائدة فى وقته .

وفى القسم التالى يقتبس يسوع أقوالاً من العهد القديم ست مرات ، ثم يعود فيشرح معانيها ، وأحد هذه الأقوال متعلق بالطلاق وأخرى تتعلق بموضوعات مثل (الغضب) و (الشهوة) . ويتضح فى هذه الأقوال أن يسوع يطلب من البشر ما هو أهم وأخطر من التدين . إنه يطلب القلب النقى ، كما يتضح أيضاً فى هذه الأقوال أنه يستخدم صوراً حية ، وأساليب من الحديث لتوصيل ما يريد أن يعلمه للناس بدلاً من تقييد كل الطرق التى يمكن أن نفهم بها كلماته.. وفحص مثالين من تعاليم يسوع فى هذا الفصل عن الشهوة والغضب سوف يساعد على تزويدنا بنموذج لكيفية تحليل تعليمه عن الطلاق الذى يلى هذين المثالين مباشرة ، لأن كثيراً من القرّاء اليوم ، لسبب أو لآخر، يطبقّون أقوال يسوع عن الطلاق بصرامة أكثر من تطبيقهم لأقواله عن الغضب والشهوة الواردين فى نفس القرينة .

المثال الأول : الغضب كجريمة قتل

وأول أقوال يسوع الستة ، والتى تبدو متناقضة - والأصح أن نقول المفسّرة لكلمات العهد القديم هى هذه :

« سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم - ومن قال لأخيه (رقا) يكون مستوجب المجمع ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم » (متى ٥ : ٢١ - ٢٢) .

فى هذه الحالة لا يستطيع أحد أن يقول أن يسوع يعارض شريعة العهد القديم عن القتل ، بل نحن ندرك أنه يتفق معها ويطبّقها على ما فى القلب، فإنه حتى نوع الغضب أو العداوة التى تولّد الجريمة هى فى الحقيقة

غير قانونية فى شريعة الله ، فليس هناك إساءة ثانوية سواء كان الغضب أو كلمة مهينة ، وقد اقترح بعض الكُتاب تدرّجا متصاعداً للخطايا الثانوية فى هذه الآية.. من الغضب إلى الإساءة الأقل وهى القول (رقا) بمعنى (فارغ العقل) إلى إهانة أعظم (يا أحمق) ، لكن كلمة أحمق ليست إهانة أعظم من كلمة فارغ العقل أو (رقا) ، فهما متساويتان فى القوة ، وقد شكلت مساواة الإساءات المذكورة هذه مشكلة لمعظم المفسّرين الذين يرون أن العقوبات تتزايد ، فنبدأ بالمثول أمام محكة ثم بالمثول أمام محكمة أعلى ثم الذهاب إلى الجحيم.. ولكن حتى لو كانت كلمة أحمق إساءة أقوى من كلمة(رقا) فهل تستحق الأولى عقاب نار جهنم بدلاً من العقاب المقرر للكلمة الثانية (المحكمة العليا) السنهدريم ؟ وهل هناك قارئ يمكن أن يفترض أن يكون السنهدريم قد حاكم الناس بسبب قولهم هذه الكلمة ؟ أو أن تكون محكمة أقل درجة كانت على علم بالغضب الذى يعتمل فى صدور الناس ؟

لا يمكن أن يكون يسوع قد قصد أن تطبق هذه الأحكام بواسطة أى شخص آخر غير الله ، فإن الشخص الغاضب لا تستطيع المحكمة أن تدرك أنه غاضب ، لكن الحكم هنا يشير إلى حكم الله أمام كرسى القضاء الإلهى .

(والقضاء الإلهى هو المعنى الشائع فى العهد الجديد للقول «القضاء» أو «الدينونة»)

وبنفس الطريقة فإن المحكمة العليا هنا لا تعنى (السنهدريم) الأرضى إذ استخدمها الربييون اللاحقون لتعنى (محكمة الله السماوية) « وهى كما رأوها عبارة عن مجمع من الملائكة أو مجموعة من علماء الشريعة القدماء»

وصورة المجمع الإلهى ليست قاصرة على الربيين ، بل أن لها جذورها فى محكمة (يهوة) فى العهد القديم كما تظهر فى لفائف البحر الميت ، وربما كانت متضمنةً ما جاء فى (متى ١٨: ١٨) .

ولا يوجد شك فى أن كل العقوبات الثلاث تشير إلى حكم الله ، طالما أن المثل التالى فى متى يظهر أن المصالحة مع تلميذ زميل أمر عاجل فى ضوء اقتراب مجىء العدل الإلهى ، ويتمثل العدل الإلهى فى هذا المثل فى محكمة أرضية تناسب الصورة التى قدمها لنا يسوع تواً فى عدد (٢٢) وبكلمات أخرى ، إن يسوع ينظر إلى الغضب وكلمات الغضب نظرة جادّة تماماً . وحكم يسوع ضد الإساءات أقسى بكثير من تعليم الربيين اللاحق عن نفس الموضوع كما يتبيّن من المثال التالى :

« إذا بصق شخص ، ولم تصل البصقة إلى الشخص الآخر ، فما هو حكم الشرع؟

قال الربى (يوسى) إنها تتمشى مع القاعدة التالية : « إن من يهين شخصاً بمجرد كلمات يعفى من دفع أى نوع من التعويض » كيف يستطيع أحد - غير الله - تنفيذ عقوبة ضد شىء فعله الإنسان فى قلبه؟ أو على إهانات محسوبة فى وضع خاص؟

على أن الربيين شعروا أن مصالحة الإنسان مع قريبه هى جزء هام من المصالحة مع الله ولا يمكن تجاهلها ، فقالوا فى تعليمهم إن الشخص الذى أساء إلى رفيقه عليه أن يذهب إلى المدى اللازم لضمان الحصول على صفحه عنه ، وهذا بعض ما يضمنه متّى فى مثله (٢٣ ، ٢٤) .

لكن لا يسوع ولا الربيين كانا ضد توجيه إساءة لفظية إلى شخص ، إذا كان يستحقها فعلاً (مثلا إذا خالف أمر الله ، وهذا يوحى بأن ما يجعل

الأمر خطية ، هو زيف وظلم الاتهام الذى يصدر عن حالة الغضب ، فهو يمثل فى هذه الحالة الشهادة الزور ضد قريبه ، أمام المحكمة السماوية وكانت شهادة الزور تستوجب الحكم على الشاهد بما كان ينوى أن يوقع على المتّهم المظلوم من عقاب ، وهو فى هذه الحالة الموت الأبدى.

والنقطة الهامة فى كل هذا هى أنه إذا لم يعدل الإنسان فى معاملاته مع أخيه أو أخته فى الأرض ، فسوف تدينه المحكمة السماوية، لأن من لا يرحم الآن لا يُرحم فيما بعد (متى ١٨ : ٣٤-٣٥) لدرجة أن المجتمع الأرضى فى الكنيسة يستطيع أن يصدق على حكم المحكمة السماوية هنا والآن ، وعلينا أن نفعل ذلك (١٨ : ١٥-٢٠) وأن نؤدب العضو الغاضب ، فالكلمات الغاضبة تجعل عضوية الشخص فى مجتمع يسوع الحقيقى أمراً موضع شك ، وكما يقول يسوع إنها تعكس نفس الموقف الداخلى الذى تعكسه جريمة القتل ، حتى ولو كان التصرف الظاهرى منضبطاً بفعل قوانين وعقوبات المجتمع .

كان من المهم لفت الانتباه إلى الطريقة التى استمع بها الناس لكلمات يسوع وقرأوا كلمات (متى) المدونة فى إنجيله ، فإن المغزى المحورى لهذا النص يمكن تجميعه ببساطة بالانتباه إلى قرينة الفقرة ، ولكن التنبّه إلى أسلوب كل من يسوع ومتّى فى الاتصال بالجماهير ، وكيف أدى ذلك إلى مخاطبة السامعين والقرّاء القدماء ، يساعدنا على أن نفهم ما يعنيه النص بطريقة أفضل ، وهذا ما سيكون عليه الحال عند دراسة بقية متطلبات الموعظة على الجبل ، بما فيها التحذير ضد الطلاق .

المثال الثانى : الشهوة والزنا

وفى المناقضة الثانية يُظهر يسوع أن الشهوة هى الزنا فى القلب

«قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنا بها فى قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم»

تتفق أقوال يسوع فى هذه الحالة مع آراء كثير من معلمى اليهود الآخرين المعاصرين له اتفاقاً تاماً . لكن يمكننا أن نتصور أن الكثيرين من الناس المتدينين - فى ذلك الوقت كما هو الحال الآن ـ لم يكونوا يتصرفون أو يسلكون فى قلوبهم بنفس الطريقة التى تطالبهم تعاليم دينهم أن يسلكوا بها . ولقد شدّد بعض الكُتّاب الوثنيين على أن الفضيلة هى فى مكنونات القلب ، بل أن بعض الكتّاب أنكروا مجرد فكرة وجود نزوات جنسية ، ودعوا الآخرين لأن يفعلوا مثلهم ، لكن الفلاسفة قالوا إن هذه علامة على حرية الكُتّاب وغرورهم ، وليس لأنهم يشتركون مع اليهود فى قناعاتهم حول الإخلاص لشريك الحياة أو لمن سيصير شريك الحياة.. وقد أكد آخرون أن تحريرهم من قيود الزواج لم يمنعهم من البحث عن وسائل أخرى للتنفيس عن عواطفهم ، دون أن يتحرّجوا حتى عن فعل ذلك علانية.. كما كان طبيعياً بالنسبة للكثير من الناس فى العالم اليونانى الرومانى أن يحملقوا فى سيدة غيرمتزوجة ليشتهوها ، بل أن ذلك كان أمراً مستحسناً لديهم .

لقد نظرت اليهودية إلى اشتهاء زوجة رجل آخر أو خطيبته بنظرة أسوأ من نظرةِ أقسى الفلاسفة الإغريق، فكان مجرد النظر إلى جمالها مجلبة

للمتاعب.. إن الزنا يمكن أن يحدث فى الفكر أو فى القلب ، تماما كما يحدث بين جسدين وقد أدان بعض الربيين هذا الأمر بتعبيرات قاطعة :

فقد علمت مدرسة (ر.اشمايل) : «بأن الإسرأيليين فى ذلك الجيل يحتاجون إلى الكفارة ، لأنهم أشبعوا عيونهم بالخلاعة» وبكلمات أخرى قال (اشمايل) « إن هذا ليعلمكم أن كل من ينظر إلى إصبع صغير للمرأة يكون كمن حملق فى فرجها »

كما علمت مدرسة (اشمايل) فى القرن الثانى قائلةً أن (لا تزن) تحرّم كذلك إثارة الإنسان نفسه جنسياً . كما أن أحد الربيين المشهورين فى أوائل القرن الثالث أصدر تعليماته بأن من يرتكب الزنا بعينه أو بفكره هو زانٍ . حدث مرّةً أن أشار أحد الربيين المعاصرين إلى الاختلافات بين اليهودية والمسيحية فقال : إن اليهودية لم تُدن بالشهوة كما فعلت المسيحية ، وكانت هذه ملحوظة غير صحيحة . حيث أن اليهودية القديمة سبق أن أدانت الشهوة أكثر من مرة ، لكن لا يمكننا أن ننكر أن تهديد يسوع بنار جهنم هو أقسى من أى بيان يمكن أن نجده فى بيانات معظم الربيين المتعصبين حول هذا الأمر.

لكن عندما يقول يسوع إن اشتهاء امرأة آخر أمر ردىء ، فإن لموقفه هذا سابقة قديمة جداً أقدم مما فى فكر اليهود المعاصرين له، فإن الوصية السابعة من الوصايا العشر تعلن قائلةً : لا تزن ، بينما تقول الوصية العاشرة (لا تشته شيئاً مما لقريبك بما فيها زوجته) وأكثر من ذلك فإن الترجمة اليونانية لسفر الخروج التى كانت منتشرة تماماً فى أيام يسوع تستخدم نفس الكلمة التى استخدمها يسوع فى هذا النص فتبدأ الوصية العاشرة بالقول : «لا تشته امرأة قريبك» (خروج ٢٠:١٧)

ربما لم يكن كل مستمع يهودى ليوافق على أن هذا الفعل مساوٍ لخطية الزنا ، إلا أنهم ما كان لهم أن ينكروا فى نفس الوقت أنه كان مخالفةً لناموس موسى ، وفى يهودية فلسطين كانت المرأة ملومة دائماً لأنها سبب شهوة الرجل ، فكيف يستطيع الرجل كما - كان يقول البعض - أن يحمى نفسه إذا خرجت المرأة على الملأ بوجه مكشوف ، وخاصةً بشعر مكشوف ؟! إلا أن يسوع يلقى مسئولية الشهوة على الرجل المشتهى ، وما كان له أن يساير ما يقوله الذين يرتكبون جريمة الاغتصاب فى المحاكم اليوم من (أنها طلبت ذلك)

وكثيراً ما يصوُر إنجيل متّى تعاليمه الأخلاقية بأمثلة مناسبة ولم يكن موضوع الشهوة استثناءً من ذلك . فيقول عن هيرودس انتيباس - الذى كان حاكماً على الجليل - سيطرت عليه شهوته (١٤:٦) وقادته هذه الخطية إلى جريمة ضد الشريعة (١٤ : ١٠) ويزود متّى قرّاءه بنقيض مذهل فى قصة يوسف النجار الذى رغم أنه كان خطيب مريم ، وفى منزلة زوجها تقريباً ، إلا أنه كان راغباً فى الانسحاب تماماًمن هذه العلاقة ، إذا كان ذلك هو ما يجب عليه أن يعمله (متى ١:١٩) وعليه فإن الإنسان يمكنه أن يتبع مثال هيرودس الشرير ، أو مثال يوسف البار فيما يتعلق برغباته.. وكان العلاج الوحيد المتضمن فى إنجيل متّى من مرض القابلية للاشتهاء - كما يبدو - هو نفسه الذى اقترحه بولس الرسول والربييون : ضبط النفس ، أو الزواج (١٩:٤ - ٦)

ويمضى يسوع قدماً ليقترح أنه إذاسيطرت على الإنسان مثل هذه الرغبة فعليه أن يقطع أى عضو من أعضاء جسده الذى يقوده إلى الخطية (٥:٢٩-٣٠) ولا شك أن هذا جزء من تكنيك يسوع التعليمى باستخدام المبالغة

المتطرفة . فلو أن قلع عين أو قطع يد سيؤدى إلى السيطرة على الشهوة فسيكون ذلك فعلاً أفضل بكثير من الذهاب إلى الجحيم . لكن يسوع فى النهاية يقول : إن أية خطية نرتكبها سوف تحرمنا من دخول ملكوت الله ، فمهما كانت الخطية محبوبة لدينا يجب أن ننتزعها.. ويذكر (متّى) العين أولاً بعكس القول المشابه فى مرقس (مر ٩:٤٣ - ٤٨) ولا شك أن ذلك كان لأن العين هى العضو الجسدى المتورّط مباشرةً - أكثر من غيره - فى هذه الخطية السابق وصفها . إن خسارة عين أو يد لن توقف سريان الخطية فى العقل ، لكن المقصود أنه يجب إيقاف مفعول الخطية مهما كان الثمن .

وفى حضارتنا حيث تعمد وسائل الإعلام إلى تجريد المرأة من إنسانيتها واستغلال غريزة الإنسان الجنسية من خلال الإعلانات التجارية ، وحيث يجد الشباب من الجنسين نماذجاً لها دور عالمى تدافع عن الاتصالات الجنسية غير المشروعة تكون الدعوة إلى (الدعارة الفكرية) مكثّفة جداً.. وهذه الفقرة لا تتضمن أن مثل هذه الخطايا لا تغتفر (قارن متى ١٨:٢١ - ٢٥) بل أنها تدعو كل من يظن فى نفسه أنه متدين لله بما فيه الكفاية (٥ : ٢٠) أن يعيد التفكير فى موقفه ، فإن ملكوت الله لا يمكن الدخول إليه إلا بالتوبة (٤:١٧) فما أن نُخضع أنفسنا تحت يد هذا الملكوت حتى يتم تجديدنا ونستطيع بالنعمة أن نحيا بطريقة جديدة . إن عطية الغفران لا تسبق قرارنا باتباع يسوع ، بل ولا هى تعتمد على طاعتنا الكاملة كما يوضح تلاميذ يسوع الأوائل فى الأناجيل (وبصفة خاصة فى إنجيل مرقس.. فهذه قصة أخرى وسفر آخر) لكن قد يكون من المهم بالنسبة للقرّاء أن لا ينسوا هذا عندما تبدو لهم هذه الفقرة غير محتملة بالنسبة للشباب الذين استسلموا للتجربة الفكرية .

على أن الكثير من المسيحيين قد ناضلوا ضد الغضب والشهوة ، - إلا أنهم ما أن تابوا عنها وتركوها حتى اعتبروها خطايا بسيطة... وكثير من هؤلاء المسيحيين أنفسهم يفسرون القول الخاص بالطلاق وإعادة الزواج الذى يلى ذلك مباشرة - بطريقة مختلفة تماماً - رغم أن العقوبة وقوة الاتهام المتضمنة فى الحالتين واحدة . فهل يمكننا أن نتلمس لأنفسنا الأعذار فنقول: إن فشلنا لا يعتبر خطية إلا عن طريق المبالغة (وما كان يمكن أن يكون يسوع قد عنى ذلك) بينما نلقى بالآخرين إلى الجحيم - بكل بساطة - بسبب خطايا قد يكونوا قد تابوا عنها منذ مدة طويلة مضت.

إنه سؤال يستحق الدراسة ، على الأقل عندما نعود إلى دراستنا لموضوع الطلاق وإعادة الزواج فى أقوال (متى ٥ :٣١ -٣٢) فى الفصل القادم.

استنتاج ختامى :

إن فرضية هذا الفصل هى أن يسوع استخدم الأسلوب التصويرى فى أمثلته ، وهو أسلوب نابض بالحياة ، فهو لا يقبل شيئاً أقل من التسليم الكامل ، ويطلب كل ما تمتلك (لو ١٤ :٣٣) فهل هذا مجرد إغراق فى المبالغة اللغوية ؟ نعم هو كذلك بشكل ما ، فإن تابعى يسوع الأوائل الذين سجلوا أقواله ، لم يقلعوا عيونهم أو يعيشوا فى الشوارع بلا مأوى بعد أن تخلصوا من كل ممتلكاتهم ، ومن ناحية أخرى فإن أقوال يسوع لم تكن مطالب مبالغاً فيها على الإطلاق ، فإن تابعى يسوع الأولين استحقوا النصرة على قوة الخطية فى حياتهم ، وقد جرّدوا أنفسهم من كل ما لم يكونوا بحاجة إليه لكى يعيشوا لمقابلة احتياجات الآخرين . إن مطالب يسوع أساسية لدرجة كبيرة ومغيّرة للحياة أكثر مما يرغب تابعوه فى أمريكا

الشمالية الآن أن يعترفوا به ، ونحن نعمل بالضبط ما تمنعنا مبالغته من أن نعمله ، وذلك بتلطيف معناه ليتناسب مع طريقة الحياة التى نحياها فعلاً.

وما رأيناه فى هذين المثالين الأولين هما صفتان متميزتان أساسيتان فى تعاليم يسوع .

الأولى : إن مطالبها أساسية شاملة . فلا شىء يكفى أقل من التكريس الكامل إذا كنا نريد أن نكون تلاميذ حقيقيين للملكوت ، وليس مجرد تلاميذ لا قيمة لهم مثل الملح عديم الملوحة أو النور المخفى (٥:١٣ - ١٦).

الثانية : هى أن يسوع يستخدم الأسلوب البليغ الذى كان سائداً فى أيامه، قبل أن يكون هناك تلفزيون أو أية وسائل بصرية تسود على طريقة تفكير الإنسان بأسلوب الصور الحية الموجزة المليئة بتأكيدات ليس فيها حلول وسط ، فتجذب انتباه السامعين وتجعلهم يتأملون فى طرقهم . لكن معظم التأكيدات التى تأتى على هذه الصورة من الإيجاز تحتاج إلى تأهيل قبل أن ينظر إليها كقانون فمثلاً : من الخطأ النظر إلى شخص آخر برغبة تجرّده من إنسانيته ، فهل تعتبر الشهوة الجنسية دائماً خطأ حتى ، ولو كانت فى مساعدة على الحب فى الزواج ؟

إذا كان ردنا «بالطبع لا ، لأن هذا لم يكن القصد من بيان يسوع» فلن نكون على ما أعتقد بعيدين عن الصواب ، وهل التعبير عن الغضب من الظلم الواقع ضد الآخرين - إذا تم التعبير عنه بطريقة صحيحة - يعتبر خطأ ؟ ألم يعبّر كل من يسوع وبولس ويعقوب عن مثل هذا الغضب ضد

المعلمين الكذبة ، أو ضد أولئك الذين يظلمون الفقراء ؟

وبنفس الطريقة ، فإن يسوع الذى يحرم على الناس (الحلف) ، ويقول ليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا (٥:٣٣ - ٣٧) إلا أنه يقطع على نفسه عهداً بعدم الشرب من نتاج الكرمة (٢٦:٢٩) فإن ما قصده يسوع فى متى (٥:٣٣ - ٣٧) لا يشمل ما عمله فى (٢٦:٢٩) وإن كانت الأقسام (الحلف) مرتبطة بكلا الممارستين .. وهذا مرة أخرى ما أقصده ، وهو أن بعض قواعده العامة ما هى إلا أمثلة يجب أن يعاد تأهيلها لتناسب ظروفاً جديدة ، فلا يكفى أن نؤكد ببساطة أن يسوع قال قولاً معيناً ، بل يجب أيضاً أن نضع ما قاله فى قرينته لنعرف كيف فهم الناس يسوع قبل أن نفرض تعليمه على الآخرين .

وبينما كان لدى يسوع كلمات قوية عن أولئك الذين يستخفّون من وقع كلماته وأثرها ، فإن له كلمات أخرى قوية أيضاً عن أولئك الذين يعثرون الإخوة الأصاغر بلا رحمة (١٨:٦) أو الذين يلقون على هؤلاء الأصاغر أحمالاً لا يريدون هم أنفسهم أن يلمسوها إذا وُجدوا فى نفس الموقف (٢٣:٤) كما أن بولس يعتبر كلاً من أولئك الذين ينقصون من متطلبات الإنجيل كأولئك الذين علّموا فى كورنثوس أنهم يمكن أن يكونوا فاسدين أخلاقياً ، ومع ذلك يظلون مرتبطين بالمسيح ، وأيضاً الذين يضيفون إلى الإنجيل ، مثل معارضيه فى غلاطية الذين يتمسكون بوجهة النظر أن المسيحيين يجب أن يتبعوا طريقتهم فى الدخول إلى المسيحية ليكونوا مسيحيين حقيقيين ، يعتبرهم جميعاً فى خطر روحي.

فإذا كنا سنعمل على تدريب أناس آخرين على تعاليم يسوع (٢٨:١٩) فيستحسن أن نتأكد من أننا نفهمها بطريقة صحيحة (يعقوب ٣:١)

وكما آمل أن أوضح فى الفصل القادم لكل من يقرأ (متّى ٥) ويفهم منه أنه يحظر إعادة زواج المطلقين على الإطلاق أو يفعل العكس ويتبنّى الرأى العكسى وينظر إلى الطلاق باستهانة أود أن أوضح أن كلا النوعين يخطئ فهم كلام يسوع بصورة واضحة .

(٣) أقوال يسوع عن الطلاق
متّى ٥ : ٣٢

لا طلاق إلا ..

لقد فحصنا - فى الفصل السابق - قرينة متّى حول واحدة من أقوال يسوع عن الطلاق ، ويتبيّن لنا أن لها علاقة مع متطلبات الله الأساسية من شعب الملكوت ، كما لاحظنا صفتين من الصفات ذات الأهمية الخاصة بالنسبة لمناقشتنا :

الأولى : أن تعاليم يسوع تطلب الالتزام الكامل .

الثانية: أنها تأتى فى قوالب يسهل فهمها فى إطار وضعها الحضارى والثقافى فى الوقت الذى قيلت فيه أكثر من فهمها اليوم ، وهذه الصفة الأخيرة يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند تطبيق هذه النصوص فى الحياة اليومية فى حضارتنا الآن .

وهذا الفصل يفحص أقوال يسوع عن الطلاق التى قالها بعد أقواله عن القتل والزنا ، والقرينة الخاصة بورودها بعد الزنا تلقى ضوءاً على معناها فى (متّى ٥) وهى تزودنا أساساً بمثال ثان عن الزنا مثل - الشهوة - أما لماذا يؤخذ هذا البيان بجدية أكثر من البيانات الخاصة بالشهوة والغضب فهذا أمر يصعب فهمه ، ما لم يكن ذلك بسبب أن هذا البيان أسهل فى تنفيذه عن بقية البيانات بالنسبة للكنيسة ، أو لأنه لا يؤثر فى منفّذيها بصورة مباشرة ، لكن كل بيانات يسوع فى هذا الأصحاح قُصد بها أن تؤخذ مأخذ الجد (٥ :١٩) يجب ألا يكون الموضوع هو ما إذا كانت هذه البيانات

ويجب أن تفهم بجدية أم لا ، أن التساؤل هنا يجب أن ينصب على التأثير الذى قصد يسوع أن يحدثه فى سامعيه الأصليين ، وبلا شك أن يسوع كان يريد أن يعارض الطلاق ، وما يجب مواجهته هو ما إذا كان أيضاً قد قصد معارضة الطلاق تحت جميع الظروف ، أم أنه كان يحرّم على الطرف الذى كان راغباً فى الإبقاء على الزواج أن يتزوج مرة أخرى ، وبكلمات أخرى . هل كان قصد يسوع أن يعيق الطلاق ويقيده وذلك بتحريم زواج طرف برىء مرة أخرى .. وكما سبق أن رأينا فى الفصل الثانى من هذا الكتاب ، فإن استبعادكلمات يسوع من قرينتها يمكن أن يتجاهل رقّة أسلوب يسوع فى تعليمه .

وإذا كانت هناك ظروف تبرر النطق بكلام سئ ضد شخص ما (كما يفعل يسوع فى متى ٢٣ فى قوله ويل لكم) فيمكن أن تكون هناك ظروف لا يكون فيها الطلاق وإعادة الزواج نوعاً من الزنا (مثلاً عندما يقصد الطرف الآخر فصم عرى الزوجية) وهناك العديد من المحظورات العامة فى الكتاب المقدس التى يبدو أنها لا تطبق فى كل الأحوال فمثلاً : طاعة الأولاد (اف ٦:١) يمكن تعضيده بقوة أكبر عندما تربطه بفكرة الحق (١صم ٢ : ٣٤) كما أن الالتزام بقوة الحق وهو أكثر إثارة للجدل (اف ٤ : ٢٥) يمكن تعضيده بفكرة الحاجة إلى حماية حياة الإنسان (خروج ١ : ١٩)، (يش ٢ : ٤ - ٦) ،(١صم ١٦: ٢-٣) ، (٢صم ١٧:١٤، ٢٠) ، (إرميا ٣٨ : ٢٧) وقارن (امل ٢٠ : ٣٨ ، ٢٢ : ٢٢ ، ٢مل ٨ : ١٠ ، ١٠: ١٩ ، ٢ اى ١٨:٢٢) والنصوص الخاصة بالسرد القصصى فى الكتاب المقدس كثيراً ما توضح لنا كيف يمكن تطبيق المبادىء التى نقرأها فى أجزاء أخرى عن الكتاب المقدس عملياً . والحق أن الأجزاء الأخرى من

الكتاب المقدس عادة مايكون لها (قرائن قصصية) أيضاً طالما أنها تخاطب عادةً مواقف وموضوعات متصلة بقرائها ، الأمر الذى يجب ألا يغيب عن بالنا ونحن نقرأها. وعليه فعلينا فحص قول يسوع عن الطلاق فى (متّى ٥ : ٣٢) من عدة زوايا :

أولاً : ما هو نوع الأقوال فى هذا النص ؟ وهل قام المعلمون اليهود بوضع قواعد عامة كان يجب فهمها على أنه قد تم تعديلها لتتناسب مع مواقف معينة ؟ إذا كان الأمر كذلك فإن استثناءات متى وبولس يمكن أن تشرح التقارير الأكثر عمومية الموجودة فى إنجيل مرقس ولوقا .

ثانياً : ما هو معنى عبارة الاستثناء (إلا لعلة الزنا) ؟
سنجيبَ عن هذا السؤال باستعراض الفروق التالية ، ثم نفحص العلاقة بين الزنا وبين الطلاق فى الزمن القديم ، وأخيراً سوف نتساءل عما إذا كانت أسس الطلاق التى سمح بها فى هذه الفقرة يمكن الفصل بينها وبين أسس إعاده الزواج .

ما هو نوع الأقوال فى هذا النص ؟

« وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى (متى ٥ : ٣١ - ٣٢) . إن قول يسوع عن الطلاق ، مثله مثل الأقوال الأخرى فى هذا الأصحاح ، وهو فى أحد معانيه تقرير عن القانون الإلهى، وفى معنى آخر هو تقرير عن مبدأ يمكن أن يقدمه أى معلم حكيم ، ولكى

نفهم نحن القول يجب أن ننتبه إلى هاتين الخاصتين للمعنى لندرك مايعتبر قانوناً إلهياً ، ومايعتبر قولاً ماثوراً .

أقوال الحكمة :

كان معلمو اليهود في أيام يسوع يشغلون عدداً مختلفاً من الوظائف ، فقد قام عدد كبير من الكتبة بنفس الدور الذى كان يقوم به الموظفون المحترفون في العالم المتكلم باليونانية ، وهو قراءة وكتابة الوثائق القانونية، كما كان في فلسطين أيامها أيضاً معلمون آخرون يعملون في تعليم الحكمة وتعليم الأطفال القراءة ، وبصفة خاصة كيف يقرأون الكتاب المقدس ، وكان بعض هؤلاء المعلمين خبراء قانونيين في تفسير الشرائع للكهنة أو الشعب، وبعض هؤلاء الخبراء القانونيين - معلمو الفريسيين على وجه خاص - لم يكتفوا بأن يخاطبهم الناس باحترام بالقول (ربى) أى (يامعلم) بل طلبوا بأن ينظر إليهم الناس دائماً على أنهم (الربيّون) وقد أصبح هذا هو اللقب الرسمى لقادة اليهود بعد عام ٧٠ م الذين حاولوا قيادة اليهودية في الاتجاه الصحيح ، ورغم أن بعض تابعى يسوع حاولوا إدخاله في مجالات قانونية أو شرعية (مثلا لوقا ١٢ : ١٣) إلا أن القليل جداً من أقوال يسوع المسجلة في الأناجيل يمكن اعتباره تفسيرات شرعية صريحة ، فأكثر أقواله تنتمى إلى أنواع أخرى من التعاليم ، وخاصة أقوال الحكمة مثل الأمثال والنبوة .

وكثير من أقوال يسوع في عظته عن الشريعة الإلهية في (متى ٥ : ٢١ ، ٤٨) ربما قيلت أصلا في قرائن غير قانونية (أو شرعية) ولكن إذا كان لأى من التناقضات قوة شرعية (قانونية) فلابد أن ينطبق هذا على

تحريم الطلاق ، فإن معظم المحرمات الأخرى - الغضب والشهوة والحلف وكراهية الأعداء ، أمور يصعب أن تكتشفها المحاكم ، ومن ثم فهى أصعب فى التنفيذ ، لكن الطلاق - مثله مثل تحريم الأخذ بالثأر - يمكن أن يشغل محكمة يهودية ، إلا فى حالة طلب إصدار كتاب - كذلك تحريم الحلف والقسم قد يشغل محكمة رسمية فى حالة واحدة وهى إذا أراد بعضهم أن يقوم أحد الربيين بحله من نذر أوقسم لم يف به .

لكن قرينة الكلام عن الطلاق توحى بأننا نفهمها على أنها تتمشى مع بقية الأقوال الأخرى هنا باعتبارها تركيبة تجمع بين أقوال الحكمة والإعلان النبوى مما يضمن توقيع العقوبة عليها بالحكم الروؤى للمحكمة السماوية لدرجة أن (متّى) يقدمها كشريعة ، وهى " شريعة رؤوية " شبيهة بالوصايا العشر أكثر منها بقانون تفصيلى خاص بقضية معينة ، وأكثر من هذا فإن كل علماء القانون (الشريعة) القدامى كانوا يعلمون أن المبادئ الأساسية للشريعة يجب أن تتناسب مع حالات محددة ، ورغم أننا ، كما سيأتى فى مناقشاتنا فيما بعد نعتبر جماعة المؤمنين الذين أهّلتهم دعوتهم لعمل كل ما فى وسعهم لتنفيذ مثل هذه الأحكام ، فإنه حتى فى (متّى) نجد أن هذا التعليم ليس أحكاماً يجب أن تنفذها الكنيسة ، بل هى دعوة نهاية الأيام ، ودعوة للعيش بأسلوب حياة يقاوم الغضب والشهوة والطلاق والكذب .. إلخ.

وكثيراً ما استخدم معلمو اليهودية صوراً حية ورموزاً مسرحية (ودرامية) لتبليغ مقاصدهم ، كان لبعض المعلمين أسلوبهم الخاص المميز فى الكلام ، ولم يكن يسوع استثناءً لهم .. وفى كتاب (روبرت تانهيل Robert Tannehill) المسمى(سيف فمه) قوائم لبعض صيغ أقوال

يسوع ، والتأثير الذى يمكن أن تكون قد أحدثته هذه الصيغ فى مستمعيها وفيه أيضاً يوثق (تانهيل) الصور البلاغية التى جاءت فى أقوال يسوع ، ويظهر بكفاءة أن قوة أقوال يسوع غالباً ما تكون من نوع مختلف عما يمكن أن يفترضه المفسّر الحديث الذى لا يعطى انتباهاً كبيراً للبعد الحضارى

وكما لاحظنا فى الفصل السابق باختصار ، فإن الكثير من أقوال معلمى اليهود استولت على انتباه سامعيهم بالمبالغات والمؤثرات البلاغية ، وقد كان هذا أيضاً جزءاً قاسياً للغلو اليونانى الرومانى ، ويمكن فهمه كمبالغة فى المؤثرات البلاغية لا ينبغى أخذها بصورة جزئية . والقرّاء المحدثون الذين اعتادوا التفكير فى المبالغة كنوع من الخداع ، وليس كنوع من الاستعارة النابضة والصور المثيرة ، عرضة لأن تفوتهم تأثيرات تلك المغالاة القديمة .

فمثلاً يستخدم يسوع المبالغة حين يقول لتلاميذه " أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات " (متى ١٩ : ٢٤) وقد سأله تلاميذه المذهولين : " إذاً من يستطيع أن يخلص " وكان ما يقصده فى قرينته لفت انتباه الشاب الغنى الذى اختار الاحتفاظ بثروته بدلاً من اتباع يسوع ، وأن الشخص الثرى الذى لديه الكثير ليخسره باتباعه للسيد الذى يطلب منه ترك كل شئ ، سيكون من غير المحتمل أن يخضع للمطالب الجوهرية للملكوت ، لأنه يبالغ فى تقدير قيمة ثروته .

والقول أن شيئاً ما يعتبر (إغراقاً) ليس بالطبع عذراً لتجاهل ما يحتويه ويقوله ، فالمبالغة تستخدم بالتحديد لكى تخبرنا على التمسك بأصالة ما يقوله ، لكى يهزّنا حتى نغير من طريقة تفكيرنا وحياتنا ، لكنها تحذرنا لكى لا نقرأ كل شئ بحرفية ، كما لو كنا نقرأ تقريراً وضعه بعض

العلماء أو الصحفيين فى أيامنا هذه .

وأقوال الحكمة ، كما يستنتج الإنسان بسرعة من سفر الأمثال هى قواعد عامة موضوعة بطريقة مختزلة جداً قُصد بها جذب انتباه القارئ للوصول إلى نقطة معينة ، لكن أقوال الحكمة لا تعالج كل ما يمكن أن يقال عن الموضوع ، كما أن أحداً لا يفترض أنها تفعل ذلك .. فمثلاً يتحدث سفر الأمثال عن الثروة كبركة من عند الرب . ومع ذلك كثيراً ما يدين الثروة التى يتم جمعها بطرق شريرة ، وليس معنى ذلك أن بعضاً من أقوال الحكمة فى سفر الأمثال تناقض أقوالا أخرى فى نفس السفر ، بل أن كلاً من هذه الأقوال تذكر كقاعدة عامة ، ومعظم القواعد العامة تحتاج إلى تقويم إذا كان لنا أن ننفذها فى كل الأحوال والظروف . وهذا يشمل الكثير من أقوال يسوع المسجّلة فى (متّى ٥) مثل الأقوال عن الطلاق .

التطبيق القانونى للأقوال :

إن التفسير العام لطبيعة أقوال الحكمة ليس معناه الادعاء أنها لم تؤثر قط فى صياغة القوانين ، وبصفة خاصة فيما ينطبق بأقوال الحكمة التى قالها يسوع ، فالحكمة الأخلاقية يمكن تطبيقها على صيغة القانون المدنى ، وقد كان حكماء اليهود معروفين بالتمسك بكل من الحكمة العملية والموضوعات القانونية ، كما أن المسيحيين الأوائل كانوا فى حاجة إلى السير على هدى أقوال وتعليم يسوع لكى يحددوا ويقرروا بالضبط كيف يجب أن يعيش المسيحيون ، وهذا يمكن أن يتضمن (قوانين التأديب الكنسى) ، وعليه كان على قرّاء إنجيل متّى أن يطبقوا التعاليم الواردة فى (متّى ٥) كقانون إلى حد ما . ولأن الكنيسة مثلها المجمع اليهودى القديم

تعمل كمجمع قضائى فعلينا أن نعمل ما فى وسعنا لكى نصدق على أحكام المحكمة السماوية .. وهذا يعنى أننا نتبع تعاليم يسوع الشرعية (القانونية) المسجّلة فى (متّى ١٨ : ١٥) وإذا وجدت خطية ما فى الكنيسة ، علينا أن نحاول تأنيب المخطئ بيننا وبينه ، وإذا فشلت هذه المحاولة فى استعادة الخاطئ فعلينا أن نأخذ معنا شاهداً أو شاهدين من المؤمنين الذين يصلحون لهذه المهمة .. وإذا فشلت هذه المحاولة ، يجب على الشهود الذين يشهدون أن المخطئ لم يتب ولازال مستمراً فى خطيته أن يضعوا الأمر أمام الاجتماع ككل ، وتُعطى فرصة واحدة أخيرة للمخطئ لكى يتوب فتعمل هذه الهيئة المجتمعة كمجمع قضائى . لكن بينما كان على الشهود فى العهد القديم أن يكونوا أول من ينفذ الحكم ضد الخاطئ (تث ١٧ : ٧) فإن الشهود هنا يجب أن يكونوا أول من يصلّى (متى ١٨ : ١٦ ، ١٩ ، ٢٠) وستكون صلواتهم مؤثّرة وفعّالة . فإذا كان على الكنيسة أن تنفذ بقدر الإمكان مشيئة الله على الأرض كما هى فى السماء داخل الكنيسة نفسها ، فإن الخطية يجب أن تعامل بكل صرامة ، وهذه التعليمات الخاصة بنظام التأديب الكنسى هى بالطبع مشروطة بقرينة الغفران (١٨ : ٢١ - ٣٥) تماماً كما تنفذ المحكمة الأرضية الحكم بسلطان المحكمة السماوية فى كل من التقليد اليهودى والمسيحى ، علينا أن نغفر للشخص التائب غفراناً تاماً كما يفعل الله معنا تماماً (اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً) لكن يجب الحكم على الخطية التى لم يتب عنها مرتكبها إلى أن تأتى التوبة .

وحيث أن الخطايا العظيمة مثل القتل والزنا التى كانت تستحق عقوبة الموت طبقاً لشريعة العهد القديم لم يعد من المستطاع تنفيذها ، لأن الحكومة الرومانية سحبت حق تنفيذ الأحكام القصوى من المحاكم اليهودية ، فقد

صار الاعتقاد بأنه عند عدم إمكان تنفيذ أية عقوبات بواسطة المحاكم الأرضية ، فإنه يمكن تنفيذها بواسطة المحكمة الإلهية ..

إن تفسيرات يسوع للشريعة ، حتى إذا لم يكن مقصوداً منها وضعها كنصوص فى صلب القانون ، يمكن أن تستخدمها الكنيسة المختصة بالمحافظة على المفهوم الصحيح لكلمة الله كتفسير صادر للشريعة عن المعلمين ذوى سلطان ، ومع ذلك فإن أى بيان عام لأحد المبادئ يجب أن يناسب المواقف ، وهذا ما نجده عندما يظهر هذا القول فى قرائن مختلفة بالذات . مثلاً فى (لوقا ١٦ : ١٤ - ١٨) حين يبدأ يسوع فى تحدّى الفريسيين حول موضوع البر الداخلى فيقول :

" ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس . كل من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى ، وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى "

لا يذكر لوقا غير هذا المثل الواحد عن (تأصيل الشريعة) لكن الطريقة التى وضعت بها القاعدة لا تسمح بأية استثناءات ، والقرينة فى لوقا فعلاً هى قرينة تحدّى لاستخدام الإنسان نقوده بطريقة صحيحة ، لكن وضع هذه الكلمات التى قالها يسوع مثل شطيرة (ساندوتش) بين مثلين عن المال يوحى بالدعوة إلى التزام كامل بالخضوع فى كل من المال وباقى حياة الإنسان ،هذه الكلمات تعتبر واحداً من تقارير يسوع الكثيرة المفعمة بالحياة، والمقصود بها أن تهز السامعين حتى يدركوا الحقيقة الأخلاقية .

أما فى إنجيل متّى حيث تظهر القاعدة فى قرينة تفسير للكتاب المقدس (العهد القديم) ، وحيث يوجد تأكيد على تأديب الكنيسة لأعضائها المخطئين ، فإن الأرجح هو استخدام هذه القاعدة بطريقة قانونية ، ولذلك

فإن القول إلا لعلة الزنى له مغزى خاص .

يظهر هذا المبدأ فى تفسير كلام بولس الذى يبدو أنه سمع القول غير المعّدل (١ كو ٧ : ١٠) ، وهو يقتبس القول غير المعّدل لكنه يعود سريعاً إلى تعديله ، ويذكر بوضوح أنه يفعل ذلك عندما يطبقّه على حالة بالذات كما سنلاحظ فى الفصول القادمة ، فإن بولس يسمح بالطلاق والزواج مرةً أخرى فى حدود ظروف معينة (٧ : ١٢ - ١٦) بالرغم من أن تعليم يسوع ومبدأه الأساسى لا يذكر أية استثناءات ، وبكلمات أخرى فإن كلاً من متى وبولس قد فهما أن قاعدة يسوع هى قاعدة عامة ، ولا تطبق على كل حالة ، وأن الاستثناءات يمكن تقديرها قبل تأصيل القاعدة .

العبارة الاستثنائية التى تسمح بالطلاق فى حالة الزنا (لا طلاق إلا لعلة الزنا) فى كلام إنجيل متّى لا نجدها فى كلام بولس كجزء من أقوال يسوع ، وحيث أن هذه العبارة تتناسب مع قرينة يهودية القرن الأول الميلادى - كما سنناقشها فى الفصل التالى - فإنه من المحتمل أن تكون عبارة أصيلة فى كلام يسوع ، وأن مرقس ولوقا وبولس قد حذفوها ، ومن جهة أخرى فإن الدلائل تشير إلى أن متّى قد أضافها كملحوظة توضيحية إلى الصيغة الأصلية لأقوال يسوع ، وقناعتنا على أى حال هى أنه إذا كانت هذه العبارة الاستثنائية لم ترد فى كلام يسوع فإن معناها وارد فى تعليمه ، ويكون متّى على صواب تماماً فى إضافته إلى النص الوارد فى إنجيله .

ولماذا يصر متّى على هذا الاستثناء ؟ بالتحديد لأن تعاليم يسوع عن الطلاق مثله مثل معظم تعاليمه ليست فى صيغة قانونية تفصيلية ، كما كان الحال فى تعاليم بعض المعلمين الآخرين فى أيامه ، فهو قد شدّد وأكّد على إيجاد مبادئ فى القانون معطياً كل الاهتمام لكلمة الله كمطلب نبوى،

أكثر منها حالة قانونية تتطلب وضع استثناءات أو احتمالات تشريعية .
فإذا أُريد لكلمات يسوع أن تأخذ وصفاً قانونياً ، فإنه لا بد من كتابتها فى شكل صيغة قانونية ، أما إذا لم تأخذ كلمات يسوع شكل الصيغة القانونية فيكون المبدأ الأساسى هنا هو عدم تفسيرها تفسيراً قانونياً . هذا التفسير القانونى الذى اختارت الكثير من كنائسنا اليوم أن تأخذ به وتطبقه .

فقد كان من الطبيعى فى أيام متّى افتراض أن أى قانون يحتاج إلى صياغة ، كما أن وجود استثناءات للقواعد العامة تحتاج إلى توضيح مفصّل هو أمر وارد فمثلاً ، يشير (كينتليان Quntilian) وهو خطيب رومانى بليغ من القرن الأول الميلادى إلى نص من القانون الرومانى لكنه يوضح أن الاستثناءات متضمنة فى ثناياه : (" على الأولاد أن يعولوا والديهم أثناء تنفيذ عقوبة الحبس " لكن من الواضح أن هذا لا ينطبق أولاً على الأطفال فعند هذه النقطة نلجأ إلى استثناءات أخرى محتملة نوضحها كما يلى)

وكتاب (كينتليان) هذا عن الخطابة ، ومن ثَم فهو يستخدم نفس نوع الجدال الذى يستخدمه المحامون عندما يتناولون النصوص القانونية بالتعليق .

كما كان طبيعياً جداً أن يقوم الكُتّاب الأقدمون بإعادة صياغة عبارات وأقوال مشاهير المعلمين بكلماتهم الخاصة ، وقد كانت هذه ممارسة لغوية معيارية يقوم بها كل من تعلموا تعليماً يونانياً عادياً .. ويبدو أنه من الأسلم لنا كثيراً أن نقبل تفسير متّى لكلمات يسوع باعتبارها تحتاج إلى صياغة قبل أن يتم استخدامها بطريقة قانونية ، وهذا أفضل من أن نقبل تفسير بعض القرّاء المحدثين الذين لا يفهمون ثقافة وحضارة القرن الأول ولا صيغ الحديث المستخدمة فيه ، **وبكلمات أخرى علينا قبل أن نعتبر الزواج**

للمرة الثانية خطية . أن نسأل هل اعتبر يسوع الطلاق الذى سبقه سارياً أم لا ؟

ما معنى العبارة الاستثنائية ؟

" **إلا لعلة الزنا** " . يحتمل أن تعكس هذه العبارة لغة (تث ٢٤ : ١) التى من الواضح أنها تسمح بالطلاق بسبب النجاسة .. والكلمة العبرية المترجمة هنا « بسبب » تترجم فى اليونانية « علة » ، ومن ثم فإن متّى هنا يشرح معنى الشريعة الواردة فى سفر التثنية فيفسر (النجاسة) على أنها (الزنا) والسؤال هو (ما الذى يقصده بعبارة " الزنا ") والكلمة فى حد ذاتها صريحة بما فيه الكفاية ، وتشير إلى أى نوع من الفجور الجنسى بما فيها الاتصال الجنسى بين شخصين غير متزوجين ، والزنا والنشاط الجنسى بين رجلين (اللواط) الذى يستطيع العهد الجديد والكتّاب اليهود أن يتكلموا عنه بكل صراحة ، طالما أن الشكل الوحيد المقبول أخلاقياً للنشاط الجنسى فى الكتاب المقدس هو الذى يتم بين زوج وزوجة . وفى قرينة أسباب طلاق زوجين فإن التعبير لابد أن يحمل فى ثناياه انغماس أحد طرفىّ الزواج فى نشاط جنسى خارج حدود الزواج ، لكن بينما يتضح هذا المعنى بصراحة ووضوح ، فإن العدد الضخم من المقترحات حول معنى كلمة (الزنا) فى هذه الفقرة يبدو أنه يتحدّى هذه الإجابة البسيطة .

تفسيرات لعبارة الاستثناء :-

سنقوم فى هذا القسم بتلخيص أمثلة من الاتجاهات الضخمة من الآراء التى أُقترحت لتفسير هذه العبارة . لكن علينا أن نعترف صراحةً أن الكثير

من أولئك الذين اقترحوا التفسير الأشد تحفظاً لكلمة (الزنا) فى هذه الفقرة هم علماء اللاهوت البروتستانت أو الكاثوليك المحافظين الذين يستندون إلى أكثر التقاليد تشدداً فى معارضة الطلاق تحت كل الظروف ورغم أن هذه الحقيقة لا تطعن فى حكم العلماء الذين سيلى توضيح آرائهم لكن يمكن للمرء أن يلاحظ أنهم يشدّدون على عدم وضع أية استثناءات بخصوص القواعد التى تكلم بها يسوع ، ومعظم هؤلاء العلماء يريدون الوصول إلى ذلك بمختلف الطرق .

وتصر بعض التفسيرات على أن هذا الاستثناء ليس (استثناءً) على الإطلاق ، فيقول أحد الكتاب { العبارة إنما تعنى أن زواج المرأة مرةً أخرى لا يعتبر سبباً فى ارتكابها الزنا وذلك فى حالة طلاقها بسبب الفجور ، لأنها تكون فعلاً قد ارتكبت الزنا من قبل طلاقها } والمشكلة أن هذا الاقتراح ساذج جداً فلو كان ما يقوله صحيحاً ، ما كان هناك داع أصلاً لذكر عبارة الاستثناء طالما أنها لن تضيف شيئاً إلى التقرير . فإذا كان المقصود هو ما يقوله هؤلاء المفسّرون فإن وضعها بمثل هذه الطريقة التى لم يستطع إلا القليلون جداً من المفسّرين ، على مدى التاريخ إدراكها ، يصبح غريباً جداً .

ويقول اقتراح مرتبط بهذا إن (الحالة الوحيدة التى يمكن للرجل أن يتخلّى عن المرأة هى إذا ما كان يرتكب معها الزنا فعلاً . أى إذا كانا غير متزوجين زواجاً موثقاً). وفى مواجهة هذا الرأى هناك البيان الصريح الوارد فى الآية والذى يحدد للمرأة صفة الزوجة ، وهو نفس التعبير الوارد فى النص الموسوى فى (٥ : ٣١) كما أن كلمة (الطلاق) هى نفس التعبير الوارد فى الآية السابقة .. فلو كان (متّى) يريدنا أن نفهم هذا التعبير على أنه شئ آخر يختلف عن طلاق (زوجة) فى ظروف معينة فإنه يكون

قد فشل فى توضيح ما يريده . وفضلاً عن ذلك فإن التعبير المترجم (زنا) يمكن أن يشير إلى أى سلوك جنسى منحرف ، وليس فقط إلى الاتصال الجنسى بين غير الأزواج ، وعليه فليس هناك سبب يجعلنا نفهم أن العبارة الاستثنائية تعنى (إلا فى حالة الزنا مع شريك ليس زوجاً حقيقياً له) وأخيراً وبما أننا سوف نناقش الموضوعات الساخنة المثارة فى أيام يسوع (فيما يلى) فإن التفسير الأكثر طبيعية يقدم نفسه (كما هو موضح فيما يلى) .

يقول البعض أن الاستثناء(إلا لعلة الزنى) يبدو واقعى ، إلا أن حدوثه نادرا جداً عملياً ولا ينطبق إلا على الارتباطات غير الشرعية ويقول هذا الرأى (أن الاستثناء يشير فقط إلى الزيجات التى ما كان ينبغى أن تُعقد أصلاً) وهى باطلة من الأساس وليس لها وجود أصلاً .

وهذا الرأى يشير إلى العلاقات غير المشروعة بين الأقرباء ، أو الأنسباء التى جاء النهى عنها فى (لاويين ١٨) ، ويرى العلماء القائلين بهذا الرأى أن (متّى) سمح بالطلاق فقط إذا كان أحدهم متزوجاً بامرأة تُمت له بصلة قرابة ممن نهى عنهم سفر اللاويين ، ورغم أن هذا الرأى أصبح شائعاً فإنه يحتوى على ضعف خطير ، لأنه لا توجد أية دلالات لغوية لتحديد معنى التعبير (الزنا) بحيث يشير فقط إلى الحالات المتعلّقة بسفاح ذوى القربى . وليس هناك أى شئ فى القرينة يشير إلى أن متّى استخدم مثل هذا التحديد ، وبقراءة ما جاء فى (متّى) ببساطة ، وعلى أساس القرينة أو الاستخدام العام للتعبير، والتصور اليهودى عن أسباب الطلاق . فلا يكون هناك مجال للاستدلال بأن " الزنا " هنا مخدد بسفاح ذوى القربى .

وبعض الحجج التى يدافعون بها عن تفسير (سفاح ذوى القربى) أو

الزواج المحظور ، يقتبسونها مما قاله معلمو اليهود المتأخرون الذين ناقشوا الطلاق على أساس محظورات سفر التثنية ، لكن القول أن بعض الربيين ناقشوا هذا الموضوع شئ مختلف تماماً عن القول بأن هؤلاء الربيين أنفسهم كان يمكن أن يقرأوا بياناً عن (الزنا) باعتباره لا يشير إلا إلى (سفاح ذوي القربى) فإن أمثلة أخرى للزنا يمكن أن تكون قد وردت على أذهانهم بنفس السهولة ، وأن الربيين فى الحقيقة قد ناقشوا أنواعاً أوسع من الزنا فى قرينة الطلاق .

ويقارن علماء آخرون ممن يعتقدون أن (الزنا) فى نص (متى ٥ : ٣٢) يعنى (سفاح ذوى القربى) ما جاء فى (أعمال ١٥ : ٢٠ ، ٢٩ ، ٢١ : ٢٥) التى يقولون أنها تثبت أن المسيحيين الأوائل من أصل يهودى كان عليهم أن يتعاملوا مع موضوع (سفاح ذوى القربى) بين المهتدين إلى المسيحية من الأمم . وقراءة (أع ١٥) بهذا المفهوم قائم على أساس الافتراض اليهودى بأن الأمم كانوا يرتكبون خطية (سفاح ذوى القربى) .. والحق أن هذا الاقتراح مثير للمشاكل ، فإن وجهة نظر اليهود القائلة بأن الأمم كانوا يقترفون جريمة (سفاح ذوى القربى) ما هى إلا جزء من الفكرة اليهودية العامة عن الأمم الذين يعتبرون نجسين ، وحتى إذا كان رأى اليهود أن الزواج بين الأقارب المحرّمين كان متفشّياً بين الأمم (لدرجة أن هذا هو الذى يتبادر إلى الذهن عند قراءة كلمة النجاسة هو قيام علاقة المحارم ، وليس النجاسة العامة للأمم) ما كان للوقا أن يكتب هذا فى تاريخه فلقد كان لوقا معتاداً تماماً على المجتمع اليونانى الرومانى ، وكان عليه أن يعى كبولس - أن هذا الرأى القائل بتفضيل الأمم للزواج بين المحارم كان مفهوماً خاطئاً (١ كو ٥ : ١) وليس هناك أى دليل على أن (أعمال

١٥) يشير بالتحديد إلى زواج المحارم وليس إلى الزنا على وجه العموم تماماً ، كما لا يوجد أى دليل على هذا التأكيد فى (متّى ٥ : ٣٢) .. وأن نفهم (أع ١٥) بهذه الطريقة ثم نطبّق هذا التفسير الخاطئ على (متّى ٥) ، فهذا هو الأمر الذى يعتبر تفسيراً غريباً . وهناك اقتراح آخرلكنه بدوره بعيد عن الصواب ، يقول (إن الزنا الروحى الناشىء عن رفض المسيح هو المقصود بعبارة " النجاسة " أو " الزنا ") وفى هذه الحالة يجد العلماء سابقة ضيق الحقّ الكنيسة فى إلغاء الزيجات الأصيلة . لكن بولس فى (١ كو ٧) يرفض صراحةً الطلاق على أساس عدم الانسجام الروحى ، هذا فضلاً عن أنه يوجد العديد من السوابق للزنا الروحى فى الكتاب المقدس ، فليس هناك سابقة بهذا المعنى فى (متّى) الذى يشير فى أماكن أخرى إلى الزنا كفعل جسدى ـ أى خطية الممارسة الجنسية (١: ١٩ ، ١٥ : ١٩ ، وقارن ٢١ : ٣١، ٣٢) وعليه فإن متّى لا يعطى أى تلميح إلى أنه يقصد شيئاً آخر غير ما يعنيه عادةً بهذا التعبير .

إن مشكلة كل هذه التفسيرات هى أنها تضع تفسيرات محددة عن كلمة (الزنا) فإن هذا التعبير ينطبق على أى نوع من الخطايا الجنسية بوجه عام، ما لم توضح القرينة نوعاً محدداً .. والقرينة هنا لا تسمح بتضييق معنى كلمة (الزنا) .. فالفسق هنا ليس مجرد جنس بدون زواج ، ولا هو مجرد زواج المحارم ، بل هو أى نوع من عدم الأمانة الجنسية بالنسبة لأحد طرفيّ الزواج ، وحيث أن عدم الأمانة (أو الخيانة) التى يقترفها المتزوجون تعتبر زنا ، فيكون نوع الفساد الأخلاقى المقصود هنا هو الزنا .

الفساد الأخلاقي باعتباره (زنا) .

رغم ما يبدو من تكرار حدوث الزنا في المجتمع اليوناني/ الروماني / فقد ظلت النظرة إليه دائماً كعمل لا أخلاقي مخجل يشمل سرقة أعز ما يمتلكه الإنسان ، وهو العاطفة الفريدة لزوجته :. وقد كان مجرد الشك في وجود علاقة خاطئة مع إحدى الزوجات من الطبقة العليا كفيلاً بأن يقود إلى عقوبات قاسية مثل الطرد والنفي إلى إحدى الجزر مثلاً .. كما قد يواجه الزناة الموت على أيدي الأزواج والآباء في ظروف معينة ، أما الزوجات الزانيات فكان يحرم عليهن الزواج من المواطنين الرومانيين الأحرار .

لقد كان (الزنا) منذ أزمنة بعيدة أساساً للطلاق في القانون اليوناني الروماني والشريعة اليهودية ، بل أن القانون الروماني واليهودي كان يجبر الزوج على تطليق زوجته إذا وُجدت في حالة زنا ، وقد تضمن القانون الروماني منذ أيام أوغسطس عقوبات تُفرض على الزوج الذي يفشل في تنفيذ ذلك .. حيث كان يعتبر ضعيفاً تافهاً أمام زوجته ، وفي كل من القانون الروماني واليهودي كانت الزوجة الزانية تخسر بائنتها (الصداق) هناك أراء تهاجم الرأي القائل بأن يسوع كان يشير هنا إلى (الزنا) ويقولون إن المعنى المقصود بالزنا غير مُستخدم هنا ، وهذه حجة غريبة من جانب الذين يريدون تحديد معنى التعبير حتى في حدود أضيق من فكرة زواج المحارم ، وهو الأمر الذي يفعله معظم من ينتقدون الأخذ بفكرة الزنا ، لكن الاعتراض على أي حال قائم ويجب بحثه ، فلماذا استخدم متّى تعبيراً يشير إلى معنى أوسع من (الزنا) إذا كان (الزنا) هو كل ما يقصده ؟

أن (متّى) استخدم تعبيراً أوسع لأنه كان يقصد أن يصل إلى معنى أكثر مما كان يدل عليه التعبير الضيق لكلمة (زنا) ، فإن معظم الخيانات

الجنسيـة التى يرتكبـها شخص متـزوج تأتـى تحت عنوان (الزنـا) ، لكن (متّى) يرغب في أن تشمل الكلمة معان أكثرمما كانت الكلمة نفسها تحدده .. وبينما قد يكون من التجاوز قراءة تعبير (الزنا) على ضوء ما جاء فى (متى ٥ : ٢٨) وأن تعتبر الشهوة مبرراً لوقوع الطلاق ، فإن وجهة نظر (متّى) هى أن الخطية الجنسية فى إطار الزواج لا تحتاج إلى ارتكاب الزوجة للاتصال الجنسى مع رجل آخر ، فماذا نقول إذا كانت الزوجة تطارد الرجل الآخر لكنه يرفض أن يتجاوب مع عاطفتها ؟ قد لا تكون مرتكبة لخطيئة الزنا فعلاً ، لكن من المؤكد أنها تمارس نوعاً من الفساد الجنسى على أعلى المستويات .

إن مثل هذا التفسير لعبارة " إلا لعلة الزنا " قد يكون فعلاً هو ما فهمه المسيحيون الأوائل من أصل يهودى من هذه العبارة .. فإن المعلمين اليهود الذين قالوا إن الرجل يستطيع أن يطلق امرأته لسبب واحد هو (عدم العفّة) قصدوا بذلك أى نوع من الطيش أو الخيانة ، بما فى ذلك خروج المرأة من بيتها مكشوفة الشعر ، الأمر الذى كان يعتبر فى تلك الحضارة أنها تنطلق إلى زوج آخر غير زوجها .

وبذلك تفهم مدرسة شماى التعبيرات العبرية المترجمة (وجد فيها شئ عيب) (تث ٢٤ : ١) بمعناها الحرفى أى : (إذا وجد فيها شيئاً غير مغطىً) وبكلمات أخرى كما تقول مدرسة شماى إن الزنا الفعلى ليس هو السبب الوحيد للطلاق ، بل كل ما يعتبر نوعاً من الوقاحة أو عدم الحشمة مما يقود - ولو بوصفة غير مباشرة - إلى الشك فى الزنا .

وليس هذا التفسير مقصوراً على مدرسة واحدة فقط من الربيين (المعلمين اليهود) فإن " فيلو " أحد يهود الشتات الذى كان قريباً من

الفكر اليونانى أصرّ على أن أى حجة يجدها الشخص لتطليق زوجته لابد أن تكون مرتبطة بحقيقة أنها قد انتهكت روابط زواجها بطريقة ما .

لم يكن (متّى) محتاجاً لأن يكون متوسعاً فى تفسيره لتعبير (الزنا) مثل هؤلاء المعلمين ، لكن قصده يبدو أنه أشمل من مجرد انغماس شريك الحياة فى علاقة جنسية مع شخص آخر ، فمجرد البحث عن علاقة غرامية أو جنسية يبرر الطلاق سواء وجدت المرأة شخصاً آخر راغباً فى التوافق معها أو لم تجد ، ويبدو أن (متّى) يريد أن يعطى صياغةً لتعليم يسوع بأسلوب يكفى للسماح بالطلاق فى حالات قضائية واقعية مختلفة .

ومن المحتمل أن يشمل المعنى أيضاً سوء التصرّف المستمر ، وليس مجرد فعل الزنا مرة واحدة ، وهذا الاحتمال يمكن أن يتمشّى مع الطبيعة الواسعة للتعبير (الزنا) ، ومع تشديد (متى) على الغفران المستمر للتائب مهما حدث منه (متى ١٨ : ٢١ - ٣٥) فإن المعنى فى هذه الحالة أن هذا الاستثناء هو فى الحقيقة مجرد استثناء وأن تطليق شريك الحياة الخائن الذى يستمر فى خيانته لا يحل الرابطة الزوجية ، بل هو يضفى الصفة الرسمية على عمل الشريك الخائن الذى حل هذه الرابطة فعلاً بإنكاره العملى المستمر . وقد لا يكون هذا التفسير هو أكثر التفسيرات طبيعية بالنسبة للقرّاء اليهود القدماء ، لكن فى قرينة تعليم يسوع عن الصفح عن التائب ، يمكن افتراض أن خطايا الماضى .. حتى ولو كانت خطايا الماضى القريب لا تظل محسوبة عليه طالما أنه تاب عنها وكفّ عن ارتكابها .

وعلى أية حال فإن هذه الفقرة تصرّح بوضوح للطرف البرئ فى الطلاق أن يتزوج مرةً أخرى ، ففى العهد القديم كان الطرف الزانى ينفذ فيه حكم الموت ، وبذلك كان يمكن أن يصرح للطرف الآخر بالزواج مرة أخرى بصفة

(أرمل) حتى وإن كان موسى لم يكن لديه حالات يصرح فيها بالطلاق فى (تث ٢٤ :١) وقناعتنا أن تعاليم يسوع لا يفرض على الطرف الذى يستمر شريك حياته فى ممارسة الفسق عقوبات أصعب من موسى (حقاً أنه ومع وجود الرأى القائل بأن المحكمة السماوية تنفذ العقوبات القصوى التى لا تستطيع محكمة يهودية أرضية تنفيذها ، فإن الموقف القانونى والروحى للشريك الزانى هو فعلاً الموت) .

على أن الجميع لا يتخذون مثل هذا الموقف المتساهل تجاه الشريك البرئ الذى سقط ضحية الغش أو الهجر ، فإن واحداً من العلماء يحاج قائلاً : إن التصريح بالطلاق هو لليهود فقط وليس للأمم ، وهذا هو السبب فى أن (متّى) يذكره ، وهذا يعنى أن المسيحيين من أصل أممى لا يسمح لهم بالطلاق لأى سبب كان ، ويبنى كلامه هذا على أساس رأى الربيين اليهود القائل إن الطلاق كان حقاً ممنوحاً للرجال الاسرائيليين فقط ، لكن لو أن (متّى) اتفق مع مثل هذا الرأى فإنه يكون من الشذوذ أن يضّمنه صراحةً فى إنجيله حيث أن كل هذه التعاليم الواردة فى إنجيله كان مقصوداً بها أن تصل إلى الأمم (٢٨ : ١٩) وهل علينا أن نفترض أن كلا من مرقس ولوقا وبولس كان لديهم قرّاء من غير اليهود ضمن جمهورهم ، وهم كانوا يرغبون فى توصيل هذا التقليد اليهودى إليهم ، والذى كان يمكن أن يجعل بعضاً منهم يتحلّلون من ارتباطاتهم ؟ وأخيراً فإن اليهودية القديمة كانت متنوعة ، ويبدو أن معظم الشعب اليهودى فى العالم اليونانى كان يتبع العادات اليونانية فى الطلاق ، فهل علينا أن نفترض أن (متّى) كان يتوقّع من اليهود الذين يقرأون اللغة اليونانية ، أن يعرفوا من أى اتجاه من اتجاهات التقليد اليهودى كان يقتبس ، ثم يقرأ ما يكتبه (متّى) فى نفس

هذا الاتجاه الذى اقتبس منه ، خصوصاً وأن دليلنا على هذا التقليد متناثر وحديث ؟

ويقول آخرون أن يسوع أعلن هذا الاستثناء المتساهل على الملأ ، إلا أنه أخبر تلاميذه بصفة شخصية ما يطلبه حقاً منهم : إنه غير مصرِّح لهم بالطلاق حتى فى حالة الزنا . وبينما يستطيع أحدهم أن يحتج بهذا فى مواجهة ما جاء فى (مرقس ١٠ : ١ - ١٢) فإن هذه الفقرة ببساطة ليست هى المقابل لما تقوله فقرة (متّى) كما أنه لا يمكن الجدال فى الحالة الواردة فى (متّى ٥ : ٣١ - ٣٢) التى يأخذها القارئ على اعتبار أنها من مطالب يسوع الأساسية لمن يريدون أن يكونوا تلاميذاً له .. وإذا كان لا يصح الجدال فى أقوال (متى ٥ : ٣١ - ٣٢) فمن المفترض ألا تجادل بالنسبة للفقرة الأخرى كذلك .

طلاق لكن دون زواج مرة أخرى :

يقول بعض العلماء أن هذه الفقرة تسمح حقاً بالطلاق فى حالة الزنا . لكنها لا تسمح بالزواج مرة أخرى . أما السماح بالطلاق هنا فسببه أنه يضع الشكل الرسمى لفصم عرى الزوجية الذى تم عملياً حسب الشريعة اليهودية من خلال زنا الزوجة .. لكن على ضوء ما جاء فى (١٩ : ١٠ ـ ١٢) "قال له تلاميذه ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات " فإن المدافعين عن هذا الرأى بصفة خاصة يقولون أن هذا النص لا يسمح بالزواج مرة أخرى . كما يقولون أيضاً أن متّى

يضمن عبارة الاستثناء لأنه فى فلسطين اليهودية كان القانون يأمر بالطلاق لسبب الزنا ، وأن قراء (متّى) كانوا يجبرون على الإذعان له بعكس الحال مع قراء كل من مرقس ولوقا .

ورغم أن هذا موقف يمكن الدفاع عنه حسب قواعد اللغة ، إلا أنه لا يتفق تماماً مع عدة عوامل .

أولاً : إذا لم يكن الاستثناء يتضمن التصريح بالزواج مرة أخرى ، فلا يكون هناك داع لذكره أصلاً ، وما كان أحد ليشك فى أن الزوجات كان يمكن تطليقهن رغماً عنهن فى القانون الفلسطينى اليهودى ، أو أن أياً من شريكىّ الحياة يستطيع أن يطلّق الآخر من جانب واحد حسب القانون الرومانى ، فماذا يكون الوضع إذا بدأ أحدهما علاقة جنسية غير مشروعة ورغب فى التخلص من رباط الزوجية ؟ كيف يستطيع الشريك الثانى منع حدوث هذا ؟ إن الاستثناء لا يوضح الكثير عن قول يسوع إذا تم تطبيقه فقط على الطلاق ومنع الزواج مرّة أخرى .

ثانياً: إذا كانت العبارة الاستثنائية تسمح بالطلاق فإن القارئ اليهودى فى القرن الأول كان لابد أن يفترض أنها قد سمحت بالزواج مرة أخرى ما لم ينص صراحةً على خلاف ذلك .. فقد كان جزءاً لا يتجزأ من طبيعة وثيقة الطلاق أن تحرر الزوجة لتتزوج مرةً أخرى (أما حق الزوج فى الزواج مرةً أخرى فكان أمراً مفترضاً) وبينما يمنع يسوع هنا الطرف المخطئ (الزانى) من الزواج مرة أخرى فإنه يسمح بنوع من الطلاق الشرعى الذى يسمح بدوره بزواج جديد سارى المفعول للطرف البرئ .

ثالثاً : يلجأ هؤلاء العلماء إلى غموض لغة الأصحاح التاسع عشر كإجراء غريب لتفسير الآية (٥ : ٣٢) فليس من المعقول أن نتوقّع من القارئ أن ينتظر حتى يقرأ (أربعة عشر) أصحاحاً لكى يصحح مفهومه الخاطئ بل يكون من الأرجح بالنسبة للقارئ أن يفهم ما جاء فى (١٩ : ٩) على ضوء ما سبق أن قرأه فى (٥ : ٣٢) .

رابعاً : القول أن قرّاء (متّى) فقط دون قرّاء مرقس أو لوقا هم الذين يُجبرون على تطليق زوجاتهم الزانيات ليس قولاً دقيقاً كما قلنا من قبل ، فإن القانون الرومانى المعاصر لهم ، والذى كان يتبعه قول مرقس عن الطلاق كان يتطلب الطلاق لأسباب أخرى ، وكما يلاحظ (وليام لوك William Luck) أن القانون الكتابى سمح بالطلاق كتأديب (إرميا ٣ : ١ ، إش ١:٥ ، هوشع ١ ، ٢) وأن يسوع أنكر أنه كان ينسخ التعاليم الكتابية (متى ٥ : ١٧ - ٢٠) فضلاً عن أن (لوك) يلاحظ أن (متّى) لم يكن فى أى وقت يستبعد دعوة القرّاء للوقوف فى وجه المدنية والثقافة (بما فيها المحاكم اليهودية) عندما تتعارض تلك المدنية مع تعاليم يسوع .

خامساً : ما جاء فى (متى ١٩ : ١٠ - ١٢) كان موجهاً لأولئك الذين يستطيعون ، وليس لأولئك المطلقين ، فى جدال يشبه ما قاله بولس عن العزوبية (١ كو ٧) وسوف ندرس هذه الحجج بتوسع أكبر فى الفصل التالى عند معالجة الفقرة (متى ١٩ : ١ - ١٢) .

وأخيراً فإن عدم السماح للطرف البرئ فى الطلاق بالزواج إلى الأبد يلغى قانون يسوع عن الرحمة (٩ : ١٣ ، ١٢ : ٧) فإذا كان تأكيد يسوع فى هذه الفقرة على قدسية الزواج . فيبدو أن عقاب طرف برئ بدلاً من الدفاع

عنه يكون أشبه بنوع التفسير الذى يقدمه أعداء يسوع (قساة القلوب) فى (١٩ : ١٨) منه للتفسير الذى يقدمه يسوع نفسه .

لكن هؤلاء العلماء يقولون إن (متى ٥ : ٣٢) لا يسمح للزوجة البريئة المطلقة أن تتزوج مرةً أخرى ، وأنها إذا فعلت كما يدّعون فإن هذا النص يتهمهما بالزنا.. ولماذا يعامل الزوج البرئ معاملة تختلف عن معاملة الزوجة البرئية ؟ لكن لفهم هذا النص يجب الأخذ فى الاعتبار متطلبات القانون الفلسطينى اليهودى ، فقد كانت العادات الفلسطينية اليهودية مألوفة ليسوع ولمعظم قرّاء (متّى) بينما يحتمل أن تكون غير مناسبة فى معظمها لقراء مرقس ولوقا (وقد سبق لنا أن انتقدنا العلماء لجعلهم عادة فلسطينية يهودية مخصصة لمتّى ومتعارضة مع مرقس أو لوقا ، ولكن ذلك حدث لأنها كانت أيضاً عادة رومانية) .

وحيث أن الشريعة اليهودية سمحت للزوج أن يتزوج أكثر من زوجة فى وقت واحد ، ولم يعتبر مضاجعة زانية أو عذراء زنا (رغم أنه كان يُرغم على الزواج من الأخيرة) فإن الزوج لم يرتكب الزنا ضد زوجته بل ضد زوجة الرجل الآخر . وهذا أمر شائع فى العهد القديم والشريعة اليهودية و(متّى) لا يجيزه أو ينتقده ، فقد كانت هذه ببساطة هى العادة الموجودة فى أيامه . إذاً ، فإن فقرة (متى ٥ : ٣٢) يَقول إن الزواج يظل سارياً فى نظر الله إلى أن يقوم أحد طرفيه بإلغاء الزواج عن طريق الخيانة . وفى المجتمع الفلسطينى اليهودى كان الرجل الذى يتزوج من امرأة مطلقة يعتبر زانياً ، لأن الزواج السابق إما أن لا يكون قد تم إلغاؤه فى نظر الله كما يقول يسوع، أو أن يكون قدتم إلغاؤه واقعياً عن طريق زناها .. وكون الخيانة الزوجية تستطيع أن تلغى ارتباطات الزواج وتستوجب الطلاق أمر كان

يمكن أن يفترضه مرقس ولوقا دون حاجة لذكره .. وكون الزوج البرئ فى مثل هذا الطلاق حراً ليتزوج مرة أخرى كان يمكن اعتباره أمراً طبيعياً لأن الطلاق على هذا الأساس يكون طلاقاً سارياً . ولأن مرقس يطبّق القاعدة على الزوج وعلى الزوجة ، فيمكننا افتراض أنه فى مجتمع يطبّق شريعة الزواج الواحد، حيث يكون للزوجة أيضاً حق الطلاق ، فإن الزوجة البريئة يمكن أن يصرح لها أيضاً بالزواج مرة أخرى . وتستعين كلمات (متّى) بالعادات الفلسطينية اليهودية ، وتجعلها جزءاً من صيغة المبالغة ، ونحن نناقش على أساس المقدمة المنطقية التى تفترض أن قراء إنجيل (متّى) كانوا على ألفة مع النظم والقوانين الفلسطينية اليهودية ، على أنه يحتمل أن متّى هنا كان يتحدّى القانون اليهودى بدلاً من تأكيده . وأن العبارة التى تترجم عادة (الزوج المطلّق يجعلها « الزوجة » تزنى) قد تعنى فعلاً شيئاً آخر مختلف تماماً عما تتضمنه هذه الترجمة .. فقد لاحظ (لوك) أن الفعل فى صيغة المبنى للمجهول وهناك أمثلة قليلة جداً يكون فيها هذا الفعل فى صيغة المبنى للمجهول ذا مدلول عملى ، وبكلمات أخرى ربما يشير متى إلى أن الزوج المطلّق هو الطرف الذى يرتكب الزنا على عكس العادة اليهودية فهو (يجعلها تزنى) إذ يعاملها بعدم أمانة بتطليقها دون مبرر كاف . وهذا الفرض يناسب القرينة فإن الزوجة البريئة فى (٥ :٣٢) لا يجب أن تكون مذنبة أكثر من المرأة التى اشتهاها الرجل فى (٥ : ٢٨) ، أو الأخ المكروه بلا سبب فى (٥ : ٢٣) . فلو كانت ملحوظة (لوك) هذه صحيحة فليست هناك إشارة إلى أنها تدعى زانية إذا تزوجت مرة أخرى ، لكن نظراً لأن الكتاب يمضى فيقول " ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى " فيكون التفسير الذى أوضحته فى الفقرة أعلاه هو الأنسب .

وأياً كان البديل الذى نتبنّاه فإن التفسير الأكثر طبيعية هو أن الطلاق (ومن ثم الزواج مرة أخرى) مسموح به تحت شروط معينة . إذا كان أحد الشريكين وهى الزوجة فى هذه الحالة قد فصمت الوحدة بخيانتها . فما أن يتم فصم هذا الزواج عملياً حتى يكون التصديق القانونى على الانفصال خطوة ضرورية ، إلا إذا ندم الطرف بسبب الانفصال وطلب العودة إلى الوضع السابق . وحتى فى هذه الصيغة يظل قول يسوع محتفظاً ببعض قوة مبالغة .. وقد تستنبط استثناء ات أخرى فى ظروف أخرى كما سنرى من أقوال بولس فى (١ كو: ٧) لكن النقطة الرئيسية واضحة ، وهى أن الطلاق شر يجب تجنّبه بأى ثمن ، ولا يسرى إلا فى حالة استحالة إنقاذ الزواج ، ويستحيل إنقاذ الزواج إذا قرر أحد طرفىّ الزواج من جانب واحد ، أن ينهيه بالعمل على (الهجر) أو بارتكاب الزنا وفى مثل هذه الحالة يكون الطلاق هو الإعلان الرسمى لما هو واقع فعلاً . لقد انفصم الزواج ، والطرف المذنب يتحمل مسئوليته . وكما لاحظنا من قبل فإن المثال القصصى الذى يعطيه لنا (متّى) لتقرير الإجراء الصحيح لعبارة الاستثناء يوجد فى افتتاحية إنجيله وهى حالة يوسف النجار الذى كان مستعداً عندما اعتقد أن مريم كانت غير مخلصة له أثناء فترة خطوبتهما أن يطلقها (يتخلى عنها) (متى ١ : ١٩) .. والنص يقول أنه كان باراً وكان يرغب فى تطليقها لكنه أراد (تخليتها سراً) ليجنّبها الفضيحة . لكن القارئ الذى يعرف القانون اليهودى فقط (أو حتى القانون اليونانى أو الرومانى) كان لديه كل العذر ليفترض أن يوسف أراد الحرية لكى يتزوج مرة أخرى ، إلا إذا كان (متى) قد أخبرنا بخلاف ذلك .

وهذا يتناقض تماماً مع نموذج هيرودس السلبى ، والذى تعتبر علاقته مع

زوجة أخيه علاقة زنا صريح وعلاقة سفاح ذوى القربى قياساً بمستويات العهد القديم . فليست مشكلة هيرودس أنه كان متورطاً فى زواج مؤسس على أسس قانونية صحيحة ، بل بالحرى أن علاقته مع هيروديا بدأت بالإثم وما كان يمكن إقرارها فى مواجهة الله قط (١٤ : ٣ - ٤) .

والفرق كل الفرق بين هيرودس المذنب ويوسف البار . وقارئ إنجيل متى المسيحى اليهودى عندما يقرأ بداية إنجيل متى لأول مرة لابد أن يفترض حق يوسف فى الزواج مرة أخرى ، ويحتفظ بهذا الغرض خلال قراءته لباقى الإنجيل إلا إذا تم إنكاره صراحة بما يأتى بعد ذلك ، فهل تم إلغاء هذا الانطباع الوارد فى الأصحاح الأول من إنجيل متى صراحةً فيما جاء بعد ذلك فى الإنجيل ؟ هنا بعض الادعاءات القوية أن يسوع لم يصرح بزواج المطلقين مرة أخرى مهما كان الوضع تظهر فى مناقشة الفقرة (١٩ : ١ - ١٢) التى سنعود إليها فى الفصل التالى .

استنتاج ختامى

لقد أوضح يسوع بجلاء أن مبدأ الطلاق كان خاطئاً ، لكن تابعيه الأوائل فهموا أنه يمكن أن يكون هناك أطراف أبرياء فى عملية كسر عهد الزواج ، ويظهر متّى أن خيانة الطرف الخائن هى أساس قانونى للطلاق ، وأن الطلاق القانونى يلغى رباط الزواج بحيث يسمح للطرف البرئ أن يتزوج مرة أخرى بنفس الطريقة التى يتزوج بها الطرف الأعزب .. أن المطالب الأساسية للملكوت تحرِّم الخطية لكنها لا تحكم على البرئ بالإدانة .

(٤) يسوع فى مواجهة الفريسيين
متى يكون الطلاق خطيئة ؟

يقول لنا كل من (متى و مرقس) أن يسوع تكلم عن موضوع الطلاق فى مناقشة قانونية مع بعض من أشد كهنة اليهود صرامةً وتقوى . وبأخذ هذا فى الاعتبار ، تبدو قصة إنجيل متّى فعلاً أقرب إلى الطريقة التى كان يمكن أن تسير عليها المناقشة فى فلسطين اليهودية . وواضح أن مرقس قد حذف أو ترك بدون شرح بعض التفصيلات باعتبارها لا تتلاءم مع احتياجات قرّائه ، كما أن متّى قد توسّع فى المعنى الذى كانت تتخذه المناقشة القانونية فى وضعها الفلسطينى الأصلى . لذلك فسوف نركز على أقوال متّى مع التعليق على التفاصيل الواردة فى إنجيل مرقس عند الضرورة فقط .

فى (مرقس ١٠) سأل الفريسيون يسوع ما إذا كان الطلاق محللاً شرعاً أم لا ، ورغم أن هذا السؤال يمثّل مدخلاً لطيفاً للقضية ، إلا أنّ سؤال الفريسيين فى (متى ١٩) ما إذا كان يحل للرجل أن يطلق امرأته (لكل سبب) ينسجم أكثر مع ما كان يناقشه معلمو اليهود فى القرن الأول فيما بين أنفسهم ، ومع ما كان يمكن أن يوجهوه من أسئلة إلى يسوع لو أنهم رغبوا فى توريطه فى جدال معهم ، الأمر الذى كان عادياً بالنسبة لهم ، وهم يسألون " هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟" (متى ١٩ : ٣) فلو أن يسوع قال (نعم) لكان قد أخذ جانب إحدى المدارس الربيّة ، ولو قال لا ، فسيكون قد اتخذ جانب مدرسة ربيّة أخرى كانت أكثر دقّة فى مسببات الطلاق ، بذلك يصبح الموضوع ليس ما إذا كان الطلاق مسموحاً به أم لا بل على أى أسس يُسمح بالطلاق ؟ وهذا هو السؤال الطبيعى الذى

يمكن أن يسأله الفريسيون .

مدرستىْ (هلليل) و (شماى)

أدرك العلماء منذ وقت طويل العلاقة بين التعليم اليهودى فى القرن الأول عن الطلاق ، وبين هذه الفقرة . ويتلخص التعليم بإحكام شديد فى (المشنا) وبعض الأعمال الربيّة الأخرى الأقدم منها :

فتقول مدرسة (شماى) (لا يجوز لرجل أن يطلق زوجته ما لم يجد فيها عدم عفة) من نوع ما لأنه مكتوب " لأنه وجد فيها عيب شئ " (تث ٢٤ : ١) (أما مدرسة هلليل فتقول (أنه يمكن أن يطلقها لمجرد أنها أتلفت طَبقاً من الطعام لأنه مكتوب " لأنه وجد فيها عيب شئ") بينما يقول الربى أكيبا (حتى لو وجد أخرى أجمل منها لأنه مكتوب إن لم تجد نعمة فى عينه) .

وبهذا الخصوص قال أهل مدرسة شماى (يمكن للرجل أن يطلق زوجته فقط بسبب علة الزنا) إذا قيل لأنه وجد فيها عيب (أو أمر بغيض) وقال أهل مدرسة هلليل . يمكنه أن يطلق زوجته حتى إذا أفسدت طعامه .. لأنه قيل " وجد فيها شئ (أى شئ)" فردّت مدرسة شماى " إذا كانت قد ذكرت كلمة " شئ" فلماذا أضيفت كلمة " عيب " ؟

لقد كانت مدرسة (شماى) هى الأوسع انتشاراً فى أيام يسوع لكن مدرسة هلليل أصبحت أوسع انتشاراً فى أواخر القرن الأول .. وحيث أن كلا من (يوسيفوس) و(فيلو) كانا يتمسكان بموقف أكثر تساهلاً من مدرسة شماى : فيمكن القول أن جانب مدرسة هلليل فى هذا الأمر بالذات قد ساد فى أيام يسوع . لكن هذا الرأى موضع نقاش .كان (يوسيفوس) يكتب فى

أواخر القرن الأول ، كما أن رأى فيلو قد يكون أقرب إلى موقف مدرسة شماى فى النهاية ، والاثنان كانا يكتبان باللغة اليونانية للجمهور اليونانى الذى يعطى للموقف انطباعاً أفضل من اليهودية . وكون الزوج يستطيع تطليق الزوجة دون التقيد بأسباب الطلاق الأكثر تشدداً لمدرسة شماى كان أمراً لا نزاع عليه كما أن الفريسيين لم يفحصوا كيف كان اليهود الآخرين فى القرن الأول يمارسون الطلاق ، وحتى لو أنهم فعلوا فما كان يمكن أن تعتبر مدرسة شماى الطلاق الذى يتم على طريقة مدرسة هلليل سارياً ، وإلا فقد كان عليهم أن يمضوا فى طريقهم ليسايروا يسوع فى قوله إن الزيجات اللاحقة توصم بالزنا وغير الشرعية .

ولقد اعترض بعض العلماء على الإشارة إلى الجدال بين مدرستى هلليل وشماى هنا ، وهم يوضحون أن هذا النص يقول أن الفريسيين كانوا يجربون يسوع كما فعلوا فيما بعد فى أصحاح (٢٢) وأن هذه التجربة تتضمن شيئاً أكثر خطورة من مجرد السؤال إلى أى مجموعة من حكماء اليهود أراد يسوع أن ينضم . وردّنا على هذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : لم تأخذ المجادلات التى توجه إلى يسوع دائماً طبيعة التحدّى فإن أحد مجادلات يسوع فى أصحاح (٢٢ : ٢٣ - ٣٢) كان نوعاً من المجادلات التى لا تورطه فى مأزق أو مشكلة قانونية ، وفى حالة أخرى قطع رد يسوع دائرة معارضة الفريسيين تماماً ، لأنه كان رداً يهودياً قياسياً على السؤال الذى وجهوه إليه (٢٢ : ٣٧ - ٤٠) .

ثانياً : ربما سمع الفريسيون يسوع وهو يعلم عن الموضوع بعبارات تشبه تلك الواردة فى (متى ٥ : ٣٢) ، وربما أراد معلموهم القانونيون أن يستخدموا حججهم بطريقة أكثر إثارةً بتعارضها مع بعض لكى يستثيروا

جهل يسوع المحتمل ، أو تحدّيه لشريعتهم .

وأخيراً: فإن لغة يسوع أقوى من لغة مدرسة شماى فى القول أن الطلاق غير الشرعى يعتبر باطلاً لدرجة أن أى زواج يعقبه سيكون نوعاً من الزنا ، رغم أن يسوع يمكن أن يكون قد قصد ذلك بطريقة المبالغة ، إلا أنه كان واضحاً أنه قد قصده بطريقة رسمية أكثر مما فعل أهل مدرسة شماى الذين لم ينفذوا آراءهم بصرامة حيث أنهم لم يلغوا حالات الطلاق التى تمت على أسس لا تتفق مع تعليمهم ، وهذا لا يعنى أن يسوع لا يناقش فى حدود الجدال الذى يديره المعلمون (الربيّون) ، بل يعنى أن ما يقوله له سلطان أكثر مما يدعونه هم .

قصد الله النهائى . أن يصير الاثنان جسداً واحداً

يحفر يسوع شركاً بتفسير حرفى لجزء من الشريعة فى مواجهة تفسير حرفى آخر لها ، كما كان معلمو اليهود يفعلون أحياناً للتوصل إلى أهدافهم، ويسوع هنا يؤكد جهل معلمى اليهود بالأسفار المقدسة بقوله " أما قرأتم ؟(متى ١٩ : ٤ وقارن ١٢ : ٣ ، ٢١ : ١٦ ، ٢٢ : ٣١) ثم يلجأ بعد ذلك إلى قصة الخليقة " ورغم أن الشرائع اللاحقة قد تظهر ما سمح به الله فى معاملاته مع الإنسانية الساقطة فإن قصد الخليقة هى التى توضح مفهومه ، وكيف ستكون الحياة فى ملكوت الله القادم .

تعلن النصوص التى يقتبسها يسوع من سفر التكوين أن الله خلق الإنسان ، الذكر والأنثى ، وأن الزوج والزوجة يصبحان جسداً واحداً بالاتحاد الجنسى ، وفى كثير من التعليقات اليهودية على هذا النص كان يُفهم أن المخلوق الأول كان خليطاً من ذكر وأنثى إلى أن فصل الله الجزء الأنثوى من

جسد آدم وخلق منه (حواء) .. واقتباس يسوع للنص الثانى كان يمكن أن يقول أنه بالزواج يعاد استرداد هذه الوحدة بين الذكر والأنثى ، وسواء كان يسوع يقصد إثارة كل الأفكار اليهودية المتجمّعة حول خلق الرجل والمرأة أم لا فمن الواضح أنه يلجأ إلى مقاصد الله الأصلية باعتبارها مقياس الحياة فى الملكوت ، لقد قصد الله أن يصير الاثنان واحداً ، وأن هذا يمكن انتهاكه فقط بالطلاق ، أو بالتدخل السابق لطرف آخر مما يؤدى إلى تمزيق الوحدة ، وقد قرر بعض اليهود الأتقياء الذين عاشوا فى برية قمران على الأقل أن (تك ٢ : ٢٤) يحظر الزواج الثلاثى رغم أنه يبدو أن رأيهم هذا لم يكن له أثر فى باقى البلاد اليهودية . على أن هناك جدلاً مثاراً حول مدى انطباق تعليمهم ضد الزواج الثانى على الطلاق ، وإلى أى مدى كان ذلك مجرد تحريم لتعدد الزوجات فى ذلك المجتمع ، فإن أحد نصوصهم ينهى حرفياً عن العيش مع زوجتين فى وقت واحد ، لكنه لا يوضح إن كانت المرأة المطلّقة تظل معتبرة زوجة أم لا ، والأمر موضوع البحث يشبه (خدعة بليعال) بتعدد الزوجات حيث أن النص يجاهد فى شرح أن الملك داود ببساطة لم يعرف نظاماً أفضل منه .

والنص الآخر فى قمران الذى يوجه كلامه إلى نفس الموضوع مشابه لهذا ويسمح بصراحة بالزواج مرة أخرى فى حالة وفاة الشريك ، لكن يبدو مرة أخرى أن الكلام موجه بصفة خاصة ضد تعدد الزوجات الملكى الذى قاد الملك سليمان إلى الضلال (١ مل ١١ : ١) والذى سبق إدانته فى الشريعة (تث ١٧ : ١٧) وحيث أن الحظر هنا مأخوذ من نص سفر التثنية الذى يحظر تعدد الزوجات الملكى ، وحيث إن القرينة هى تعليمات موجهة إلى ملك ، فإن هذه الفقرة ليس فيها شئ عن حظر الزواج من زوجة ثانية بعد

طلاق الأولى ، تماماً كما كان الحال فى الفقرة السابقة . وحظر الزواج مرة أخرى بعد الطلاق لا يمكن أن يرد إلا على فكر أشخاص يألفون أقوال يسوع بهذا الصدد ، فإذا كان الطلاق سارى المفعول فلا يمكن أن نعتبر أن من يتزوج امرأة أخرى يجمع بين زوجتين فى وقت واحد وهذا مهم طالما أن البعض يقولون أن لفائف البحر الميت زعمت معارضة الزواج الثانى بعد الطلاق لكى يصلوا إلى أن يسوع كان يقصد ذلك .

ومن الجدير بالملاحظة أن يسوع يستخدم صورة الوحدة الروحية هذه لكى يدلّل أن الزواج يجب ألا ينفصم بواسطة الناس ، وليس للتدليل على أن ذلك الزواج لا يمكن أن يكون قائماً .

" إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان " (متى ١٩ : ٦)

لا يحظر يسوع التصديق على انفصال تم فعلاً عن طريق تصرفات الشريك الآخر التى تسببت فى نقض وحدة (الجسد الواحد) ، فهذا طلاق شرعى يجعل الشريك البرئ حراً فى الزواج مرة أخرى ، لأن هذا الشخص لم يعد متزوجاً من شريك حياته السابق .

لماذا سمح موسى بالطلاق ؟

إن لجوء يسوع إلى قصد الله الأصلى أظهر الطريقة التى يجب أن يكون عليها الملكوت ، لكن الفريسيين كانوا مستعدين بردهم " فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق " ألا يجب أن يزيد القانون شدّةً فى العالم الآتى بدلاً من أن يلغى ؟

على أن طريقة طرحهم السؤال تزحم الساحة بدون وجه حق ، فبينما

أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق للمرأة إذا طلقت (١٩ : ٧) فلا ريب أن ذلك كان لحمايتها ، ولم يعتقد أحد قط أن موسى أوصى كل واحد أن يطلق زوجته. ربما يكونوا قد اعتقدوا أن الطلاق كان إلزاميا في ظل ظروف معينة مثل حالة الزنا . لكن (الربّى أكيبا) الذى سمح بالطلاق إذا وجد الزوج امرأة أخرى أجمل من زوجته ما كان يمكن أن يقول بالتأكيد أن موسى أوصى أن يطلق الزوج زوجته لهذا السبب . ويستخدم الفريسيون هذه الكلمات فى (متى) لأنهم كانوا يحاولون تصوير يسوع كمن يسير ضد وصايا موسى .

لكن رد يسوع الصائب كان أن موسى لم يوص فى أى مكان بطلاق الزوجة ، بل أن الله هو الذى سمح به ، وكان يمكن لمعارضيه أن يفهموا هذه النقطة فوراً . لقد فهم الربيون مثلهم مثل سائر علماء القانون القدامى أن (الحق الممنوع) باعتباره قانون ثابت شئ لم يكن من الصواب أن يبدأ به لكن يجب التسليم به لأن الناس لن يستطيعوا أن يعملوا الصواب الكامل.. لكن يسوع يقول أن الله سمح بالطلاق كتنازل خاص بسبب الضعف البشرى لكن بوصول الملكوت الآتى سيتم استرداد مطالب الله الأصلية وإلغاء الحق الممنوع ، لذا يقول يسوع إنه أبعد ما يكون عن معارضة شريعة موسى الأصلية بل أنه يتمسك بها أكثر مما يفعلون هم .

" قال لهم إن موسى ، من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، لكن من البدء لم يكن هكذا " (متى ١٩ : ٨)

وهذا المبدأ المقتبس فى مواجهتهم يشبه (قانون الرحمة) الذى يستخدمه يسوع فى ٩ : ١٣ ، ١٢ : ٧ فالرحمة هى الطريقة الصحيحة لتفسير القانون وليس (قسوة القلب) فهو يقول إن موسى صبر على

طلاقكم لزوجاتكم لأن أقصى ما كان يستطيع الحصول عليه من هؤلاء القوم القساة القلوب هو الحماية الشرعية للمرأة المطلقة ضد رغبتها وإرادتها ، لكن لو أنهم كانوا رحماء منفتحين على طريق الله لكان قد تمسك بمستواه الأصلى النموذجى طوال الوقت ، ولم يكن لهم أن يبدأوا فى الطلاق .

ويمكن أن تصور ذلك إحدى القصص النادرة فى الأدب الربى حيث يجبر الربى عملياً على الوقوف إلى جانب الزوج ضد زوجته التى تصرخ طالبة عدم إتمام الطلاق تطبيقاً لقوانينهم ، وتقول القصة :

إن " حنينا " ابن المعلم " آسى " ألقى وثيقة طلاق لزوجته قائلاً لها : "هذه هى وثيقة طلاقك " فبكت بصوت عال ، وجاء جيرانها إليها وحاول الجيران مساعدتها لكن الربيين حكموا لصالح زوجها .. كان الربيون يشعرون أن الطلاق كان مأساة إلا أنهم تمسكوا (بالحق) الكتابى الممنوح للزوج بالطلاق إذا أراد .

الاستثناء لعلة الزنا هل كان استثناء يسمح بالطلاق فقط أم بالزواج مرة أخرى ؟

قال بعض العلماء إن عبارة الاستثناء (إلا لعلة الزنا) « أى العبارة التى تجيز الطلاق استثناء بسبب علة الزنا » فى (١٩ : ٩) تسمح فقط بالطلاق لكنها لا تسمح بالزواج مرة أخرى وبكلمات أخرى يستطيع الشخص بناء على هذا الرأى أن يطلّق بسبب خيانة شريك الحياة ، ولكن هذا لا يجعل الشخص الذى طلّق على هذا الأساس مؤهلاً للزواج مرة أخرى ، ويستندون فى هذا إلى ترتيب كلمات العدد (١٩ : ٩) .

" لكن أقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى "

وليس هذا هو الترتيب الشائع للكلمات ، وقد استغل معارضو الزواج مرة أخرى هذا الوضع إذ رأوا أنه يؤيد جملتين شرطيتين : إن الإنسان لا يمكن أن يطلق زوجته إلا بسبب الزنا ، وأن أى من يتزوج مرة أخرى (مهما كان سبب طلاقه) يزنى . ورغم أن بعض هؤلاء الكتاب معترفون بأن ترتيب الكلمات فى اللغة اليونانية أقل أهمية منه فى الترجمات المختلفة ، وإن التكوين اللغوى موضوع الدراسة يندر استخدامه جداً (مما قد يجعل من الصعب الحكم على نوعه) وغامض بعض الشئ . إلا أنهم يؤكدون أن ترتيب الكلمات هنا يؤيد موقفهم من أن العبارة الاستثنائية تنطبق فقط على الطلاق ، ولا تنطبق على الزواج مرة أخرى .

ورداً على هذا هناك عدة إجابات :

أولاً : يأتى الإنسان إلى (متى ١٩ : ٩) على ضوء ما جاء فى (متى ٥ : ٣٢) ، ويجد أن العبارة الاستثنائية موضوعة فى نفس المكان كما فى السابق ، و عدم تغير مكان العبارة لا يعنى أنها لا تخدم جزأى الجملة ، بل كما يقول (موراى) إن ذلك قد ينتج عنه جملة ذات معنى غير مؤكد حيث أن الفعل الرئيسى (يزنى) يعتمد على كل من (يطلق) ويتزوج بأخرى .

ورغم أن هذا حقيقى ، إلا أن هذا التكوين اللغوى الضعيف لا يصلح لأن تؤسس عليه أفضل الشروح ، سواء بالمصادفة أو باتباع ترتيب الكلمات الوارد فى (٥ : ٣٢) ، ومع ذلك فإن (متى) يغير من كلماته فى هذه العبارة ، وكان يمكنه أن يغير من ترتيب الكلمات كذلك ، وعليه فإننا ننتقل إلى **الرد المفحم الثانى** على الرأى القائل بأن الطلاق فقط هو المصرح به فى النص وليس الزواج مرة أخرى . الحقيقة البسيطة أن الطلاق فقط هو

الذى كان يؤخذ به بصورة مباشرة فى هذه الحالة .. وأولئك الذين يشيرون إلى التركيب اللغوى الغريب للجملة هم على حق فى النظر إلي العبارة على أنها تشرح طبيعة الطلاق ، ولا تشير إلى الزواج مرة أخرى مباشرة ، إلا أنهم أخطأوا فقط فى الاستنتاج الذى توصلوا إليه من هذه التركيبة اللغوية، فالعبارة الاستثنائية تلى الفعل (طلّق) ، ليس لأن الزواج التالى موضع بحث ، ولكن لأن الطلاق هو موضع البحث كما سبق أن اتضح فى (٥ : ٣٢) فإذا كان الطلاق سارياً فإن الزواج مرة أخرى لابد أن يكون سارياً كذلك ، ويسوغ يسمى الزواج مرة أخرى بعد طلاق غير شرعى (زناً) فقط لأن الطلاق لم يكن شرعياً بناء على عدم وجود مبررات كافية ، وقد كان القانون اليهودى القديم يدين الزواج مرة أخرى بناءً على مدى شرعية الطلاق. فالموضوع كله هو ما إذا كان الطلاق شرعياً أم لا ، وعليه فإن العبارة الاستثنائية يجب أن تزيل موضوع الطلاق .

والقول بأن الزواج مرة أخرى بعد طلاق شرعى أمر محظور معناه الجدال على أساس استدلال لا وجود له فى النص ، بل إن النص فى الحقيقة يعطى تأثيراً مضاداً لمثل هذا التفسير فإن الطلاق الشرعى ، حسب التعريف القياسى القديم ، كان يتضمن الحق فى الزواج مرة أخرى (وترتبط العبارات المستخدمة فيه (بتحرير) شخص من ارتباط لكى يسمح له بالدخول فى ارتباط آخر) وما كان يمكن لأى كائن يهودى من القدماء أن يفهم (متّى) بطريقة أخرى ، كما أن العبارة الاستثنائية كانت ستصبح قليلة القيمة عملياً إذا لم لم يستطع الطرف المطلّق الزواج مرة أخرى ولو أن متّى قصد شيئاً غير ما كان يمكن أن يفهمه قرّاؤه الأقدمون من المسيحيين من أصل يهودى ، فإن وضعه الغامض لعبارة الاستثناء لا يوضح ذلك ، ولا هو يزودنا بأى

إشارات إلى أنه يريد من قرّائه أن يفهموا عبارته بطريقة تختلف عن الطريقة الطبيعية التى كان يمكن أن يفهموها بها .

إن الحجة التى يقدمها مؤيدو فكرة (الطلاق لكن لا زواج مرة أخرى) والتى تقول إن كثيراً من آباء الكنيسة كانوا يحظرون الزواج مرة أخرى ، وأنهم كانوا أقرب إلى حضارة العهد الجديد مما نحن عليه الآن ، لا تساعد قضية (عدم الزواج مرة أخرى) الواردة فى متّى فإن نفس آباء الكنيسة كثيراً ما استخلصوا من هذه النصوص ما كان يحدث فى حضارتهم المعاصرة وما تميزت به من تزايد التقشف وفضلوا التوفيق الحرفى بين النصوص على حساب ما قصده الكُتّاب فى موقفهم التاريخى الخاص ، فعلينا نحن فى بعض الأحيان أن نختار بين ما كان يوصله الكُتّاب الملهمون فى موقفهم الخاص ، وبين كيفية فهم المفسرين اللاحقين المسيحيين لهم ، وقد لا يكون الاختيار أمراً شاقاً فإن آباء الكنيسة أنفسهم فضلوا التقاليد المسيحية الأولى على تقاليد معاصريهم ، كما أن يسوع يفضل موضوع سلطان الأسفار المقدسة الموحى بها عن التقليد البشرى (متى ١٥ : ٣ : ٩ ، مرقس ٧ : ٥ - ٩).

الخصيان من أجل الملكوت

وقد قال بعض من انتقدوا مبدأ (الزواج مرة أخرى) بعد الطلاق ، أن الفقرة التالية لكلام يسوع عن الطلاق والتى يدافع فيها عن صيرورة بعض الأشخاص (خصيانا من أجل الملكوت) ينطبق بصفة خاصة على المطلّقين ورغم أن النص نفسه يقول إن هذا الكلام ليس للجميع بل (للذين أعطى لهم) فإن أولئك الكُتّاب يقولون إن هذا متطابق مع ما جاء فى (١٣ :

١١) رغم اختلاف الكلمات ولذلك ينطبق على أى شخص يكون تلميذاً حقيقياً ليسوع .

وهذه الحجة يجب تقييمها من عدة اتجاهات :

أولاً : إن تعاليم يسوع الأخرى مثل التخلى عن الممتلكات أو الأسر لكى يتبعوه لا تتضمن قط مثل هذا التعديل القائل " هذا الكلام للذين أعطى لهم " وقد يبدو ظاهرياً أنه يعنى أن هذا التعليم الخاص متعلق فقط ببعض التلاميذ وليس للجميع ، ولابد أن تكون هذه هى الطريقة التى فهم بها بولس هذا القول - إذ كان قد عرفه - حيث أنه يفضل العزوبية بالنسبة للرجل الذى أُعطى له أن يضبط نفسه ، ويوصى بأن يتزوج الباقون كلهم بما فيهم أولئك الذين كانوا متزوجين قبلاً (كما سيتم مناقشة هذا الموضوع فيما يتعلق بنص " ١ كو ٧")

وفى مقابل هذا الاعتراض ، تذمر معارضو (الزواج مرة أخرى) قائلين أن متى لا يقوم فى أى مكان بإفراز التلاميذ أو أى مجموعة معينة منهم باعتبارهم أرفع مقاماً من الباقين ، على أن هذه الشكوى بعيدة عن الهدف فإن يسوع يمكنه أن يدعو تلاميذ مختلفين لأعمال مختلفة دون أن يكون بعضهم أرفع مقاماً من الآخرين ، فمثلاً هو يفرز الاثنى عشر (١٠ : ١) عن الباقين ، والوعود المقدمة لمجموعة خاصة أمر نادر لكنه يحدث (قارن ١٣ : ٥٢ ، ١٦ : ١٧ - ١٩ . ٢٨ ، ٢٤ : ٤٥ - ٥١) والقول أنه قد أعطى لكم أن تعرفوا مطالب الدخول إلى ملكوت السماوات قول نادر أيضاً ولم يعط إلا لمجموعة محدودة من الناس ، وفى أى مكان آخر من إنجيل (متّى) تم توجيه متطلبات التلمذة لأى من يخضع لها .

والقول الذى جاء فى (متّى ١٣ : ١١ وقارن ١١ : ٢٧) ليس مشابهاً

للقول الوارد فى (١٩ : ١١ ، ١٢) لأنه تقرير عما سبق أن حدث فعلاً وليس دعوة لطريقة معينة للحياة . فلو أنها كانت متشابهة مع ما جاء فى (١٩ : ١١ ، ١٢) فإن هذه الفقرة الأخيرة تعنى أن كل المؤمنين قد أعطى لهم أن يتجنبوا الزواج لكن (كل من يقبل) تدعو إلى العمل بينما (١٣ : ١١) لا تفعل ذلك .

كما أن القرينة تفيد فكرة أن كلام يسوع كان موجهاً فقط للمطلقين فإن التلاميذ إذ كانوا يعلمون أن أحداً لا يستطيع الهروب من زواج سئ (عادة ما يكون قد تم ترتيبه بواسطة والدين حسنى النية) يقترحون أنه يكون من الأفضل ألا يتزوج أصلاً ، ولم يكونوا مهتمين كثيراً بما قاله يسوع عن الزواج مرة أخرى ، ويمكن أن يكون الحل الذى اقترحوه بعدم الزواج أصلاً حلاً (غير عملى) إذا كان ذلك هو أساس شكواهم . بل إنهم كانوا غير مستريحين لتجربة الطلاق إلا فى أضيق الحدود ، وحرمانهم من حقهم فى التخلص من زواج غير محتمل ، ورفع عصا التهديد الذى كان يمكن أن تجعل الزوجة فى مكانة التابع دائمًا .

إذاً فإن تعليم يسوع فى (١٩ : ١١ ، ١٢) هو رد على ملاحظتهم عن الزواج الأول وليس عن الزواج مرة أخرى ، فإن بعض الأشخاص الذين دعوا للعيش كما كان يعيش التلاميذ مع يسوع ، وكما كان يسوع يعيش يستحسن أن لا يتزوجوا لكى يتمكنوا من العيش بهذه الطريقة من أجل الملكوت ، وبولس نموذج لمثل هذه الحياة الراديكالية ، رغم أنه يقول أن معظم التلاميذ الأول كانوا متزوجين ويتجولون بزوجاتهم فى خدماتهم الكرازية (١كو ٩ : ٥).

إن مجرد القول أن شخص (خصى) قول مكروه ومهين للإحساس

اليهودى ، وممكن أن يكون يسوع بذلك قد جذب انتباه التلاميذ فإن الشريعة تقول (لا تدخل مخصى بالرض أو محبوب فى جماعة الرب) (تث ٢٣ : ١) فكيف إذا يمكن أن يصير إنسان خصياً من أجل الملكوت ؟ هذا فضلاً عن أن المخصيين فعلاً لم يكن أحد يعتقد أنهم مجردون من الشهوة بل فقط من إمكانية إنجاب نسل . لكن تصوير يسوع اللغوى هنا ، مثله مثل تصويره عن قطع اليد أو الرجل فى أماكن أخرى ، مقصود به شرح نقطة هامة وهى أن الملكوت أغلى من أى شئ آخر ، بما فى ذلك الزواج ، وأنه يمكن أن يكلف بعض تابعى يسوع التنازل عن حقهم فى الزواج .

لكن الامتناع عن الزواج هنا ليس لأن روابط الزواج السابق إلغاءها تتطلب ذلك (بسبب طلاق سابق) بل لأن طبيعة دعوتهم هى التى تتطلب ذلك . ربما لأنهم لا يجدون شخصاً يتفق فى تفكيره معهم بحيث يشاركهم فى دعوتهم (وهذا موقف عادى كما فى فيلبى ٢ :٢ ، ٢١) ورغم أن موسى وكثيرين غيره من الأنبياء كانوا متزوجين ، وبعضهم تزوجوا نبيات (إش ٧ : ٣) وآخرون كان عليهم أن يتحملوا مشقات تتعلق بزواجهم (حز ٢٤ : ١٦ - ١٨ ، هوشع ص ١ ، ص ٢) كما أن بعضهم حظر عليهم الزواج أصلاً (إرميا ١٦ : ٢ - ٤) ومثل هذه المطالب لها علاقة بالدعوة الإلهية الخاصة بكل منهم وليس بسبب أية ترتيبات زواجية سابقة ، وعلى كل من يلتفت إلى دعوة الله اليوم أن يكون مستعداً لقبول حياة الفردية (أو التبتل) إذا كانت هذه هى دعوته . (متى ١٩ : ١ - ١٢) مثلها مثل (١كو ٧) تنكر أن فى استطاعة كل التلاميذ أن يعيشوا بهذه الطريقة ، لكنها تطلب منا أن نقبل هذه الحياة إذا كان الله يدعونا إليها ، ويعطينا القدرة على الاستمرار فيها .

وطبيعى أنه من الصعب أن نجد اليوم أناساً على استعداد للتخلص عن العبادة المادّية المتمركزة على الذات التى يعيشها أهل أمريكا الشمالية ، لكى يبشّروا بالمسيح ويخدموا احتياجات البشر ، لذلك فإن الكثير من التلاميذ الذين يريدون أن يعيشوا نمط حياة الملكوت قد يجدوا صعوبة كبيرة فى العثور على شريك حياة لهم ، والأصعب على شريك (ثانٍ) ما لم تحدث النهضة والتوبة فى الكنيسة ، وعلى كل المؤمنين سواء كانوا متزوجين من قبل أم لا أن يكونوا مستعدين لخدمة المسيح أساساً ، وينتظروا فرصة العثور على شريك حياة يشاركهم فى قناعاتهم هذه ..

هل يستطيع أى من الطرفين أن يطلق ؟

فى أقوال متّى ليس من حق أحد غير الزوج أن يطلق (٥ : ٣٢ ، ١٩ : ٩) وهذا يتفق مع القانون اليهودى الفلسطينى الذى يتوجه إليه (متّى) بالحديث . أما مرقس (١٠ : ١٢) فإنه يحذّر أيضاً من تطليق الزوجة لزوجها فكيف قال هذا ؟

من المرجح أن يكون يسوع قد حذر من تطليق الزوجة لزوجها إشارة إلى ما فعلته (هيروديا) وغيرها من كبريات اليهود تمشياً مع الحضارة اليونانية ، وكان يمكن لمتّى أن يحذف هذا القول باعتباره غير ملائم لسامعيه ، لكن من المحتمل كذلك أن يكون مرقس قد توسع فى أقوال يسوع بطريقة مختلفة .. فقد كان من حق النساء فى العالم اليونانى والرومانى عامةً . أن يطلقن أزواجهن ، وربما أراد مرقس أن يتأكد من أن أحداً لن يستطيع أن (يلوى) كلمات يسوع الفعلية لكى يلتف حول هذا المعنى . إنه ينطبق على كل من الأزواج والزوجات وعلى كل من له سلطان

الطلاق ، ويحتمل أيضاً أن يكون مرقس قد أبرز هذا المعنى لقول يسوع لجمهور مختلف بإضافة هذه العبارة ، إذاً كان متّى على صواب فى وضع مناقشة يسوع هنا فى قرينة مناقشات المدارس اليهودية حول هذا الموضوع .
وربما كان يسوع بهذا يدافع عن حقوق المرأة التى كان يمكن طبقاً للتفسير اليهودى للقانون أن يطلقهن أزواجهن لمجرد نزوة ، ورغم حقيقة أن الزوجات كن نادراً ما تطلقن لأسباب تافهة ، ويمكن أن يكون ذلك بسبب الشروط المالية فى عقد الزواج التى لم تستطع أن تحمى نظرياً هاتيك الزوجات اللواتى كن معرضات للطلاق .

لكن يسوع ، كما هو واضح كان يعمل أكثر من ذلك . أنه يجادل فى قدسية الرابطة الزوجية ، وأنه يجب ألا تحل هذه الرابطة تحت أى ظرف من الظروف ، وإذا حدث أن حلت فإن الطرف الذى تم ارتكاب الخطأ فى حقه أى الذى لم يكن السبب فى حل الرابطة عن طريق الزنا أو الطلاق غير الشرعى يكون حراً .. وهذا هو المعنى الحقيقى لقول يسوع : لا تنقضوا زواجكم بل ارعوه وحافظوا عليه ، عيشوا مع شركائكم كشخص واحد كما هو القصد منذ البداية ، فهو لا يلقى أعباءً جديدة على أولئك المستغلين بنفس قساوة القلب التى هاجم بها الفريسيين ، فكما أن كلمات موسى لا يمكن نزعها من قرينتها أو من الفرض الأصلى لاستخدامها لأغراض شخصية ، كذلك لا يمكن تحريك كلمات يسوع من القرينة التى قصدها يسوع .. إذا لم نصنع الرحمة مع الأخرين فإنه وعدنا أنه لن يظهر لنا الرحمة .

استنتاج ختامى

إذا اخترنا أقوال متى (١٩ : ٩) التى يقترحها أولئك الذين يعارضون

الزواج الثانى بعد كل حالة من حالات الطلاق ، فعلينا أن نؤيد تحطيم كل الزيجات التالية للزيجة الأولى ، ورغم أن صيغة الفعل المضارع (يزنى) فى (١٩ : ٩) لا تستلزم أنها تتضمن معنى أن الزواج الثانى غير الشرعى يشتمل على زنا مستمر طوال فترة التعايش ، فإن هذه هى الطريقة الوحيدة لفهمها إذا اعتمدنا على التفسير الشديد الحرفية لقواعد اللغة . كما يفعل أولئك الذين يرفضون السماح بالزواج مرة أخرى فى هذه الفقرة .

فإذا كان الزواج الأول لم ينحل رباطه فى نظر الله ، وإذا كان الزنا لا يستطيع أن يحل رباط الزوجية ، فإن أى نشاط جنسى بعد ذلك يكون بالتحديد (زنا) والحل الوحيد لمثل هذه الرابطة الزانية هو حلها ، الأمر الذى يعنى أن كل الزواجات الثانية يمكن أن تعامل فقط بالتوبة والانفصال.

إن معظم معارضى الزواج الثانى مكتفون بالنظر إلى هذا الزواج باعتباره (خطية مضت) والإبقاء عليه سليماً ، لكن هذا يوضح أنهم عملياً لا يرغبون فى اتباع مفهومهم الضيق لمعنى كلمات يسوع .

إذا لم يكن يسوع يتكلم بصيغة المبالغة ، وإذا كان أى زواج ثان بعد طلاق غير شرعى هو (زنا) ، فإن ذلك يكون فقط لأن الطلاق غير شرعى ولازال طرفاً الزواج الأصلى مرتبطين بالزواج عملياً فى نظر الله ، وهذا يعنى أن أولئك الذين يريدون التمسك بهذا التفسير لمعنى النص عليهم أن يكونوا ثابتين على مبدأهم ، وأن يطبقوا التأديب الكنسى ضد كل من تزوجوا مرة أخرى باعتبارهم (زناة) إلى أن ينقضوا الزواج الأخير .. هل يبدو هذا الموقف متطرفاً ؟ إنه الاستنتاج المتماسك الوحيد لترجمة هذا النص على أساس أنه يرفض أى زواج ثان .

والمثال الوحيد فى إنجيل متّى لهذا الارتباط غير الشرعى هو مثال هيرودس وزوجة أخيه ، ويعطى يوحنا المعمدان المتكلم باسم الله الحل الوحيد الممكن لمثل هذا الارتباط ، فقد كان يجب على هيرودس أن يتخلّى عنه . (متى ١٤ : ٣ - ٤) والارتباط الذى يعبر عن زنا أو يعبر عن تجاهل طائش لزواج شرعى قائم لا يمكن تصحيحه إلا بإلغاء الزواج الجديد .

فإذا كان ما قلناه قبلاً صحيح ، فإن الطلاق الشرعى الذى يتم على أسس شرعية يسمح للطرف البرئ أن يتزوج مرة ثانية .. وإذا كانت لغة يسوع مغرقة فى المبالغة .. فإنه يمكننا بالطبع أن نفترض أن غفران الله يغطى أيضاً حالات الطلاق الماضية حتى للأطراف المذنبة إذا هم تابوا ، وكان لا يمكن قط استعادة الزواج (وأشير هنا بصفة خاصة إلى الذين تم طلاقهم قبل تجديدهم) ، لكن ما هو واضح فى هذا النص - على الأقل - هو أن الزواج مرّةً أخرى ليس محظوراً بالنسبة للذين تم طلاقهم على أسس شرعية.

(٥) بولس والطلاق

١ كو ٧ : ١٠ - ١٦

في هذا الفصل سنجد أن بولس يسمح بالطلاق وإعادة الزواج تحت ظروف محددة - وهذا ما فعله يسوع عندما ورفض ذلك في ظل ظروف أخرى . وفي الفصل التالي سوف نفحص بتدقيق أكثر بقية حجج بولس الواردة في (١ كو ٧) حيث سنجد أن كلمات بولس الوحيدة التي تأبى على المطلقين الزواج مرة أخرى لا تختلف عن كلماته التي لا تشجع على الزواج عامةً، ورغم أنه يبدو أن بولس كان يعرف تعليم يسوع الذي يحظر الطلاق والذي ورد بأسلوب حاسم في إنجيل مرقس ، إلا أنه لا يطبق حظر يسوع على جميع الأحوال . ففي رأيه أن الطلاق والزواج مرة أخرى مسموح في ظل أسس صحيحة ، فهو يسمح بزواج المطلقين مرة أخرى (١ كو ٧ : ٢٧ - ٢٨) وإن كان بنفس التحفظ الذي يظهره تجاه زواج العذارى (٧ : ٣٦) ورغم أن بولس يحث على الرضا والقناعة بظروف الإنسان الحالية ، مثله مثل فلاسفة الرواقيين . إلا أنه لا يعترض على تحسين الإنسان لظروفه إذا سنحت الفرصة (٧ : ٢١/ ب)

وقبل أن نستطيع قراءة فقرة الطلاق التي كتبها بولس ، بنفس الطريقة التي قرأها بها أهل كورنثوس ، علينا أن نفهم بعض الأمور عن الطلاق في العالم اليوناني/ الروماني ، فقد كانت كورنثوس جزءاً من اليونان ، لكن نظراً لكونها مقاطعة رومانية في أيام بولس فإن حضارتها كانت يونانية رومانية كما يتبين من نقوشها الأثرية ، لذا فإن فهمنا لظروف الطلاق في القرن الأول في كل من اليونان وروما ، سيساعدنا على إدراك مغزى أقوال

بولس إلى قرأئه الأول بصورة أفضل .

الطلاق فى العصور القديمة

لقد أصبح الطلاق شائعاً بدرجة فظيعة فى الطبقات الراقية والمجتمع لدرجة أنه قيل أن بعض السيدات كن يُطلقن لكى يتزوجن مرة أخرى لكى يطلقن ثانية وهكذا .. ولا تستطيع مصادرنا أن تخبرنا بنسبة حالات الزواج التى انتهت بالطلاق ، بل إننا نعلم أقل القليل عن كيف كانت الطبقات الدنيا التى كانت تشكل غالبية سكان الامبراطورية تشعر أو تتصرف إزاء الطلاق .

لكن الطلاق كان شائعاً بالتأكيد بحيث يسيطر على أحاديث الطبقات العليا من المجتمع التى وصلت إلينا فى كتابات كتّاب الهجاء القدامى ، ومن المحتمل أن يكون السلوك المخزى لبعض أفراد الطبقة الارستقراطية قد اجتذب نوعاً من الالتفات يشبه ما يلاقيه بعض السلوك المشابه لنجوم الفن فى أيامنا ، وبكلمات أخرى فإن الطلاق ، بل وحتى فضائح الطلاق المخزى كانت ظاهرة معروفة تماماً فى روما فى القرن الأول الميلادى .

ورغم أن الطلاق فى روما قبل هذا التاريخ لم يكن مباحاً إلا تحت أكثر الظروف صرامةً ، إنه أصبح لمدة طويلة بعد ذلك من السهل على الرجل الرومانى الحصول عليه ، ويقول (بلوتارك) وهو كاتب معاصر لتاريخ بداية العهد الجديد : إن أى رجل يفشل فى الحصول على الطلاق إذا كانت زوجته

(سيئة) هو رجل جبان . " إلا أنه ليس صعباً على الرجل أن يتخلّص من زوجة سيئة إذا كان هو نفسه رجلاً حراً حقيقة وليس عبداً " وهو يندب حظه لأنه ليس بيده أن يقضي على الشر ، وفي تلك الفترة كانت المرأة الرومانية تستطيع الحصول على الطلاق بنفس السهولة التى يحصل بها زوجها عليه . وبذلك كان يمكن إنهاء حالة الزواج الرومانى باتفاق الطرفين ، أو بإعلان أى طرف منهما أن الزواج قد انتهى ، ولأنه كان يظن أن القبول الخاص هو ما يجعل الزواج متماسكاً ، فإن عدم وجود (القبول المتبادل) كان يعتبر سبباً كافياً لفسخ الروابط الزوجية ، وهذا النوع من الطلاق (بدون خطأ) لم يكن يتضمن أى وصمة عار ، بل أن الزوج الذى كان يطلق زوجته كان يمكن أن يهتم بها بحيث يرتب لها الزواج مرة أخرى . هذا الطبع أمر مختلف تماماً عن العادة اليهودية التى كانت تتبع فى فلسطين الرومانية كما لاحظنا عندما قرأنا قول يسوع فى إنجيل مرقس ، ففى اليهودية القديمة كان الزوج فقط هو الذى يستطيع أن يبدأ بالطلاق ، إلا فى حالات أو ظروف خاصة جداً تستطيع فيها المحكمة أن تطلب منه إنهاء الزواج بناء على طلب زوجته .. وحيث أن المرأة المطلقة كانت تواجه العار فى المجتمع اليهودى ، الفلسطينى ، فإن أمثال هؤلاء الزوجات كن فى الغالب لا يطلبن الطلاق . لذلك فرغم استخدام بولس لكلمتى الطلاق والافتراق بالتبادل فى باقى الأصحاح من كورنثوس الأولى ، فإنه إذ يخبر الزوجة ألا تفارق والزوج ألا يطلق فى الفقرة التى يشير فيها إلى تعليم يسوع ، فإن ذلك يعنى أنه يتمشى مع العادة الفلسطينية (عدد ١٠ ، ١١) .

رغم ان الاتفاق المتبادل كان كافياً كأساس للطلاق فى المجتمع الرومانى فقد كانت هناك حالات معينة يجب أن يتم فيها الطلاق ، فقد كان الزنا

حسب التقليد الروماني يستوجب الطلاق كما سبق أن أشرنا ، وهناك موضوعات أخرى يمكن أن تصلح كأساس للطلاق ، دون أن يطلب أحد الطرفين ذلك .. ولقد أصبحت فئة (الخطأ) (باللاتينية culpa) هامة فى حالات المنازعات المالية فالزوجة قد لاتحصل على (بائنتها) بالكامل إذا كان سلوكها هو الذى أدى إلى الطلاق ، لكن عموما لم تكن فكرة (الطرف المذنب) تعرض فى حالات الطلاق ، وكانت مبررات الطلاق فى بعض الحالات تافهة : كالرغبة فى تحسين وضع أحد الطرفين المالى عن طريق عقد زواج بشروط مالية أفضل ويشير (بلوتارك) إلى أن الزوجة ما كان لها أن تركن إلى نبل محتدها أو ثرائها أو جمالها كحمايةً لها ، لذلك كان عليها أن تعمل بكل قوة لكى تصير زوجة صالحة.. وبكلمات أخرى كان القانون الرومانى لا يمنح الإنسان إلا حماية ضعيفة من الطلاق على أسس ضعيفة ، أو حتى زائفة وغير شرعية . وما نعرفه أن الممارسات اليهودية خارج فلسطين توحى لنا بأن الشعب اليهودى فى العالم اليونانى الرومانى كان عادةً يتبع العادات اليونانية الرومانية فيما يتعلق بالطلاق ، وهذا قد يعنى أيضاً أنه كان مسموحاً به فى أغلب الأحوال ، ونظراً لتميز وضع الرجال فإن كثيراً من معلمى اليهود ، حتى فى فلسطين كانوا أكثر تسامحاً فى موضوع الطلاق كما سبق أن لاحظنا ، فلم يكن طلاق زوجة (يصعب العيش معها) أمراً غريباً كما يشير أحد معلمى الحكمة من اليهود قبل المسيحية إذ يقول :

« إذا لم تسر زوجتك كما تشير إليها طوع أمرك ، فاقطعها من جسدك (أى تخلص منها) »

وقد قيل أنه عندما فشل الربّى (جوس الجليلى) فى الحصول على المال

الكافى لتطليق زوجته (إذ كان عليه أن يدفع لها بائنتها) قام الحكماء والآخرون بجمع مبالغ له لاستكمال المطلوب . فإن فكرة كون الطلاق أمراً غير أخلاقى لم تخطر لهم على بال . كما أن (فيلو) الفيلسوف اليهودى الذى عاش حضارة الإسكندرية اليونانية كان يوافق على آراء هؤلاء الربيّين المتساهلين ، فلم يكن من الصعب على الرجال اليهود أن يحصلوا على الطلاق .

وهذا لا يعنى أن معظم الناس فى العالم القديم كانوا يعتقدون أن الطلاق أمر سار مفرح فإن الفيلسوف الرومانى (سينكا Seneca) المعاصر لبولس قال :

« الغضب يجلب الحزن للوالد ، والطلاق للزوج ، والكراهية للمحاكم والهزيمة للمرشح »

كما أن (الرِّبى اليعازر) أحد معلمى اليهود فى أوائل القرن الثانى اشتكى قائلاً :

« إن المذبح نفسه يذرف الدموع على الرجل الذى يطلق زوجته الأولى »

وسواء اعتبرنا الطلاق مأساة ، أو أمراً عادياً ، فقد كان يتم كثيراً فى العالم القديم بحيث أصبح موضوعاً للمناقشة فى كنائس بولس ، وكان موضوعاً هاماً بالتأكيدفى كنيسة كورنثوس ، وهذا هو السبب الذى حدا ببولس أن يستغرق وقتاً فى مخاطبة الكنيسة عنه فى رسالته إلى مسيحىّ كورنثوس .

مصدر حكمة بولس

يبدو أن هناك نوعين من المواد الجديرة بالثقة فى هذه الفقرة ، فرغم ما يقال من أن الكثير من حكمة بولس فى هذا الأصحاح هى من أفكاره الخاصة فإن بعضاً منها يتم نسبته مباشرة إلى يسوع (فأوصيهم لا أنا بل الرب) ٧:٢١ لأن بولس كان يعتبر أن آراءه الخاصة هنا هى موحى بها من الروح القدس (٧: ٤٠) ولابد أننا نتفق نحن الذين نقرأ رسالته اليوم فى كتابنا المقدس أنه وهو يقول (أنا لا الرب) أنه لايزال يتكلم بالوحى ، إذ أن قوله (لا أنابل الرب) يعنى أن هذه النقطة بالذات موحى بها من الله .

والرأى السائد بين العلماء بخصوص هذه الآيات هى أن بولس يورد قولاً جاء على لسان يسوع عندما كان على الأرض ، وهو نفس القول الموجود فى الأناجيل ، وربما وُجد هذا القول فى شكلين مختلفين كما لمحنا سابقاً ، لكن بغض النظر عما إذا كان بولس يعرف الصيغة من مناقشات يسوع مع الفريسيين أو من تعلمه عن الشريعة فإن الأهم هو أن بولس - مثل (متى) - يشعر بالحاجة إلى تحديد أكثر للنص .. نعم أن الرب يعلن أن الطلاق غير وارد ، لكن هذا ليس حكماً كونياً ، ففى رأى بولس أن القاعدة العامة تسمح ببعض الإستثناءات .

وهذا يعنى أن الحدود التى وضعها (متى) لأقوال يسوع لم تكن طريقة (متى) المميزة له فى تناول هذه الأقوال . إن بولس مثله مثل أى مفسر يهودى من مفسرى القرن الأول قد أدرك حاجة الشرائع الكتابية إلى الشرح والتفسير فمثلاً كان على الشخص الذى يريد أن يتجنّب العمل يوم السبت أن يحدد المعنى الخاص (للعمل) - لقد حظر الكتاب العمل الذى يتضمن (الطهى) يوم السبت ولكن لم يحظر عملية (مضغ) الطعام . فأى نشاط

من الأنشطة التى تكمن فيما بين الطهى والمضغ يمكن اعتباره عملاً؟ .. وبنفس الطريقة فإن تحريم يسوع للطلاق هو قاعدة عامة ، وحتى فى حالة فهمها كقانون بدلاً من كونها (مثل) فإن القانون يجب شرحه وتفسيره وتأهيله عند استخدامه أو تطبيقه على وضع جديد لم يكن موجهاً له أصلاً .

فلو أن بولس كان يتلقى الوحى من نفس الروح الذى كان فى يسوع فالملاحظ هنا أنه يرغب فى أن يعطى رأيه فى المطلقين الذين لم يتزوجوا ثانية ، وبولس هنا يقرر حريتهم فى الزواج مرة أخرى ، وعليه فإن كل من يحترم تعليمه فى (اكو) باعتباره موحى به وجدير بالثقة ، حتى ولو كان يرفض الجزء الذى يقول بولس أنه رأيه الخاص يجب أن يدرك أن الزواج مرة أخرى بعد الطلاق مباح فى بعض الظروف . والموضوع فى هذه الفقرة هو :

ما هى ظروف الطلاق التى يمكن أن تجعل الزواج مرة أخرى مُباحاً ؟

ظروف الطلاق

يوضح بولس بجلاء - على أساس تعليم يسوع - أنه غير مسموح للزوج أو الزوجة أن يترك أحدهما الآخر ، فإذا فارقت الزوجة فيكون لها خيار : إما أن (تلبث غير متزوجة) أو (لتصالح رجلها) .. هذا هو المبدأ العام .

وهو يعارض صراحةً موضوع الطلاق ، ويدعو المسيحيين إلى العمل على المصالحة بين الأزواج .

لكن على بولس الآن أن يتوجه بالكلام عن موقف لم يوجه إليه يسوع الكلام عندما كان يخاطب سامعيه فى فلسطين .. فماذا يكون الحكم فى حالة أن يكون لرجل مسيحى زوجة غير مسيحية ، أو إذا كان لامرأة

مسيحية زوج غير مؤمن .. من المؤكد أنه لم يكن لكل شخص فى فلسطين شريك ، أما خارج فلسطين اليهودية فكان اليهود يلتقون بعدد كبير من غير اليهود ، وأغلب هؤلاء كانوا يذبحون للأصنام ، فهل كان يمكن أن يكون هناك اتحاد روحى مع شعب يعبد الأصنام ؟ (٢ كو ٦ :١٥) ونفس الكلمات التى كتبها بولس فى مناسبة سابقة (١ كو ٥ :٩ . ١٠) كان يمكن أن نفهم على أنها تعنى أن ذلك الاتحاد غير ممكن ، وربما اتخذ بعض الكورنثيين هذا ذريعة ليطلقوا شركاء حياتهم من غير المسيحيين ، لكن بولس يشير فى (١ كو ٥ :١٠ - ١١) إلى أنه لم يكن يعنى كسر كل الروابط والعلاقات مع غير المسيحيين ، فيمكن أن يكون للمسيحى أصدقاء غير مسيحيين ، لكن عليه أن يتجنّب أولئك الذين يدّعون أنهم مسيحيون لكنهم لا يعيشون حياة المسيح .

وبولس لم يكن يريد من المسيحيين أن يطلّقوا شركاء حياتهم من غير المسيحيين ، لكن ذلك لا يعنى أن بولس كان يرى أنه من المقبول أن يتزوج المسيحى من الوثنيين أساساً ، لكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن معظم حالات الزواج الأولى كان يتم تدبيرها بواسطة الوالدين ، الذين فى حالة كونهم غير مسيحيين ، قد يرغبون فى تزويج ابنهم أو ابنتهم إلى وثنى ممتاز، وربما كان للأبناء مجال واسع للاختيار فى ترتيبات الزواج ، لكن أثر إلحاح الوالدين لم يكن قليلاً ، كما أن كثيراً من الكورنثيين المسيحيين كانوا من الجيل الأول الذى انتقل من الوثنية إلى الإيمان ، وكانوا متزوجين فعلاً قبل أن يصبحوا مسيحيين ، وهذا هو السبب الرئيسى لكثرة حالات الزواج المختلط فى كورنثوس ، فما أن يجدوا أنفسهم مرتبطين بالزواج مع شريك غير منسجم معهم روحياً حتى تبدأ المشكلة !!

لكن بولس يقول : على المؤمن أن يبقى مع الشريك غير المؤمن ، إلا إذا رغب غير المؤمن فى فك الروابط الزوجية والمفارقة (٧:١٠ - ١٣) وبكلمات أخرى يمنح بولس استثناءً للمبدأ العام الذى وضعه يسوع بعدم الطلاق وإعادة الزواج ، وهذا الاستثناء يسمح للشريك غير المؤمن أن يطلّق أو يهجر رغماً عن إرادة الشريك المؤمن ، ومن ثم يكون الشريك المؤمن (ليس مستعبداً) - عدد ١٥ - فالشريك البرىء الذى لا يستطيع الحفاظ على الزواج ضد رغبة شريكه ليس مسئولاً عن الطلاق ، وبالتالى ليس محظوراً عليه الزواج مرة أخرى .. وكون كنائسنا تحمّل الشريك البرىء وزر الطلاق وتحرمه من الزواج مرةً أخرى فإن ذلك يعنى أنها ترفض تعليم بولس وتضطهد المنكسرين ، لكن عدم الانسجام - حتى لو كان عدم انسجام روحى ليس مبرراً للطلاق .

ربما كان أولئك الكورنثيين الذين يطالبون بجعل عدم الانسجام الروحى مبرراً للطلاق ، قد تجاوبوا مع بولس بترديد بعض تعاليم يسوع الأخرى ، أو ربما يكونوا قد التقطوا بعض أفكارهم حول تطليق شركاء حياتهم مما كان بولس يقوله لهم عن تعليم يسوع .. ألم يكن مفروضاً فى التلميذ أن يكون مستعداً وراغباً فى ترك أسرته من أجل الملكوت ؟ متوقّعاً أن يجد تعويضاً عن هذه الخسارة فى زمالة أعضاء جسد المسيح ؟ (مر ١٠:٢٩ ، ٣٠).

إذا كان لدى هؤلاء الكورنثيين هذه الفكرة فإنهم يكونوا قد أخطأوا فهم الهدف من أقوال يسوع . حقاً كان يجب على التلميذ أن يكون مستعداً لترك أسرته لأجل الإنجيل ، لكن هذا الهجر الدائم للأسرة لا يكون إلا بسبب معارضة الأسرة للخدمة (متى ١٠:٣٤ - ٣١) أو بسبب ردود أفعالها تجاه ما ترى أنه (مطالب الملكوت غير المعقولة) (متى ٨:٢٢) - وعليه فإن

التلميذ لا يجب أن يبادر بنقض عهد الزواج بإرادته ، فإن يسوع بلا شك لم يكن يدافع عن (أو يحبذ) نقض عهد الزواج وتحطيم الأسر (مر ٧:٩ - ١١ متى ١٥:٣ - ٩) .

قد تتضمن دعوة يسوع لأحدتلاميذه لإعلان الملكوت تعليقاً مؤقتاً لروابطه مع شريك الحياة ، وعلى التلميذ أن يطيع هذه الدعوة مهما كان الثمن (مثلاً مر ١: ١٦ - ٢٠ ، ١٠: ٢٨) لكن فى ظل الظروف العادية فإن أية خدمة تبشيرية طويلة الأجل تسمح للمبشرين باصطحاب زوجاتهم معهم (١كو ٩:٥).. وقد يؤدي هذا الوضع إلى الطلاق إذا كان الشريك الآخر غير متحمل لتبعات الدعوة الجديدة... لكن مبدأ يسوع فى فقرة الطلاق يوضح أن على التلميذ أن يعمل على المحافظة على الزواج مهما كلفه ذلك ، إلا فى حالة عصيان دعوة يسوع ، فغير المؤمن فقط هو المسموح له بالخروج من نطاق الزواج ، لأن غير المؤمن هو وحده الذى لا يتبع يسوع.

الموقف فى كورنثوس :
زواج مختلط بين مؤمنين وغيرمؤمنين

من (١كو ٧:١٠ - ١٦) يتضح أن السبب الرئيسى الذى أوجب على بولس فتح موضوع الطلاق هو أن بعض مسيحى كورنثوس المتزوجين أرادوا أن يتحللوا من الزواج من شركائهم غير المؤمنين ، وهذا بديهى ، لكن فهماً أكثر لتفصيلات هذه الحالة الخاصة لا زال موضوع جدال بين علماء الكتاب المقدس حتى اليوم.

فقد احتج بعض العلماء بالقول أن (١كو ٧:١٢ - ١٦) يلمح إلى

اختبار بولس الشخصى ، إذ أنه عند تجديده تركته زوجته . لكن وجهة النظر هذه موضع شك ، لأنه لو كانت زوجته مخلصة للشريعة ، ما كان لها أن تترك زوجها لمجرد أنه تحوّل إلى الإيمان بيسوع ، فإن القوانين والشرائع اليهودية لا تعطى للزوجة حق تطليق زوجها لهذه الأسباب . وعليه يكون من المفترض أن بولس كان قبل تجديده ما زال واحداً من العلماء الشبان الذين لم يتزوجوا بعد ، وأن هذه الفقرة لا تشير إلى اختباره الخاص .

اقترح أحد الباحثين أن الموضوع الوارد فى هذه الفقرة يتناول تحطيم الزواج على صخرة (الحقوق الزوجية) ٧:٣و٤ وأن بولس وجد أن هذه الأسباب ليست كافية للطلاق ، فمضى ليوضح الأسس الحقيقية التى يمكن أن يبنى عليها أسس الطلاق (٧: ١٥) ورغم أن هذه النظرية معقولة ، إلا أننا يجب أن نلاحظ أن موضوع الطلاق فى هذه الفقرة يأتى كموضوع من الدرجة الثانية بالنسبة لتعامل بولس مع الزواج ، وليس له علاقة بموضوع الحقوق الزوجية الوارد فى (١كو ٧:١ - ٦) فلو أنه كان يفكر فى موضوع الطلاق بسبب التّبتل لكان أولى به أن يذكره فى بداية الأصحاح .

فإن بولس فى الأصحاح السابع من كورنثوس الأول يبحث أمر الزواج والعزوبية عموماً ، ولم يركّز على ما إذا كان الطلاق على أساس عدم الانسجام الروحى مقبولاً أم لا إلا فى ٧: ١٠ - ١٦.

لذا فإنه من المحتمل أن يكون بولس قد وجّه كلامه فى موضوع الطلاق على أساس عدم الانسجام الروحى ، لأن هذا كان ببساطة موضوعاً حيوياً فى كنيسة كورنثوس ، ولأن بولس كانت لديه معلومات معقولة من أعضاء هذه الكنيسة عن منازعاتهم ، لذلك فإن مناقشة لهذا الموضوع كانت معقولة حيث كانت شرعية الزيجات المختلطة موضع جدال ، ومثل هذا الزواج كان

أصعب بصفة خاصة بالنسبة للنساء الرومانيات اللاتى ينتمين لبعض الطبقات (قارن ١بط ٣: ١ - ٦) لكن الأزواج المسيحيين أيضاً كان يمكن أن يرغبوا فى تطليق زوجاتهم إذا ما رفضن أن يتبعن أزواجهن فى تفضيلهم لمعتقدهم الدينى الجديد كما يتوقع مجتمعهم منهم .

وربما استند الكورنثيون الذين نظروا إلى عدم الانسجام الروحى كمبرر للطلاق على حجج قائمة فعلاً فى حضاراتهم .فى الترجمة اليونانية للعهد القديم (السبعينية) أجبر قرار (عزرا) الأزواج الإسرائيليين المتزوجين من زوجات وثنيات على تطليقهن ، وتستخدم هذه الفقرة نفس كلمة (انفصال) لتدل على فسخ الرابطة الزوجية ، ويصف هذا بأنه (مشيئة الله).

وأكثر من هذا فإنه حسب القوانين (الربية) اللاحقة كان يمكن لزوجة الرجل المرتد إلى الوثنية أن تحصل على الطلاق من زوجها ، هذا شيء مختلف طبعاً ، إذ أن المهتدى من الوثنية يضمن تطليقه من شخص كان ما يزال عند اتمام الزواج وثنياً ، لكنها توضح الحدود التى رأى بعض الناس فى ضوئها وضع الزيجات المختلطة دينياً.. إذ كان من الممكن لأحد الأزواج أن يطلق زوجته بسبب سلوك قد يعتبره غير مناسب دينياً أو خاطىء، مثل تقديم طعام لم تدفع عنه العشور ، أو ممارسة الاتصال الجنسى معه فى أثناء الدورة الشهرية ، فإن السكن مع هذه الزوجة (يشبه السكن مع حية رقطاء) إذن فإن الطلاق لأسباب أخلاقية أو روحية كان أمراً متاحاً فى فلسطين اليهودية ، وهناك أفكار مرتبطة به يمكن أن تكون قد أثرت فى بعض مسيحى كورنثوس .

وفى فترة لاحقة كان فى استطاعة (الربى) أن يلغى الزيجات التى تعقد بطريقة تخالف التعليم الربينى ، فلو أن مثل هذه العادة كانت معروفة فى

كورنثوس فى أيام بولس ، لكان من المحتمل اعتبار الزيجات السابقة للاهتداء للمسيح - والتى تمت مع وثنيين - معيبة بأثر رجعى (لأن الله لم يجمع طرفيها معاً) ولابد أن بعض الكورنثيين المسيحيين كانوا يتوقون إلى التحرر من هذه الزيجات المعيبة.

كذلك فقد كان كثير من اليهود يعتقدون أن كل علاقات الوثنيين السابقة لاهتدائهم إلى اليهودية قد تتمزّق بمجرد اهتدائهم ، لأن المهتدى إلى اليهودية كان مثل طفل مولود من جديد ، فكان من المعتاد اعتبار وضع المهتدى كوضع الطفل الوليد ، فهو لم يعد بعد نفس الشخص الذى كان وهو أممى ، إذ تغير وضعه القانونى فأصبح اسرائيلياً ، وطريقة التمييز كانت بالطبع طقس التطهير فى معمودية المهتدين ، وعليه يمكن اعتبار الزواج الذى تم بين اثنين من الأمم غير شرعى باهتداء أحد الطرفين إلى اليهودية .

والحق أنه ليس لدينا أى دليل على أن رعاة اليهود فى العالم اليونانى / الرومانى قد عملوا على تحطيم الزيجات القائمة ، بل أنهم أرادوا تجنّب إثارة الإحساس بأن هذه هى نيتهم ، لكن إذا كان مسيحيو، كورنثوس على ألفة مع بعض قواعد يهود فلسطين ، فإن مثل هذه القواعد كان يمكن أن تزوّدهم بالفكرة التى بنوا عليها حجّتهم بأنهم كشعب جديد فى المسيح لم يعودوا فى حاجة إلى الوفاء بالتزاماتهم التى تمّت قبل اهتدائهم ، وأياً كانت الأسس التى بنوا عليها حجتهم ، فقد كانت هناك نماذج اجتماعية معينة كان يمكن أن تقود هؤلاء المسيحيين الكورنثيين لمثل هذا التفكير . إن التوترات والمشادات الزوجية كانت غالباً ما تتولد عن الإختلافات الجذرية بين طرفىّ الزواج ، وقد كان الفلاسفة يحذرون من الزواج

بامرأة ذات مستوى اجتماعى أعلى ، لأنها سوف تعتبر نفسها أسمى من زوجها ، وفى ظل القانون الرومانى لم يكن مسموحاً قانونياً بالتزاوج بين جميع الطبقات الاجتماعية ، وإن كان هذا يحدث أحياناً إلا إنه يعتبر انتهاكاً لهذا القانون ، وكان لهذه الزيجات آثاراً على الأوضاع الاجتماعية للأطفال - كما سنرى فيما بعد - وعليه فأنه من الواضح أنه كان هناك فعلاً استنكار اجتماعى قوى ضد الزيجات بين المستويات الاجتماعية المختلفة فى العصور القديمة ، وعندما طبّقت هذه المفاهيم على الزيجات بين الأديان المختلفة ،كان من الطبيعى أن تجعل مدى شرعية هذه الزيجات موضع شك .

لكن بولس يقول : إن الزواج المعقود على أى أسس صحيحة هو زواج شرعى ، ولا يمكن فسخه ببساطة بمجرد أن طرفيه أصبحا مختلفين دينياً . رغم أن هذا ليس هو الزواج المثالى ، ومن المقصود أن بولس يعارض مبدئياً عقد زواج بين طرفين مختلفين دينياً ، إلا أنه ما أن يتم عقده حتى يصير شرعياً ، ويجب الاعتراف به .

ويتكلّم بولس أيضاً بما يمكن عمله فى حالة خروج أحد طرفى الزواج عن حدوده ، فإذا هجر أحد الطرفين مثلاً دون أسس أو أسباب كافية فعلى هذا الطرف أن يلبث غير متزوج ولا يتزوج مرة أخرى ، تماماً كما كانت النساء اليهوديات ممنوعات من الزواج مرة أخرى دون حصولهن على وثيقة شرعية . إن الحل المثالى بالنسبة لهذه الحالة أن تصفى الخلافات بين الزوجين ويعودا إلى بعضهما ، وهذا ما عناه بولس بالقول : " أو لتصالح زوجها " ، وقد كان القانون اليهودى يسمح للزوج باسترداد زوجته المطلقة طالما لم تكن قد تزوجت من رجل آخر ، ويبدو أن هذه كانت عادة متبعة .

من أجل الأطفال

تبدو حجج بولس ضد الطلاق فى (١ كو ٧ : ١٤) غامضة فى نظر معظم القراء المحدثين ، رغم أن كثيراً من الوالدين يتجنبون الطلاق (لأجل خاطر الأطفال) لكن ما عناه بولس مختلف تماماً عما نعنيه نحن اليوم بهذه العبارة :" لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل ، وإلا فأولادكم نجسون ، وأما الآن فهم مقدسون " .

لكن هذا الكلام كان يسهل متابعته بالنسبة لقارئ القرن الأول منه بالنسبة لنا الآن ، لأنه يناقش موضوعاً ، كان مهماً فى القديم لكن لم يعد مطروحاً للمناقشة اليوم ، إذ كان وضع أطفال الزيجات المختلطة دينياً مثار كثير من المناقشات بين المشرّعين فى ذلك الوقت .

كانت القوانين الرومانية تتحدث عن وضع الأطفال الذين ينتمى والدهم إلى طبقات اجتماعية مختلفة ، إذ أنه بينما كانت الزيجات الرسمية الرومانية خاصة فقط بالمواطنين الرومانيين ، ولا تختص بالمواطنين الذين يتزوجون من غير المواطنين ، فإن مثل هذه الزيجات يصرّح بها أحياناً بالنسبة للزيجات بين (اللاتين) و (الأجانب) الذين يتزوجون برعايا رومان بسبب اهتمامهم بوضع الأطفال . وفى الزيجات غير المختلطة أيضاً يعتمد وضع الأطفال على وضع أحد الأبوين . أما فى حالات الزواج الرومانى الصافى فكان الطفل يأخذ وضع أبيه ، أما فى الزيجات غير الرومانية تماماً . فكان الطفل يأخذ وضع أمه ، أما الزواج بين مواطن حر من روما وبين عبد لم يحصل على حريته بعد فكان غير مسموح به .

وبالمثل فقد كانت أحد الموضوعات التى تناقش عامة بين خبراء الشريعة اليهود هو : مناسبة الزواج بين شخصين من طبقتين اجتماعيتين

مختلفتين .

« وتفحص مستنداته فى محكمة الكهنة ومحكمة اللاويين ثم فى محكمة الاسرائيليين المنحدرين من سلالات مناسبة للزواج من سلك الكهنوت » .

فكانت الفتاة الاسرائيلية التى تتزوج أحد الكهنة يُرفع مقامها إلى وضع الكاهن . كما أن ابنة الكاهن التى تتزوج اسرائيلياً عادياً « تهبط من رتبة الكهنوت » ، ورغم أنه كان من المسموح لأفراد مدرستي (هليلل) و (شماى) وهما مدرستان من معلمى اليهود (الربّيين) فى القرن الأول الميلادى أن يتزوجوا فيما بينهم ، فإن وجهات نظرهم كانت متباعدة لدرجة تثير التساؤل حول ملائمة هذا الزواج .

وكان التأمل فى هذا الموضوع يدور حول الزواج المختلط بين مجموعات متباينة اجتماعياً ومدى تأثيره على النسل ، وقد لجأ المعلمون (الربيّون) فيما بعد إلى ما كانوا يعتقدون أنه كان أقدم القوانين ، لكى يدللوا على أن نسل الفتاة الاسرائيلية من أحد الاميين أو أحد العبيد كان نسلاً غير شرعى .. أما نسل الزوجين الأميين فلم يكن هناك الكثير الذى يقال عنه ، إذ أن بعض المعلمين الربيين القدماء كانوا غير مستريحين سواء لفكرة خلاص أو إدانة أطفال الوثنيين فى يوم الحساب - لذلك قرروا ببساطة أنهم لن يعيشوا ولن يحاكموا فى العالم الآتى .

ولقد كان موقف الأطفال المولودين لوالذين مهتدين لليهودية من الأمم بصفة خاصة موضوع اهتمام خاص ، وأصبح موضوع مناقشات معقدة ثارت بين معلّمى الشريعة اليهود فيما بعد ، وقالوا إن الطفل الذى يتم الحمل به فى رحم أم مهتدية يعتبر طفلاً يهودياً بالكامل ، أما إذا تمت هداية الأم بعد

حدوث الحمل وقبل الولادة ، فيكون موقف الطفل أنه إسرائيلى من جهة أمه فقط ، لكن ليس من جهة أبيه .. أما موقف ابن الرجل الذى لم يستكمل سوى جزء من طقس التحوّل إلى اليهودية حين حملت زوجته اليهودية ، فكان أيضاً موضع جدال .. فبعد التحوّل يصير المهتدى (مقدساً) أى مفرزاً كواحد من شعب الرب ، وهكذا يكون الحال بالنسبة لأى طفل يُحمل به بعد تحول أبيه أو أمه ، وعلى هذا الأساس جاء فى تعليق لاحق أن (الربّى) يستطيع أن يحكم أن ابن (استير) اليهودية من زوجها (احشويرش) كان طاهراً من جهة أمه فقط ، وليس من جهة أبيه .

لذا فإن معظم المناقشات الحديثة حول هذه الفقرة تبعد كثيراً عن الهدف ، فإن الفقرة لا تعنى أن الأطفال يخلصون (تلقائياً) بفضل كون أحد الوالدين مسيحياً ، كما أنها لا تعنى أن أطفال المسيحيين المعمدين فى طفولتهم قد خلصوا (بل إن أحد العلماء قال أن هذه الفقرة فى الحقيقة تعنى أن الأطفال المسيحيين ، مثلهم مثل البنات فى البيوت والعائلات اليهودية هم جزء من شعب الله دون أن يحملوا (ختم) العهد - أى الختان - وعلى ذلك فإنه يستبعد معمودية الأطفال لكن (القداسة) هنا هى موضوع وضع (قانونى) وليست القداسة المتعلقة بالخلاص إطلاقاً . فالطرف غير المؤمن يمكن أن يفرز أو (يقدّس) (٧ : ١٤) إلا أنه لم يخلص تماماً (٧ : ١٦) وعليه فليس هناك سبب يدعو إلى الاعتقاد أن خلاص الأطفال يرتبط بقداستهم ، وفى أماكن أخرى يقول بولس بتأكيد واضح أن الإيمان بالمسيح - وليس السلالة الطبيعية - هى أساس الخلاص (رو ٩ - ١١، غل ٣ - ٤) للتخلى عن هذا الموقف هنا .

ويبدو أن بولس يقول هنا أن الأطفال سيظلون فى محيط نفوذ الإنجيل

حتى إذا كان أحد الوالدين فقط هو الذى نال الخلاص ، وأنه حتى إذا ظل الشريك الآخر وثنياً ، وقد يؤثر سليباً فى حياة الأطفال فإن هذا ليس عذراً للانسحاب من رابطة الزواج . إن بولس هنا يقرر قاعدة عامة مؤسسة على الموقف الذى يواجهه - تماماً كما كان يسوع يعمل - لكن فى حضارة مثل حضارتنا حيث يستطيع أحد الوالدين الاستيلاء على الأطفال ، هل كان يستطيع بولس أن ينصح أحد الوالدين بالبقاء إذا كان الآخر يصر على جعل الأطفال يتناولون المخدرات أو يبيعون أجسادهم ؟ أظن أنه فى مثل هذه الحالة المحددة كان بولس يستطيع أن ينصح أحد الوالدين بأخذ الأطفال والمغادرة - مؤقتاً على الأقل - لكن قاعدة بولس هى مجرد قاعدة عامة ، إن الأطفال لا يمكن استخدامهم كذريعة لتطليق شريك الحياة غير المؤمن .

ليس المؤمن مستعبداً :

رغم أن هدف بولس فى هذه الفقرة - بلا شك - أنه يجب تفادى الطلاق فى الأحوال العادية ، إلا أنه أيضاً يعطي الحرية بوضوح للطرف البرئ لكى يتزوج مرة أخرى (عدد ٥) حيث يقول :

« ولكن إذا فارق غير المؤمن فليفارق ليس الأخ أو الأخت مستعبداً (برباط الزوجية) فى مثل هذه الأحوال ، لكن الله قد دعانا فى السلام » .

ويؤكد بعض الكُتّاب هنا أنه بينما يسمح بالافتراق - أو الطلاق - إلا أن الزواج مرّة أخرى غير مسموح ، لكن موقفهم هذا خاطئ فإن الزواج مرّة أخرى - كما يشير (هاريل Harrell) هو المسار الطبيعى الذى يجب البحث عنه بعد الطلاق كما جاء فى (تث ٢٤).

كما أن الشرع حسب عقيدة الربيين يفترض أن الزواج مرة أخرى يكون هو المسار الطبيعي ، لذا كانت الفقرة الرئيسية في وثيقة الطلاق هي (أنت حرة لتكوني لأي رجل) .

والفقرة القانونية اليهودية موضع الدراسة هي ما جاء في (ميشنا جيتيني) Mishnah gittin (٩ : ٣) والتي تقول :

{ إن الصيغة الرئيسية في هذه الوثيقة هي : « ها أنت حرة لتتزوجي أي رجل » وقول الربي (حورا) : ولتكن هذه وثيقة طلاقك وخطاب تفريق وفعل تحرير يعطيك الحق في أن تتزوجي من أي رجل تريدين ، والصيغة الرئيسية في وثيقة التحرير هي : « ها أنت امرأة حرة - انظري - أنت تنتمي لنفسك ، ليس لأحد سلطان عليك } .

وقد وجدنا أن عقود الزواج اليهودية القديمة كانت تتفق في قرينة الطلاق على أن كلمة (حرة) كانت تعني بالتحديد أن المرأة حرّة في أن تتزوج مرّة أخرى ، ولم تكن تعني شيئاً آخر غير ذلك .. فلو كان بولس قد قصد أن الزواج مرة أخرى غير مسموح به ، فإنه يكون قد قال بالضبط عكس ما قصده ، فما كان يستطيع أحد من قارئي القرن الأول أن يستنبط من كلمات بولس المعنى الذي فهمه بعض العلماء المحدثين ، وربما كان ذلك لأن احداً من مسيحي القرن الأول ما كان يشعر أن تعليم يسوع العام قصد به أن يستخدم في كل حالة بالذات ، وأولئك العلماء المحدثين الذين عارضوا (الزواج مرّة أخرى) في كل الظروف لم يقرأوا فقط أفكارهم الشخصية في كلمات بولس لأنهم لم يفهموها ، بل إنهم أيضاً يقرأون أفكارهم في كلمات يسوع لأنهم لم يفهموه ، فهم يقرأون (سوء فهمهم) ليسوع في بولس . ويمكننا أن نظن أن بولس فهم يسوع بطريقة أفضل جداً مما فهمه بها هؤلاء العلماء .

ما دعى كل واحد فيه فليلبث فى ذلك

وهذا لا يتضمن - بالطبع - مطالبة للمؤمن بالزواج مرة أخرى . فالمؤمن عليه أن يكون مكتفياً قانعاً بالحالة التى هو (أو هى) عليها ، ويشترك بولس فى هذا مع أخلاقيات كثير من الفلاسفة الرواقيين من أهل زمانه الذين كانوا يستطيعون هم أيضاً أن يتكلموا عن الزواج باعتباره أمراً أقل أهميةً إذ يتساءل (ابكتيتوس Epictetus) أحد هؤلاء الفلاسفة قائلاً: «ما الذى يجب أن يبحث عنه الإنسان ؟ أن يتزوج ؟ لا : إلا إذا أتاح الزواج أن يحفظ نفسه كشخص متناغم مع الطبيعة » وهذا المبدأ - كما يقول بولس - ينطبق ليس فقط على الزواج بل على المعطيات الأخرى فى حياتنا أيضاً . ويقال أن الكثير من اليهود - وهم يرغبون فى الظهور كمحترمين فى نظر اليونانيين كانوا يخفون ختانهم بعمليات جراحية ، لكن بولس ينصح ألا يحاول الأمم أن يختتنوا ، ولا يحاول اليهوذ أن يمحوا ختانهم . فإن أى من الحالتين ليست أفضل من الأخرى (٧ : ١٨ ،١٩) وبنفس الطريقة فإن العبيد هم حقاً أحرار فى المسيح ، والأحرار هم عبيد للمسيح (٧ : ٢١ ، ٢٢) وعليه فيجب أن يقنع كل واحد بموقفه (٧ : ٢٤) ما يقصده بولس فى هذه القرينة هو أن لا يطلب العزاب أن يتزوجوا ، والمتزوجون بصفة خاصة لا يجب أن يبحثوا عن الطلاق .

لكن الرضا والقناعة لا تعنى البلادة والكسل ، بل هى تعنى قبول المواقف التى لا يستطيع الإنسان تغيرها ، مع عدم تجاهل فرص تغيير الأوضاع إذا ما أتيحت هذه الفرص ، كما يقول الكاتب اليونانى الكلاسيكى . (كن راضياً بنصيبك الحالى ، لكن ابحث عن وضع أفضل)

وبولس يقول بوضوح إن العبد يجب أن يحصل على حريته إذا سنحت له الفرصة (٧ : ٢١ ، ٢٣) إذاً فإن حجته ليست ضد تغير وضع الإنسان تحت أى ظرف ، إنما هى موضوع مناقشة تهدف إلى أن الإنسان يجب أن يقنع بموقفه الحالى ، تماماً كما كان الرواقيون يعلّمون بالرضا والقناعة فى كل الأمور ، لكن بولس استطاع أن يعلّم - على الأقل فيما يتعلق بالمساواة النظرية ورجاء التحرير للعبيد - بالقناعة التى تسمح مع ذلك للمؤمنين بتحسين أوضاعهم . وعليه فهو لا يستخدم القناعة للشطب على احتمالات الزواج مرة أخرى ، بل للشطب على الطلاق غير الصحيح ، ولدعوة أولئك الذين قدرت عليهم العزوبية للاستمرار فى هذا السير - كما سنرى فى الفصل التالى .

الزواج مرة أخرى والخطية

يقول بولس فى (١ كو ٧ : ٢٧ ، ٢٨) إن الزواج مرة أخرى مثل زواج العذراء له مشاكله ، لكنه أيضاً ليس خطية .

« أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة - لكنك وإن تزوجت لم تخطئ - وإن تزوجت العذراء لم تخطئ ».

وبولس لا يقول : أن كنت (حرا غير متزوج) بل (منفصلاً عن امرأة) وهذا لا ينطبق إلا على من كان مرتبطاً من قبل ثم انفصل . وطبقاً لهذه القرينة يكون المقصود هو الشخص الذى كان متزوجاً من قبل . وينطبق هذا على العبارة الثانية كما على العبارة الأولى ، ولو أن بولس لم يكن يريدنا أن نفهم أنها تشير إلى الطلاق ، فقد كان يمكن أن يوضح هذا بكل بساطة

باستخدام كلمة أخرى .

ولا يشجع بولس الزواج مرة أخرى فى (٧ : ٢٧) بصيغة حاسمة (لا تطلب امرأة) أى لا تتزوج مرّة أخرى ، لكنه يعود فوراً فيعدل هذا التحذير بإظهار أنه يعنى مجرد نصيحة (٧ : ٢٨)والإشارة إلى العذراى فى (٧: ٢٨ وأيضاً فى ٧ : ٣٦ - ٣٨) يظهر أن عدم تشجيع بولس للزواج مرّة أخرى بالنسبة لأولئك الذين كانوا متزوجين هو على نفس مستوى عدم تشجيعه على زواج العذراى . وأولئك الذين لا يسمحون بالزواج مرّة أخرى للمطلقين فى كل الظروف عليهم أيضاً إلى أن يحظروا زواج العذراى .. ورغم أن بولس يستخدم كلمة (عذراى) ليشير للذين لم يتزوجوا من قبل ، وهذه كانت تستخدم قديماً فقط بالنسبة للنساء الطاهرات ، لكن يُفترض أنه قد استخدم نفس التعبير بالنسبة للرجال (العذراى) وأن تحفّظ بولس من نحو الزواج يرجع جزئياً إلى المصاعب التى كان المسيحيون يمرون فيها ، أو التى يتوقعونها فى ذلك الزمان (٧ : ٢٦) وهو فى هذا يتفق مع المسيح يسوع (مر ١٣ : ٢٧ ، أر ١٦ : ٢ - ٤) وبعض كُتّاب اليهود اللاحقين الذين كانوا يتوقّعون سرعة مجئ نهاية الزمان ، لكنه بالتأكيد لا يحظر الزواج بل يحذر من أنه سيكون له مصاعبه . إذ يوضح للإنسان ضغوط الحياة فى هذا العالم ، فإن من كان أعزب يجد أن لديه ميزة تكريس انتباهه بالكامل في عمل الله . فإن المحبة الزوجية تتضمن بالطبع درجة من الانشغال بأهدافها ، بل أن عقد الزواج اليهودى نفسه يربط كلاً من الزوج والزوجة بواجبات عليهما أن يقوما بها تجاه بعضهما البعض ولا يستطيعان التحلل منها إلا بموافقة الطرف الآخر . والتحرر من أية ارتباطات أخرى غير ما توجبه الدعوة الإلهية هو فى الحقيقة بركة عظمى بالنسبة لأى شخص

متناسب معها عاطفياً (٧ : ٧ ، متّى ١٩ : ١١ ، ١٢) .

ويمكننا فهم حجة بولس بالقياس مع بعض المفكرين القدامى الآخرين الذى تكلموا فى نفس الموضوع ، فقد كان سبب عدم زواج الفلاسفة الكلبيين cynic هو افتراض تحررهم من الاهتمامات العالمية . بينما يحتاطون لأنفسهم ضد التحرر الجنسى ، ولكن رغم القاعدة العامة هناك استثناء ، فإذا وجدت امرأة راغبة حقاً فى مشاركة الفيلسوف فى أسلوب حياته ، يمكنه أن يتزوج بها .

ويخبرنا أحد الكتّاب القدامى عن قصة (كرتيس crates) خليفة (ديوجينس Diogenes) المشهور وزوجته المسماه (هيبارشيا Hipparchi) التى طاردت كرتيسى بإلحاح ولم تتراجع أمام صّده المتكرر إلى أن قام أخيراً بخلع ملابسه أمامها وقال لها :

« هذا هو العريس وهذه هى ممتلكاته ، وعليك أن تختارى بموجبها لن تكونى زوجة ومعينة لى ما لم تشاركينى فى مهنتى » ويستطرد الكاتب فيقول « واختارت الفتاة نفس الاتجاه وصارت تذهب معه للأماكن العامة كما كانت تذهب مع زوجها إلى الولائم » .

لقد اعتنقت طريق الحياة الكلبية الجافة ، وصارت مشهورة لهذا السبب وكانت هذه هى الحقيقة عندما شكك كاتب (كلبى) لاحق فى مقدرة أى امرأة أن تتبنّى أسلوب حياة كهذا ، وكتب خطاباً باسم (كريتس) منتقداً إياها لترددها بعض الشئ فى هذه الحياة .

ومناقشة بولس لهذا الموضوع تستخدم عبارات رواقية قياسية عن التحرر من الحيرة والارتباك ، وربما يكون هو قد اعتقد أن الزواج مريح بالنسبة للبعض لكنه مُربك لآخرين ، لكنه اختلف عنهم فى أنه جعل الهدف الصحيح

لهذا التكريس هو ربنا يسوع المسيح ، ولابد أن يوافق جميع تابعى يسوع على أننا نحن الذين ندعو يسوع (رباً) علينا أن نتبعه من كل قلوبنا ، وبدون مساومات أو حلول وسط . والسؤال الذى لابد أن يثور هو ما إذا كان بولس يعتقد أن كل المؤمنين يمكنهم تنفيذ ذلك بطريقة أفضل وهم عزّاب أو أن العزوبية هى مثل الصوم : إن الصوم طريقة مفيدة للبحث عن الله ، لكن ليس كل شخص مؤهلاً جسدياً للصوم لنفس الوقت الذى يصومه الآخرون . إذا كان الرأى الثانى هو الصحيح فيكون أن العزوبية ، رغم أنها تعطى نبرة روحية عظيمة . إلا أنها ليست مقصودة لجميع المؤمنين .

ولتقرير ما إذا كان بولس يريد من جميع المؤمنين أن يظلّوا عزّاباً أو بعضاً منهم فقط ، علينا أن نفحص الجزء الأول من الأصحاح (٧) من كورنثوس الأولى فى ضوء الموقف الذى يتوجّه إليه بالحديث ، وهذا مهم لأن بولس يعطى نفس التعليمات لكل من الأزواج المطلقين والعزّاب أو العذارى فهو إما أنه يوصى باستمرار العزوبية لأولئك الذين تناسبهم من كل الفئتين أو يوصى كل المؤمنين من كل الفريقين بالعزوبية . أما قوله (من أعطى لهم) فهو فى رأيه مجرد عذر يقدمه أولئك الذين هم أقل التزاماً وارتباطاً بالله . وهذا ما سوف ندرسه فى الفصل المقبل .

استنتاج ختامى

إن استنتاجاتنا هنا تتفق أساساً مع استنتاجات (هاريل Harrell) الذى يقول :

« من المناقشة السابقة يبدو أنه بالإمكان الوصول إلى الاستنتاجات

التالية : »

أ - إن بولس يسمح للمسيحيين الذين هم شركاء في زواج مختلط بالطلاق إذا رغب في ذلك الشريك غير المؤمن .

ب - إن الطرف المسيحي عندئذ ليس مستعبداً ، وهو حر في أن يتزوج مرّة أخرى .

ج - أن بولس يذكر سبباً للطلاق لم يسبق وروده في العهد الجديد استناداً إلى سلطانه الرسولي .

إن بولس لا يسمح بالطلاق بسبب التنافر أو عدم الانسجام الروحي . فإن على المسيحي أن يفعل أي شئ في استطاعته ، لكي يجعل الزواج يستمر لكن إذا أنهى الطرف الآخر الزواج ، وكان الشريك المسيحي يعلم أنه (أو أنها) قد عمل بكل قوة وإخلاص على المحافظة على الزواج متماسكاً . فيكون هذا الطرف حراً في أن يتزوج مرّة أخرى . والكنيسة التي لا تستطيع أن ترى قلوب البشر ، أو المواقف الخاصة بالطريقة التي يراها بها الله ، لن تعرف دائماً ما إذا كان أحد طرفي الزواج برئ فعلاً فيما يتعلق بالطلاق (وواضح أننا لا يمكن أن نعتقد أن كلا الطرفين أبرياء ، لأن الزواج لا يمكن فسخه إلا بناء على طلب طرف واحد على الأقل) وأنا أعرف أشخاصاً تصرّفوا عمداً بطريقة تدفع شركاء حياتهم إلى طلب الطلاق منهم ، ثم بعد ذلك ألقوا باللوم على الشريك الآخر (الذي يجب أن يتحمل نصيبه من اللوم على أي حال لأنه طلب الطلاق إذا لم يكن ذلك ضرورياً) إلا أنني أعرف أيضاً أشخاصاً أبرياء قد شهّر بهم شركاؤهم الذين هجروهم ، والذين طعنوا طعنة قوية من أعضاء جسد الرب الذين صدقوا هذا التشهير .

إن الكتاب المقدس يعتبر شريك الزواج الذي يمارس (زنا) بغير ندم أو

توبة أو الذى يطلب الطلاق - مسئولا عن فسخ عقد الزواج ، لأنه يغلق باب المصالحة أو معالجة الزواج ، وإذا طلب الشريك المُساء اليه الصلح ، فلا يصح مسا ءلة هذا الشريك(المجنى عليه) عن درجة الكمال التى يمكن أن يوضع عليها الشريك الآخر .

والله الذي يعرف قلوبنا جميعاً سوف يبررنا فى النهاية أو يحكم علينا . لكن كنيسته - إذا اخطأت - فعليها أن تميل إلى جانب الرحمة ، وليس إلى جانب الدينونة ، إن بولس يقول بوجود الطرف البرئ ويسمح له بالزواج مرّة أخرى ، وقد جاء الوقت التى يتعلم فيه كثير من المسيحيين أن يفعلوا نفس الشئ .

(٦) (١ كو ٧)
والزواج

رغم أن بولس يسمح لبعض المطلقين بالزواج مرّة أخرى فى (١ كو ٧) إلا أنه فى بعض أجزاء هذا الأصحاح يبدو كما لو كان لا يشجعهم على ذلك بل الحق أن بولس يبدو فى نفس هذه الفقرات ، كما لو كان لا يشجع أى إنسان غير متزوج على الزواج أساساً .. فهل العزوبية هى الدعوة العليا للمؤمنين جميعاً ؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتعلق بالمؤمن المطلق كما تتعلق بالمؤمن الذى لم يسبق له الزواج . فإن مزايا العزوبية بالنسبة للاثنين واحدة ، كما أن الاحتياجات الإنسانية قد تقود كل منهما للبحث عن الزواج ، وعليه فلا يمكن تجاهل التساؤلات التى تثيرها دراستنا فى هذا الفصل ، فإننا سنفحص فى هذا الفصل فضائل العزوبية التى يقدمها بولس ، متسائلين عن المواقف التى دفعت بولس إلى كتابة هذه الكلمات وما إذا كان يؤيد حياة العزوبية بالنسبة للجميع ، أو بالنسبة للبعض فقط (المؤمنين المكرسين) .

(١ كو ٧) فى قرينته

المشكلة التى واجهها بولس فى كورنثوس - وفى كثير من المجتمعات القديمة - هى نفس المشكلة التى يواجهها معظم القراء فى حضارتنا الحالية (الجنس خارج حدود الزواج) إن موضوع الجنس والزواج تربط الأصحاحات من ٥ - ٧ من رسالة كورنثوس الأولى ، ففى أصحاح (٥) يواجه بولس

خطية جنسية محددة ارتكبها أحد أعضاء الكنيسة هناك ، ويصف التأديب الكنسى الواجب توقيعه على هذا العضو .. ثم يمضى فى (١ كو ٦ : ١ - ١١) فى التوصية بالتأديب الكنسى ، فينقد أعضاء الكنيسة لمحاكمة بعضهم البعض أمام المحاكم الحديثة (نشر غسيلهم القذر على الملأ) وفى الأعداد من ١٢ - ٢٠ يواجه بولس تصرفاً جنسياً أكثر دناءةً كان سارياً فى قلب الكنيسة ، إذ كان بعض الأعضاء يقومون برعاية الزوانى ويدافعون عنهن . وما أن نصل إلى (١ كو ٧) حتى نجد أن كل الأعضاء لم يكن لهم كل هذا الحماس لإقامة علاقات جنسية ، بل الحق أن بعض أعضاء الكنيسة كانوا ضد العلاقة الجنسية الوحيدة التى كان بولس يسمح بها وهى الزواج . إذ أن هؤلاء أنفسهم يبدو أنهم كانوا يعزفون عن العلاقة الجنسية حتى فى إطار الزواج .. ويبدأ بولس الأصحاح بأن يعرض ، وربما يلطّف ، نظريتهم التى تقول (حسن للرجل ألا يمس امرأة) (٧ : ١) ثم يواجه الموقف الذى نجم عن هذه النظرية محاجاً بأن الوقت قد فات لاعتناق هذه النظرية طالما هم متزوجون فعلاً (٢ - ٥) ويمضى فى بقية الأصحاح فى التسليم بجزء من معتقدهم ، معدّداً مزايا حياة العزوبية ، لكنه دائماً يشير بدبلوماسية إلى أنهم يجب ألا يفرضوا تفضيلهم لحياة العزوبية على الآخرين الذين يرغبون فى الزواج .

إن توبيخ بولس فى (١ كو ٦) أعنف بكثير من حجّته فى (١ كو ٧) لأن الموضوعات مختلفة ، فهو يحظر العلاقات الجنسية قبل أو خارج إطار الزواج حظراً مطلقاً .. إلا أن الأفراد يمكنهم أن يختاروا بين البحث عن الزواج أو البقاء فى حالة العزوبية على أساس ما حباهم الله به من هبات والمكان الذى وضعهم فيه .

ربما كان أصحاح ٦ ، ٧ يتعاملان مع وجهين لعملة واحدة ، فقد كانت بعض المثاليات اليونانية عن التكريس لله تلغى الزواج ، لأنه سيربط الشخص ويقيده ، لكنها فى نفس الوقت كانت توافق على العلاقات الجنسية مع البغايا ، وربما اتبع بعض المسيحيين الكورنثيين هذا المثال ، بل ويحتمل أن يكونوا قد استخدموه كعذر للامتناع عن العلاقات الجنسية فى إطار الزواج ، وفى الفقرة التالية مباشرة من هذا الفصل سوف نفحص كيف كان الناس ينظرون إلى العزوبية والزواج فى العالم القديم كخلفية للموضوعات التى كان على بولس أن يواجهها فى (١ كو ٧) ويّتعين أن يكون واضحاً فى مقابل خلفية هذه المواضيع أن أساس الاختيار بين الزواج والعزوبية ليس ما إذا كان الشخص متزوجاً من قبل أم لا ، بل هو طبيعة موهبة الشخص ، وما إذا كان يستطيع أن يّغير وضعه الحالى أم لا .

العزوبية والتبتّل فى الفكر الإغريقى / الرومانى

كان الكثير من الكتاب الإغريق / الرومان الذين يعارضون الزواج يعتقدون أن الجنس بدون زواج أمر محبب . وهذه التفرقة بين الجنس والزواج سوف ترد فى نقاط مختلفة فى الدراسة التالية ، فمثلا اعتقد الكثيرون من فلاسفة الإغريق أن الزواج عائقاً لا ضرورة له ، لكنهم مع ذلك افترضوا أن التفريج الجنسى مع البغايا هو نشاط عادى للرجال .. أن التبتّل هو البديل الوحيد لمن لهم آراء معينة فى الزواج ، وفى نفس الوقت يعارضون ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج ،كما فعلت بعض فصائل اليهود ، ولكن هذا كما سنرى لم يكن الموقف العام فى الأزمنة القديمة ، وإن كان قد اكتسب بعض الموالين له .

كان معظم الناس فى القديم يشعرون بأن الزواج والنشاط الجنسى هو القاعدة ، إلا أن بعض الفلاسفة مثل الرواقيين كانوا مهتمين بتخليد أنفسهم والمجتمع عن طريق التناسل . يقول المفكر الرواقى (ماسونيوس رافاس Musoniws Rufus) أن الزواج تم ترتيبه بواسطة الطبيعة نفسها .

« لأنه ، لأى غرض آخر خلق الخالق الجنس البشرى ، وجعلهم جنسين ذكوراً وإناثاً ، ووضع فى كلٍ رغبة قوية فى المزاملة والاتحاد مع بعضهما البعض ؟ أليس من الواضح إذاً أنه أراد أن يتحد الجنسان ويعيشا معاً بجهودهما المشتركة ويبتكران طريقة للحياة المشتركة بينهما ؟ » .

ولم يكن هذا النوع من التفكير مقصوراً على الفلاسفة وحدهم ، بل إن مروجى سياسات الدولة الرومانية كانوا أيضاً يؤيدون الزواج ، ففى أواخر أيام الجمهورية وبداية الامبراطورية الرومانية كان الزواج وإنجاب الأطفال

يلقى تشجيعاً بغرض المحافظة على عدد الأرستقراطيين فى العالم الرومانى وإذا كان الامبراطور أوغسطس مهتماً ومهموماً بتناقص عدد الارستقراط أصدر قوانين صارمة تؤكد على ضرورة زواج سيدات الطبقة العليا وإنجاب الأطفال ، ولم تكن قوانين (أوغسطس) تشجع على الطلاق فى حد ذاته بل أنها أصرّت على ضرورة الإسراع بالزواج مرّة أخرى ، وإنجاب المزيد من الأطفال .

كما كان الزواج أيضاً هو الرغبة الطبيعية لمعظم الشابات اللواتى نقرأ عنهن فى الآداب القديمة .. ففى قصة (كيوبيد Cupid) و (سايك Psyche) كان الجميع فى البداية معجبون بجمال (سايك) إلا أن ذلك لم يكن يعنى شيئاً بالنسبة لها . لأن أخواتها الأقل منها جمالاً كن تزوجن فعلاً وهى لم تتزوج بعد ، وكانت تنعى عزوبيتها عند بيتها . وفى الروايات الغرامية الأخرى كان الحنين إلى الزواج واضحاً ، وكان يعتبر شرفاً عظيماً لرجل ما أن يحصل على زوجة جميلة مشتاه . ومنذ القديم أكدت نقوش المقابر الأثرية مأساة من مات دون زواج ، فقد جاء فى نقوش القرن السادس قبل الميلاد فى أثينا :

" مقبرة فرازسليا Phrasicleia " سيبقى اسمى دائماً (العذراء) هذا هو الاسم الذى اختارته لى الآلهة بدلاً من " زوجة " . كما جاء فى نقوش أخرى من القرن السادس قبل الميلاد شعر هجائى يقول :

« إن أفضل يومين فى حياة المرأة هما : اليوم الذى يتزوجها فيها زوجها ، واليوم الذى يحملها إلى القبر جثة هامدة » .

إلا أنه رغم أن الزواج كان هدف معظم الشبان والشابات ، إلا أن هذا الهدف لم يشترك فيه الجميع . فإن البعض رفض الزواج خوفاً من الشقة

المفقودة ، وآخرون احتجوا بالقول أن الممارسات الجنسية مع أفراد من نفس الجنس كانت أسمى من النشاط بين أفراد جنسين مختلفين ، واعتبروا النساء (خطرات) كما كان لدى الآخرين أسباب دينية أو فلسفية لتجنّب الزواج أو الجنس .

كان نظام عذارى فستال واحداً من القرائن الدينية التى تمجد العزوبية الذى ينظر نظرة توقير للنساء الرومانيات اللواتى احتفظن بالعذراوية الدائمة وإذا حدث أن تنجست أحداهن باختيارها كان يجب أن تُدفن حية ، وكانت المتاعب التى تجلبها لجاستهن على روما عن طريق الآلهة لا يهدئها سوى ذبيحة بشرية ، فقد كانت عذراويتهن تمثل بطريقة ما نوعاً من القوة الروحية لصالح روما ، ربما كان ذلك لأن هذا النظام كان يمثل تضحية جسيمة فى تلك الحضارة . على أنه لم يرد فى أى مكان القول أن على جميع نساء روما أن يتبعن مثال (عذروات فيستال) وكان يكفى أن تكون النساء عفيفات وأمينات لأزواجهن .

ويحتمل أن تكون الطوائف الأقل ارتباطاً مع الاستقراطية فى روما قد فضلت العزوبية ، وعلى عكس ما يقول به بعض العلماء ، أن هذه الطوائف لم يوجد بينها كهنة إيزيس ، إلا فى حالات التقشف المؤقت ، إذ كان يجب أن يكونوا طاهرين تماماً ، لكن ربما يعنى ذلك الامتناع عن العلاقات الجنسية خارج إطار الزواج ، وفى إطاره لأغراض تطهيرية ، مثلما كان موجوداً فى الحضارات الأخرى .

كانت كهنة (سيبل cybele) فى بلاد الغال يقطعون عهود التبتّل ، وكان طقس الدخول فى الكهنوت يتضمن (خصيهم) . لكن هذا لم يكن مثالاً لحياة دينية كاملة فى المجتمع الرومانى ، وكان التجاوب العام مع هذا

الإفساد - فضلاً عن كونه سخرية - نوعاً من الاشمئزاز ، فإن الذين يتعرضون لعملية الخصاء هذه كان يقال عنهم أنهم لم يعودوا بعد رجالاً ، ورغم أن الاشارة المفترضة إلى ممارسة مثل هذه فى (غل ٥ : ١٢) مشكوك فيها فإن المفروض أن بولس كان يدرك ممارستها . لكن المشكوك فيه أن يكون مسيحيو كورنثوس قد لجأوا إلى مثل هذا النموذج غير الجذاب اجتماعياً لكى يمارسوا تبتّلهم ، لكن ما كانت هذه الأديان تحبّذه للأقلية رأى الفلاسفة أنه مثالى بالنسبة للكثرة ، فقد كان للفيلسوف اليونانى الكلاسيكى (انتيستنيس Antisthenes) بعض التحفّظات حول الزواج كما أن نظرة أفلاطون plato للجسد كمعوق يمكن أن تقود إلى مثل هذا التحفظ . لكن الموقف المتوسط ينسب إلى الرجل الحكيم المثالى سقراط socrates . « عندما سأله أحدهم إن كان يتزوج أم لا فكان ردّه . أى الطريقين تأخذ سوف تندم عليه » .

أما الرواقيون (مثل ديوجينس) فقد مضوا إلى أبعد من ذلك بكثير إذ سئل : ما هو الوقت المناسب للزواج ، فأجاب « بالنسبة للشباب لم يحن الوقت بعد - وبالنسبة للكبار لن يكون هناك وقت قط . » ويعترض كاتب لاحق باسم ديوجينس قائلاً : -

« ليس على الإنسان أن يتزوج وينجب حيث أن جنسنا ضعيف ، والزواج والأطفال عبء يثقل كاهل الضعف الإنسانى بالمتاعب ، وعليه فإن الذين يتجهون إلى الزواج وإنجاب وتربية الأطفال بأمل المعونة التى يقدمها هؤلاء يختبرون فيما بعد تغيراً جذرياً عندما يكتشفون أنهم يتحملون أعباء جسام لذا فمن الممكن التهرب من كل ذلك من البداية » .

وكما سبق الملاحظة فى الفصل السابق ، كان الرواقيون يعارضون الزواج

ليس لمجرد معارضتهم للعلاقات الجنسية عامةً ، بل لأنه يتضمن ارتباكاً وإلهاءً ، وقد كان للرواقيين طرقاً أخرى للتفريج عن شهيتهم الجنسية فلم يكن هذا يمثل عهداً بالبتولية ، لكنه يشير إلى أن الجميع لم يكونوا مشتركين في التأكيد اليوناني / الروماني على ضرورة الزواج ، ويقال أن (فيثاغورس pythogoras) كان لايجيز الاتصال الجنسي على الأقل خلال جزء كبير من العام كما أن (أبيقورEpicurus) كان يشعر أن على الرجل الحكيم ألا يتزوج أو يكّون أسرة فيما عدا استثناءات نادرة ، لكن كثيراً من فلاسفة الرواقيين واجهوا (فقدان الثقة) في الزواج أو الاتصال الجنسي الذي سيطر على الفلاسفة الآخرين ، وقد انتقد ابكتيتوس وهو رواقي موقف أبيقور فقال .

« إني اسألكم باسم الله أن تقولوا لي : هل تستطيعون تخيل الموقف الأبقوري ؟ قد يقول أحدكم أنا لا أتزوج ، ويرد الآخر قائلاً : ولا أنا أيضاً لأنه يجب على الناس ألا يتزوجوا ولا ينجبوا أطفالاً ، ولا يقوموا بواجبات المواطن ، فماذا يمكن أن يحدث عندئذ في رأيكم ؟ من أين يمكن أن يأتي المواطنون » .

وبينما كان « ابكتيتوس » لا يعارض الزواج فإنه كان يعارض العلاقة الجنسية بدون زواج ، بل إنه حتى في هذا الخصوص فإنّه أصّر على أن المتبتلين لا يجب أن يطالبوا الآخرين بها . كما أن هناك رواقيون آخرون يعارضون المدارس الفلسفية التي تجيز التبتّل .

وحقيقة أن بعض الفلاسفة كانوا يعارضون التبتّل إنما تؤكد وجهة نظرنا وهي أن قضية التبتّل كانت معروفة ، ويتم الدفاع عنها في أيامهم ، والمناقشات الفلسفية ضد التبتّل إنما تزودنا بدلائل أخرى ، على أن بعض الناس في

العالم القديم قد عارضوا أياً من الزواج أو الجنس أو كليهما معاً .

الزواج كضرورة فى اليهودية الأولى

كان الكُتّاب اليونانيون والرومان عادةً يحثّون على الزواج ، ونادراً ما كانوا يحثّون على التبتّل ، وكثير من أولئك الذين حثّوا على العزوبية ظلوا يحبذون التفريج الجنسى بوسائل أخرى سواء عن طريق (العاهرات) أو إثارة النفس (الاستمناء) . وكما سنرى فإن معظم اليهود أدانوا التبتل بنفس القوة التى أدان بها الكتاب اليونانيون والرومان . لكن ربما كان أولئك الذين عارضوا الزواج فى بعض الحالات ، كانوا أقرب إلى بولس من معظم الكُتّاب اليهود ، لأنهم اتفقوا معه فى أن الأتقياء يجب أن يمتنعوا عن النشاط الجنسى خارج نطاق الزواج .

كان الزواج أمراً حيوياً فى اليهودية . فقد قال الله فى (تك ٢ : ١٨) « ليس جيداً أن يكون آدم وحده » ولم يفكر أحد قط أن الله قد غيّر رأيه منذ ذلك الوقت ، والجزء الأكبر من الأدب اليهودى القديم الذى وصل إلى أيدينا حتى اليوم يوضح صورة الزواج فى ضوء إيجابى للغاية . أما التبتّل فيظهر فى صورة سلبية للغاية .

أما بالنسبة لشباب النبلاء فقد كان من قبيل العجرفة ألا يتزوجوا ، بينما كانت الشابات ينتظرن فى حزن تقدّم الأزواج الصالحين إليهن ، ويخبرنا أحد الربيين اليهود من القرن الثانى الميلادى عن المصير المؤسف للشاب الذى يتحدث عن النساء بازدراء ، معتقداً أن أياً منهن ليست صالحة له ، فإنه عندما تقدم به العمر ، وأراد أن يتزوج لم توافق أية شابة على الزواج من مثل هذا الرجل العجوز .

لا شك أنه كانت هناك أسباب للزواج المبكر ، مثل نشر اسم العائلة والسلالة البشرية « لا تبق بدون زواج لئلا تموت مغموراً مجهولاً أعط للطبيعة حقها وانجب بدورك كما أنجبك أبواك ».

كما أن معلمين كثيرين اعتقدوا أن الزواج كان الطريقة الوحيدة التى يمكن بها حماية الشباب من التجاوب الخاطئ مع الشهوات الجنسية ، وقد قيل أن أحد الربيين كان يحضر جوائز وهدايا لزوجته باستمرار رغم أنها كانت تزعجه باستمرار ، وذلك لأنه « يكفينا أنهن تقمن بتربية الأطفال ويخلصننا من الخطية » وقال آخر أيضاً ما أن يتخذ الرجل زوجة حتى يتم دفن خطاياه » . كما أن بعض الربيين شجعوا الزواج فى سن مبكرة بالنسبة لدارسى التوراة لكى يمنعوا التشتيت عن طريق المغريات . وهذا كان على الأقل سبب جسدانى مادى ، وهناك قصة تقال عن تلاميذ كان عليهم أن يجلسوا خلال محاضرات المعلم مدداً طويلة حتى يصيبهم الضعف . وربما كان أحد أسباب ضعفهم كبح السائل المنوى لمدة طويلة مما أتلف أجسادهم كما أن اليهود كانوا مقتنعين أن الله يشاركهم فى قناعاتهم عن الزواج وإنجاب الأطفال ، وقد وضع بعض الربيين على رأس قائمة الأمور السبعة التى تحرمها السماء « اليهودى غير المتزوج .. والمتزوج ولم ينجب أطفالاً » وقد اعتقد بعض المعلمين اليهود أن الرجل غير المتزوج يحيا بدون صلاح ، وبدون معونة ، وبدون فرح ، و بدون بركة ، وبدون كفارة » .وهذا يشير إلى أن الإنسان لا يفقد فقط بركة عظيمة ، بل إنه يخطئ ضد الله بعدم الزواج . لقد شعر معلمو اليهود أنه كان من الأفضل جداً أن يتزوج الإنسان في أصغر عمر ممكن ، لكن هذه العادة لم تكن تمارس بواسطة اليهود الفلسطينيين فقط ، فإن البنات فى العالم اليونانى / الرومانى كن

يتزوجن وهن في سن المراهقة ، وغالباً في أوائل العقد الثاني من العمر . وفي أسبرطة الكلاسكية كانت الفتيات الأسبرطيات يتزوجن في سن أكبر من ذلك . أما فتيات أثينا غالباً ما كن يتزوجن قبل سن الخامسة عشرة ، وقداقترح أفلاطون أن تتزوج النساء فيما فين سن ١٦ - ٢٠ بينما يتزوج الرجال فيما بين سن ٣٠ - ٣٥ سنة .

وما أن جاءت أيام بولس حتى كانت نسبة كبيرة من الفتيات الرومانيات يتزوجن في أواخر العقد الثاني من أعمارهن . ويلاحظ أحد الكتّاب أن الرجال كانوا يطلقون لقب السيدات على البنات اللاتي يبلغن أربعة عشر عاماً . وينعي الكاتب الروماني (كوينتليان Qwntilian) حظه فيقول إن زوجته أنجبت له ابنين قبل أن تبلغ التاسعة عشرة من العمر ثم ماتت .. وقد كانت قوانين أغسطس تبيح خطبة البنات في سن صغيرة تصل إلى سن العاشرة ، وأن يتزوجن في سن الثانية عشره .. وكانت الكثير من البنات يتزوجن في سن الخامسة عشره « فمن ٢١٧١ نقشاً في (هاركنس Harkness ١٨٩٦) يشمل أن ٦٧ من النساء قد تزوجن قبل سن الخامسة عشر و ١٢٧ قبل سن ١٩ سنة . كما كان واضحاً أن بعضهن تزوجن حتى قبل سن ١٢ سنة ، وفي عيّنة (هوبكنز Hopkins - ١٩٦٥ ب) كان ٨ ٪ منهن متزوجات في سن العاشرة والحادية عشرة » .

ويحتمل أن تكون نساء الطبقة العليا يتزوجن في سن السابعة عشره رغم أن قانون أوغسطس لم يكن يعاقبهن على العزوبية ، إلى أن يصلن إلى سن العشرين .

وقد كان معلمو اليهود يشعرون عادة أنه من المناسب أن تتزوج البنات بمجرد أن يصلن إلى سن يصلح للزواج - أي حوالي سن ١٢ - ١٤ سنة -

وكان هذا يعتبر نوعاً من اللطف تجاه الابنة ، وتجاه الرجل الذى سيصبح زوجها حيث كان يحرص الرجال على الزواج فى أصغر سن ممكنة حتى يتم تحصينهم ضد الإغراء ، كما كان يمكن أن يعتبر ذلك أيضاً نوعاً من الرحمة تجاه الشبان الآخرين حتى لا يتعثروا فى الخطية بسببها .

وكثيرا ما اشتكى الربيّون أن الرجال الذين وصلوا إلى سن العشرين وما بعدها ، ولم يتزوجوا كانوا يخطئون إلى الله ، فكانت سن ١٨ سنة هى العمر العادى لزواج الرجل ، ونحن نعلم بالطبع أن الرجال يتزوجون أحياناً بعد سن العشرين ، لكن هذا لم يكن أمراً شائعاً كما كان فى باقى أرجاء العالم الرومانى .. وقد كان الحد الأدنى لزواج الرجال فى التشريع الرومانى هو ١٤ سنة ، أو عندما يظهر الولد علامات جسدية لبلوغه الرجولة . إلا أن الذكور الرومان كانوا عادة يتزوجون فى سن الخامسة والعشرين وما بعدها . وكان أحد أسباب النظر إلى الزواج كأمر حيوى هو أن الإنجاب كان أمراً حيوياً فهذه هى الوسيلة التى تضمن استمرارية الجنس البشرى عامةً ، وشعب الرب بصفة خاصة . ولم تكن هذه الفكرة قاصرة على اليهودية فقط فإن الحضارة اليونانية الأقدم لم تكن تشدّد دائماً على إنجاب الأطفال ، لكن فى فترة حكم اوغسطس ، كان يتم التنبير على ذلك مشدداً باعتباره الوضع المثالى فى الآداب اليونانية الرومانية فإن (بلوتارك) مثلا يدعو عملية الزواج (البذار المقدس) ، وينادى بعدم الارتباط إذا لم يكن الشخص راغباً فى الإنجاب . ولا شك أن دعاية أوغسطس للإكثار من النسل كانت ممتدحة سواء نفذها الناس أم لم ينفذها .

كانت النداءات العامة لإنجاب وتربية الأطفال واجبة وضرورية بسبب عدم إقدام الناس على ذلك . فلم يكن كل من ينجب طفلاً يحتفظ به رغم

أن تربية الأطفال كانت تتبع الفكرة العامة عن تواصل ذرّية الشخص ونسبه .. ولقد كانت اليهودية تدين كلاً من الإجهاض قبل الوضع ، وما كان يمكن أن يفهم منه أنه إجهاض بعد الولادة (وذلك بترك المواليد معرّضين للموت) فإجهاض الجنين (من سن ثلاثة شهور من بداية الحمل) كان يقابل بالرفض من جانب الفلاسفة والأطباء والقضاة والشعب عامة ، ولقد ظلت المناقشات الخاصة بما إذا كان الجنين شخصاً ، وبالتالى ما إذا كان الإجهاض قانونياً أم لا ، قائمة منذ القدم وحتى اليوم .. لكن المناقشات الكثيرة فى الماضى عن الموضوع تحدد حقيقة أن الإجهاض كان شائعاً فى الأوساط غير اليهودية ، معززة ضرورة هجوم اليهودية عليه .

ولقد شدّدت اليهودية على تربية الأطفال أكثر حتى من الدعاية الإمبراطورية . (والربى يشوع) ينصح بأن يتزوج الإنسان مرة أخرى ويظل ينجب أطفالاً فى السن الكبير كما فى سن الشباب . ويقتبس (هاريل Harrell) من أحد المصادر اليهودية القول : إن التناسل كان أهلاً للمكافأة والتقدير أكثر مما كان تستوجبه بناء الهيكل . ويقول معلم آخر ، أن الله ترك حزقيا يموت وهو شاب كعقاب له على عدم محاولة إنجاب أطفال فى وقت أقرب ، وبالتالى كان إضاعة الرجل لسائله المنوى خطيئة فظيعة .

كان إنجاب الأطفال واجباً مقدساً يرتبط بأمر الله القائل " اثمروا وأكثروا " لأن البشر خُلقوا على صورة الله فكان من يحجم عن الإنجاب كمن أزال صورة الله ، وكان ينظر إلى الفشل فى إنجاب الأطفال بنفس النظر إلى من يقتلهمْ ، ومن ثم كان المعلمون (الربيون) يطلبون من الأزواج أن يطلّقوا زوجاتهم إذا لم يكن يستطعن حمل الأطفال ، وإن كان يسمح لهم

بفترة اختبار مدّتها عشر سنوات .. ويقول (يوسيفوس) أنه طلق زوجته لعدم رضاه عن سلوكها ، أما الإساءة المحددة التى ينسبها لها فهى موت اثنين من الأطفال الذين أنجبتهم . وفى نص آخر أن منوح الذى أصبح والد شمشون كان تقريبًا على وشك تطليق زوجته بسبب عقمها قبل أن يهبها الله (بطريقة معجزية) ابناً من زوجها . ويكتب فيلو philo ما يلى :

« إن أولئك الذين يرفعون القضايا للتزوج من نساء قد تأكد عقمهن فعلاً مع أزواج آخرين ، إنما يتواصلون جنسياً مثل الخنازير أو الماعز ، ويجب أن تحفر أسماؤهم فى كشوف الأشرار وأعداء الله .. لأنه بينما لا يدخر الله وسعاً فى محبته للجنس البشرى ، ولكل الأحياء فى الحفاظ على كل الأجناس وصيانتها ودوامها ، فإن الأشخاص الذين يتفننون فى إطفاء حياة البذرة عند ولادتها يوجه إليهم الاتهام باعتبارهم أعداء الطبيعة » .

لكن الطلاق لهذا السبب كان يعتبر واجباً أكثر منه أمراً مسراً .. وهناك قصة تقول : إن إحدى الزوجات كانت فى حاجة شديدة لاستعادة زوجها حتى أن الله تدخل أخيراً ليمنحها طفلاً من هذا الزوج .

العزوبية والتبتل فى اليهودية الأولى

بينما يشير الحجم الأكبر من شواهدنا - وخاصة تعاليم الربيين اللاحقيين- إلى أن اليهود فى حقبة الامبراطورية الرومانية كانوا يقدرون الزواج تقديراً عظيماً ، فإن هناك من الشواهد أيضاً على أنه كانت هناك استثناءات . فقد سمح كثير من الربيين بفترات تقشف طويلة تحت ظروف معينة ، وكان التلاميذ المتزوجون يذهبون أحياناً للدراسة فى أماكن بعيدة عن بيوتهم عن معلمين مشهورين ، وإن كان ذلك لا يتم إلا بموافقة زوجاتهم وهناك قصة (الربى أكيب) الذى تغيب عن بيته أربعة وعشرين عاماً لكنه عاد ومعه اثنى عشر ألف زوج من التلاميذ لكى يقدموا التحية لزوجته الصابرة . هى قصة خيالية لكنها توضّح أن المعلمين كانوا يعتبرون مثل هذا الانفصال الممتد عن زوجاتهم أمراً ممكناً فى سبيل التوراة ، ويقال أن (الربى سيمون بن يوهاى) ومعلم آخر تركا عائلتيهما لمدة ثلاثة عشر عاماً للدراسة على يد (أكيبا) .. وهذه الأمثلة كلها تصور معلمى القرن الثانى . إلا أننا نعلم عن معلم يهودى واحد ترك تلاميذه أسرهم بصفة مؤقتة فى القرن الأول وهو يسوع .

ويبدو أن بعض المعلمين (الربيين) كانوا قد فتنوا بدراسة التوراة لدرجة أنه لم يكن لديهم وقت للزواج ، رغم أن ذلك كان انتهاكاً للتقليد الربينى . وعليه فإن أحد الربيين فى أوائل القرن الثانى ويدعى (سيمون بن عزى) انضم إلى باقى المعلمين فى تفسير سفر التكوين : إن كل من لا ينجب أطفالاً يرتكب جريمة تقليص للصورة الإلهية بمنع حمل البشر المخلوقين على صورة الله ، لكن علماء آخرين واجهوه بالقول :

« إن كلمات (بن عزى) لطيفة عندما تأتى من شخص يفعل ما

يقول ، أن البعض يشرحون شرحاً جميلاً لكنهم لا يفعلون ما يقولونه ، أو هم يفعلون ما يقولونه لكنهم لا يفسّرونه تفسيراً جيداً .. و(. بن عزى) يشرح ويفسر جيداً لكنه لا يفعل ما يقوله بطريقة جيدة » . ويقول له « ماذا سأعمل ؟ إن نفسي ظمأي من جهة التوارة ، لنترك الناس الآخرين يتولوا أمر العالم » .

كما أن الربيين أيضاً كانوا يسمحون بتبتّل مؤقت فى ظل ظروف قصوى فلم يكن للربى (سيمون بن يوهاى) الثقة الكافية فى زوجته ليطلعها على المكان الذى اختبأ فيه من الرومان طيلة سنوات عديدة ، وكما أن نوح قد حظر عليه الاتصال الجنسى طوال فترة إقامته فى الفلك ، كذلك يبدو أن هناك بعض الدلائل عن افتراق أنبياء عن زوجاتهم حتى يستطيعوا أن يسمعوا الله وهو يتكلم أما بالنسبة للمعلمين (الربيين) فقد كانت العزوبية فى النهاية هى الاستثناء أكثر منها القاعدة .

وبالطبع فإن الصورة التى سنحصل عليها عن اليهودية القديمة . إذا نظرنا إلى المعلمين الربيين فقط ستكون مشوهة جداً .. فإن التقارير الخاصة بالتعليم الربينى هى عادة أحدث من القرن الأول الميلادى . كما أنها ليست دائماً ممثلة للاختلافات داخل اليهودية حتى فى فترة التقرير نفسها لذا فإنه من المهم بالنسبة لنا أن نختبر أنواعاً أخرى عن اليهودية التى وجدت فى القرن الأول قبل أن تأخذ التقاليد الربية نفسها شكلها . وهناك كثير من روافد الشواهد عن ممارسة العزوبية فى اليهودية الأولى ، فيبدو أنه كانت هناك فترات من العزوبية المؤقتة تمارس فى بعض الدوائر اليهودية للحصول على الإعلانات السماوية ، وبالمثل وطبقاً لتقليد يهودى آخر ، كان الرجال الاسرائيليون فى أيام مولد موسى قد قرروا ممارسة التبتل إلى أن يخلّصهم

الله ، لأن فرعون كان يقتل أبناءهم الذكور الذين يولدون لهم . حسب عادة اليوبيل خلال القرن الثانى قبل الميلاد . انتظر يعقوب حتى أصبح عمره فوق الستين سنة دون أن يتزوج ليتجنّب الزواج من امرأة أجنبية كمل قيل أن اختيار راحيل لكبح رغبتها الجنسية بصبر كان الفضيلة التى أعطت لها الحق فى حمل ابنى يعقوب (يوسف وبنيامين) .

لكن من المحتمل ألا تكون هذه التقاليد قد أثرت فى متبتّلى كنيسة كورنثوس ، فإن دليل التبتّل لاستقبال الإعلانات الإلهية لم يكن شائعاً رغم أنه من المحتمل أن يكون بعض الربيين اليهود قد حرموا أنفسهم من ممارسة الجنس - ربما لتفادى النجاسة الطقسية - وقد كان تبتّل الرجال الاسرائيليين المذكورين أعلاه لكى يحموا أولادهم من القتل ، ولا يمثل ممارسة أخلاقية ، والفكرة فى موضوع يعقوب هى أنه لا ينبغى أن يتزوج الاسرائيلى من امرأة أجنبية ، وليس المقصود هو التبتّل أو تأخر الزواج . أما ما جاء بخصوص راحيل فهو فعلاً تمجد التبتل المؤقت ، لكنها مع ذلك تقدم فكرة الحمل باعتبارها مكافأة إلهية ، وهى تضع هذا الأمر فى صورة لا تقبل الجدل .

ربما كان الأقرب إلى موقف الكورنثيين من التبتّل ما جاء فى سفر باروخ ٢١ والقائل « أن الحمل بالأطفال » و « شهوة الوالدين الجنسية » هما نتيجة السقوط ، لكن حتى هذه لا تقدم أكثر من انعكاس لآراء يونانية معينة عن الشهوة التى تدعو القرّاء إلى تخليد الجنس البشرى مع التحكّم فى غرائزهم .

لكن قد يكون هناك ما هو أكثر تطابقاً من الناحية العملية مع معتقد الكورنثيين فى هذا الأمر ، فقد كانت المادة اليهودية الأنسب والأكثر رواجاً فى الاقتباس فى هذا الخصوص لها علاقة (بالأسينيين) الذين كانوا

أكثر الفرق اليهودية التى مارست العزوبية لفترات طويلة ، وليس من الواضح تماماً إن كان الأسينيون كلهم عزّاباً ، لكن يحتمل أن يكون بعضهم على الأقل ممن كانوا يسكنون البرّية عزّاباً ، بينما كان الجزء الآخر ، ربما الذين سكنوا المدن متزوجين . ويسلم (يوسيفوس) بوجود مجموعتين من الأسينيين ويحتمل أن يكون تصوير يوسيفوس لعزوبة الأسينيين كان مقصوداً به التودّد إلى قرّائه اليونانيين الذين كانوا يخدمون الزاهدين وكارهى النساء . وإحدى هاتين المجموعتين من العزّاب كانوا يتكاثرون عن طريق تبنّى الأطفال . والمجموعة الأخرى تتزوج وتنجب لنفسها أطفالاً . لكن حتى فى (قمران) تشير كمية جماجم النساء التى وجدت هناك إلى أنه خلال فترة معينة من تاريخهم عاشت بينهم قلة قليلة من النساء .

ورغم احتمال أن يكون العلماء المحدثون قد بالغوا فى تقدير عزوبة الأسينيين فإن التقارب بين أدلة كل من يوسيفوس ولفائف البحر الميت ، أمر مهم إذ يوحى بأن بعض الإسرائيليين الأتقياء اعتبروا أن انسحابهم من الحياة العامة والأسرية أمراً مقدساً ، وذلك لكى يستطيعوا متابعة مطالب الله وجماعة الرب بلا دنس ، ويمكن أن يكونوا قد امتنعوا عن الجنس كلية . وليس فقط من ارتباط الزواج ، كيهود مكرسين للشريعة الذين كانوا يعتبرون حتى الاحتلام أثناء النوم ينجس الشخص .

وسواء كان ذلك يعكس بعض التأثيرات اليونانية (وهذا ما أعتقده) أو إذا كان الأسينيون استقوا آراءهم كلية من أفكار يهودية أقدم من هذه التأثيرات اليونانية ، فإن ذلك يظهر بوضوح أن العزوبة كانت تروق لبعض الدوائر حتى فى أكثر العناصر اليهودية فى فلسطين صرامةً ، وأن أولئك الذين كانوا يؤيدون الامتناع الكامل عن العلاقات الجنسية فى كنيسة

كورنثوس للتفرغ لعبادة الإله الواحد الحقيقى يمكن أن يكونوا قد تأثروا ببعض نماذج التقشف التى كانت متاحة فعلاً فى العالم القديم .

محاجّة بولس فى ١ كو ٧ : ١ - ٧

تسببّت هذه الآية الافتتاحية فى ١ كو ٧ : ١١ فى متاعب لكثير من القرّاء رغم أنها لم تكن سوى رد على ما كتبه الكورنثيون لبولس . ويدرك معظم المعلّقين والمفسرين أن بولس قد صاغ هذه العبارة لتتجاوب مع آراء بعض الكورنثيين ، أو مع الموقف المحدود الذى يتناوله . ويمثل هذا الاتجاه أو الموقف (ف . ن . بروس F . F . Bruce) إذ يقول :

« أيا كان المعنى الذى وجده بولس فى شعار الزهد (حسن للرجل أن لا يمس امرأة) فإنه لم يضع هذا الشعار ويفرضه كقاعدة عامة أو حتى كمشورة كاملة . فإن الزواج بالنسبة لغالبية المسيحيين هو الطريقة الطبيعية للحياة . والحظر الوحيد غير المشروط الذى يضعه بولس ليس من عنده بل من عند الرب .

ونحن إذ نتفق على أن بولس كان بصراحة يتجاوب مع الكورنثيين إلا أننا يجب أن نلاحظ مع بعض العلماء أنه كان ببساطة يقتبس شعارهم قبل أن يفنّده ، وهناك عدة أسباب محتملة لورود عبارة بولس عن الموضوع فى عدد (١) .

(١) أنه كان يقتبس شعاراً كورنثياً (كما هو موضح أعلاه) .

(٢) أنه كان يحاج إنساناً معارضاً يتخيّله كما كان معتاداً أن يفعل

هو وغيره من الكتّاب .

(٣) أنه يوافق جزئياً فقط على البيان ، وعليه أن يتقدم بعد ذلك لتعديله .

(٤) أن هناك توليفة من الأسباب الثلاثة أعلاه (إعادة صياغة شعار لدرجة السخف - أو- الإشارة إلى الأساس العام الذى يتفق مع ما يقوله بولس) .

نظراً لأن بولس كان يؤنّب أولئك الذين يقترفون الاتصال الجنسى بين غير المتزوجين (١ كو ٦ : ١٢ - ٢٠) فليس من المستبعد إطلاقاً أن بولس كان يريد أن يمنع الرجال من لمس النساء جنسياً - أى فى علاقة جنسية- خارج نطاق الزواج ، وأنه إذا كان يقتبس شعاراً كورنثياً يمكن أن يكون قد استخدمه ليقول عكس ما كان قد فهمه البعض فى كورنثوس ، إذ كان بعضهم يعارض الزواج أو الجنس فى الزواج ، لكنه هو يعارض الجنس خارج إطار الزواج كما سبق أن ناقشنا فى القرينة السابقة .

بل من المحتمل أن يكون ما يعارضه بولس هنا هو فكرة يونانية سبق أن ناقشناها من قبل ، وهى التى سمحت بنشاط جنسى مع البغايا . لكنه شعر أن الزواج يمكن أن يقّيد الشخص بشدّة ، ويمنع من البحث عن الفلسفة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يحتاج بولس أن يحارب تعليماً مزيفاً واحداً اتخذ له وجهين « الزواج إلهاء وذهول ، أما التفريج الجنسى فهو ضرورة جسدية كما كان يقول بعض الكورنثيين ، وقد جاء عدد (٢) مؤيداً لهذا الاحتمال فعلى المتزوجين أن يتصرفوا كأزواج (٧ : ٢ - ٥) لأن عدم النزاهة جنسياً يمكن هى أيضاً أن تكون تجربة إغراء إذا فشل الزوجان فى التصرف كأزواج « لسبب الزنا » لقد كانت الإماء تشكل تجربةً وإغراءً

ملحوظاً للرجال فى البيوت الميسورة ، كما أننا نعلم كم كانت الدعارة متاحة ومباحة لكل شخص يستطيع أن يمارسها ، لكن كثير من معلمى اليهود (الربيين) كانوا يشعرون أن الزواج يمكّن الرجال من تجنب الزنا وبعضهم كانوا يعتقدون أن هذا هو الغرض الأساسى من الزواج .

ويريد بولس من الأزواج والزوجات أن يتصرفوا كمتزوجين ، وبذلك يحمى أحدهما الآخر من التجربة والإغراء . ومعنى القول « ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها » يفترض أن يكون « لتكن لهما علاقات جنسية مع بعضهما » (٧ : ٢) وهذا ما يعينه بولس بالقول « ليوف الرجل المرأة حقها وكذلك المرأة الرجل » (٧ : ٣) وأن يتسلط كل منهما على جسد الآخر (٧ : ٤) .

لابد أنه كان واضحاً للقرّاء القدماء ، أن قول بولس يعنى الاتصال الجنسى عندما يتكلم عن حق الزوج على زوجته والعكس ، فطبيعى أن القول " حق الزوج أو حق الزوجة " كان يمكن أن يُفسر أنه يتعلّق بالمال مثلا ولا يرتبط بالجنس ، وحقيقى أن فكرة المال لم تكن تخطر على بال كل شخص ، وبالذات بالنسبة للقرّاء الرومان أكثر من اليونانيين أو اليهود فلم يكن كان مسموحا للأزواج والزوجات الرومانيين أن يتلقّوا الهدايا من بعضهم البعض ، وكان الزوج يمتلك كل الممتلكات حتى ولو كانت الزوجة قد ساهمت بالجزء الأكبر فيها . كان يستطيع أن يتجاهل وسائل ترفيه زوجته ولن يكون لها أى حق قانونى أو شرعى فى استخلاص حقها بالقوة ، وكانت بائنتها نظرياً هى التى تعتمد عليها . لكن عقود الزواج اليونانية الهللينية كان تحتوى عادةً على قائمة بالالتزامات المادية يلتزم بها كل من الزوج والزوجة، وكانت عقوبة الفشل فى تنفيذ هذه الالتزامات تتضمن عادة

(الطلاق) وخسران البائنة ، وربما تتضمن أيضاً عقوبات مالية إضافية . وكانت بعض هذه النصوص تحدد واجبات الزوج بأن يحافظ على زوجته كامرأة حرة . وعدم إساءة معاملتها . وعدم إحضار زوجة أخرى إلى المنزل ، رغم أن حريته فى الدخول فى علاقات بعد الزواج كانت أمراً مسلماً به فى الأزمنة القديمة .

أما واجبات الزوجة فكانت تضمن التعهد بالآتى :

(١) أن تكون خاضعة لزوجها .

(٢) أن لا تترك منزل الزوجية دون إذن .

(٣) أن لا يكون لها علاقات اجتماعية مع رجال آخرين .

(٤) أن لا تتسبب فى جلب الخراب على الأسرة .

(٥) أن لا تفعل أى شئ يشين زوجها .

هذا ويبدو أن عقود الزواج اليهودية كانت تماثل فى كثير من الطرق عقود الزواج . فمثل الدوطة (البائنة) فى العقود اليونانية / الرومانية كان هناك الكتوبة الذى يخص الزوجة ليزودها ببعض درجات الثبات المالى . لكن بعكس القانون الرومانى فإن للزوجة اليهودية حق الإعالة والطعام والملابس واحتياجات مادية أخرى حسب المستوى الذى تربّت عليه ، بالإضافة إلى مخصص مالى أسبوعى ، وإذا فشل زوجها فى تحقيق واجباته يمكنها مبدئياً أن تطلب الطلاق .

كذلك كان على الزوجات واجبات لزوجها مثل التنظيف والطبخ ، ما لم تكن قد أحضرت معها إلى بيت الزوجية خادماً للقيام بهذه المهام ، وهذه الالتزامات المتبادلة والمحددة فى نفس الوقت أشارت إلى اهتمام القانون (الشريعة) اليهودى بحق النساء فى الزواج ، بينما كانت حقوقهن

ضعيفة فى بعض المجالات الأخرى ، لكن الواجب الوحيد المعروف فى (الكتوبة) والذى يمكن أن يعنى شيئاً فى قرينة ما كتبه بولس فى ٧ : ٣ هو واجب الزوج بتوفير الاتصال الجنسى مع زوجته . وقد كان من المسلم ، به فى عالم البحر الأبيض المتوسط أن النساء لا يستمتعن دائماً بالوصال الجنسى لكن الرجال كانوا يفترضون أنهن عادة يرغبن فيه . وقد طلب معلمو اليهود فى القرن الأول من الزوج أن يسمح لزوجته بالطلاق إذا هو امتنع عن الاتصال الجنسى معها لمدة تزيد على أسبوعين ، حتى لو كان ذلك وفاءً لنذر قطعه على نفسه . أما بولس فلا يسمح بفترات امتناع إلا بموافقة الزوجين ، وهو يجعل الاتصال الجنسى التزاماً متبادلاً يدين به كل من الزوج والزوجة للآخر يفترض أنه يتوقّع أن يستمتع الاثنان به .

وعندما يسمح بولس بفترات من الامتناع المؤقت ، فإنه يتبع بعض أنواع التكريس الدينى المذكورة سابقاً (٧ : ٥) . لكنه يُصر على أن ذلك يجب أن يكون لفترة مؤقتة وباتفاق الطرفين ، ويمضى فيقول إن هذه القاعدة اختيارية وليست آمرة . والظاهر أنه لا يعتقد أنه من المفيد للمتزوجين أن يأخذوا أوقاتاً للامتناع على الاطلاق . ومرّةأخرى فان ما يهمه هو " لكى لا يجربكم الشيطان " مذكّراً إيانا مرّةأخرى بأهمية الاتصال الجنسى لتجنب الانزلاق إلى الزنا ، وليس ذلك لأن بولس لا يقدر عزوبته وقدرته على الامتناع ، ولكنه كان يدرك أن ليس للجميع نفس الموهبة فى ضبط النفس ونفس القدرة على البقاء أعزباً إلى ما لا نهاية (٧ : ٧ ، متى ١٩ : ١١) وهو يطلب هذا أيضاً من (غير المتزوجين والأرامل) (٧ : ٨) لكنه يدرك أنه من الأفضل بالنسبة لأولئك الذين ليس لديهم ضبط النفس اللازم أن يتزوجوا (٧ : ٩) وليست هى دعوة للعزوبية كعلامة

على الروحانية لكنه إدراك أن هناك أنواع مختلفة من المواهب (٧ : ٨) وأن لا أحد يمتلك هذه المواهب (قارن ١ كو ١٢ : ٢٨ - ٣٠) وهذا لا يعنى أنه لا يمكن طلب موهبة معينة من الله (١٢ : ٣١ ، ١٤ : ١) لكن بينما ينصح بولس قائلاً : إن العزوبة هى أفضل طريق بالنسبة للذين خُلقوا لها فهو يقول بوضوح أن هذا ليس أفضل طريق بالنسبة لكل شخص .

والسبب الذى يعطيه بولس لوصف الزواج للأشخاص غير المتزوجين والذين لاتناسبهم العزوبية ، هو أن التزوج بالنسبة لهم أفضل من التحرق (٧ : ٩) فإنه بينما قد تكون العزوبة منفصلة عن الزواج بالنسبة لأولئك الذين وهبوا ضبط النفس، فإن الزواج أفضل بكثير من الاستسلام للأهواء الشريرة لأن الزواج ليس خطية سواء للعذراء أو المطلق (٧ : ٨) ونصيحة بولس للعزاب باستمرارية العزوبيّة بوجود هذه الموهبة (٧ : ٨ ، ٩) والحظر الكامل عند بولس يتعلق بطلاق المتزوجين فعلاً (٧ : ١٠ ، ١١) ومع ذلك فهناك استثناء حتى فى هذا الحظر (٧ : ١٢ - ١٦) .

ويديل الزواج وهوالتحرقّ و يذكر عدد (٩) القارئ بالتحذيرات السابقة ضد أخطار الاغراء والتجربة التى يتعرض لها أولئك المتنعين عن النشاط الجنسى فى نطاق الزواج (عدد ٢ ، ٥) فليس كل شخص يتحمل العزوبية وقد فهم البعض كلمة تحرق هنا أنها تشير إلى الحريق فى جهنم بسبب الزنا لكن العبارة تستخدم فى الآداب القديمة وخاصة، الروايات العاطفية لتدل على الاحتراق بالشهوة . كما أن النصوص الأخرى تستخدمها لوصف ردود الافعال والانفعالات التى يصعب التحكم فيها ، ولا يفترض الكُتّاب اليونانيون والرومان أن الشهوة المحرقة أمر خاطئ إذا تم توجيهها نحو امرأة غير متزوجة ، لكن بولس لا يوافق على هذا ،فعدم وجود شريك ليس مبرراً

للشبق . لكن بولس يقدم الزواج كحل عملى للهروب من خطر هذه الرغبة .

فـإذا كـانت هذه هى الحـالة ،فـهـل علينا أن نـفـتـرض أن أولئك الذين أصـبحـوا عـّزاباً بالطلاق سيكونون أقل تعـرضـاً لخطر الشـهوة من الذين لم يذوقوا الحب الزوجى قط ؟، أليس من الأفضل بالنسبة للمطلقين أن يتزوجوا من أن يتـحرقوا ؟ وأولئك الذين يفرضون تفسيرهم الصارم الخاص على من تم طلاقـهم - رغـمـا عن إرادتـهم - ويمنعـوهم من الزواج مـرةّأخـرى يمكن أن يكونوا كـمن يفرضـون أحمالا علـى كـاهل أشخـاص آخـرين لا يريدون هم أن يحركـوها (متى ٢٣ : ٤) والمشرعون والقـانونيون الذين يظلمون المؤمنين المطلقـينَ بهذه الطريقة ، وهم من سبق أن ظُلموا فى حياتهم بتخلىّ شركاؤ هم عنهم يمكن اعتبارهم ضمن أولئك الذين يعثرون أحد إخوة يسوع الأصاغر (متى ١٨ : ٦ - ٧) واضعين أنفسهم فى وضع خطير أمام الله .

استنتاج ختامى

إن مناقشة بولس فى (١ كو ٧) تدل على تفضيل حياة العزوبية بالنسبة للذين لديهم المؤهلات الشخصية اللازمة لتبنى هذه الحياة ، لكنه فى نفس الوقت يسـمـح بالزواج - بكل وضـوح - وهو يسـمح به للرجل أو المرأة المطلقـين بنفس الوضوح الذى يسمح به بالنسبـة للرجل أو المرأة اللذين لم يسبق لهـمـا الزواج قط . فـهـو يقدم الزواج الصحى الذى تمارس فيه العلاقة الجنسية كأحسن دفاع ضد الفساد الجنسى ، تماماً كما فعل غيره من الكتّاب اليهـود فـى أيامه . ولا نستطيع أن نفترض أن هذا ينطبق بشكل أقل على الشـخص الذى سبق أن ذاق مـسـرات الحب الزوجى ، لـكى يحـرم منـهـا عن طريق خطأ إنسان آخر غيره ، أو غيرها .

(٧) هل يمكن أن يتزوج

الرّعاة مرّة أخرى ؟

١ تيموثاوس ٣ : ٢

قد يتّفق بعض القرّاء مع كل ما جاء في هذا الكتاب حتى الآن ، قد يوافقون على أن المطلقين - بسبب تورّط شركاء حياتهم في علاقات غير مأسوف عليها أو لهجرهم إياهم - أحرار في أن يتزوجوا مرّةأخرى ،لكن من يشغل وظيفة كنيسة معينة و بالذات وظيفة الراعي و الشماس يحُرم من الزواج مرّة ثانية ، ويُبنى هذا الحكم بدرجة كبيرة على أساس عبارة (زوج امرأة واحدة) التي تتكرر في رسالتين من رسائل العهد الجديد ، والتي تم تفسيرها بالقول « زوج امرأة واحدة طول الحياة » . وقد يضاف إليها أحياناً عبارة تقول « إلا إذا ماتت ». أسست معظم الكنائس التي تتبع هذا التفسير عقيدتها كما لو كانت العبارة واضحة وتعني تماماً ما افترضوا هم ولكن عبارة « طول مدة الحياة » والتعديل الشائع الذي يقول (إلا إذا ماتت) غير مذكورين في النص الكتابي ، وعليه فإن الشخص الذي تزوج مرّةأخرى زواجاً شرعياً يعتبر كما سبق أن لاحظنا أنه لم يتزوج غير امرأة واحدة فقط ، وحتى في ظل تعليم يسوع الصارم ضد الطلاق ، فإن هذه إضافة عجيبة للنص ، وعليه فإننا نأمل أن تقدم الكنائس التي تعتنق هذا المبدأ الدليل على أنه في الأزمنة القديمة كانت عبارة (زوج امرأة واحدة) تعني بالضبط ما يتضمنه موقفهم هم فقط . ولكن هذه الكنائس للأسف - مرّةً أخرى - لم تستطع تقديم هذا الدليل حتى الآن .

سيناقش هذا الفصل القرائن الأدبية والحضارية للمؤهلات المطلوبة لشاغلى الوظائف الكنسية ،كما سنفحص بعض المعانى المحتملة لغوياً (وإن تكن غير محتملةً حضارياً) لعبارة (زوج امرأة واحدة) ، والصلة بينها وبين (زوجة رجل واحد) الواردة فى (١ تى ٥ : ٩) بما كان يحدث فى الأماكن الأخرى قديماً ، وسيكون هذا البحث مفيداً فى تقييم المؤهلات الأخرى لهذه الوظائف ، وفوق الكل نحتاج إلى التحقيق فى الموقف المحدّد الوارد فى (١ تيمو) ، وأخيراً علينا أن نحدد مدى تأثير تلك الاكتشافات فى ترجمتنا لهذه الفقرة .

قرينة ١ تى ٣ : ٢

صادقة هى الكلمة أنه « إن ابتغى أحد أن يكون فى مركز إشرافى » فهو يشتهى عملاً صالحاً ، وعليه فمن الضرورى أن يكون المشرف فوق مستوى اللوم (بلا لوم) زوج امرأة واحدة، عاقلاً ، محتشماً، محترماً، مضيفاً للغرباء ، صالحاً للتعليم غير مدمن الخمر ، ولاضراب(طبعه حامى) و بدلاً من ذلك يكون لطيفاً حليماً غير مخاصم غير محب للماديات (المال) يدبر بيته حسنا ، بمعنى أن يتصرف أطفاله باحترام، لأنه إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله . كما لا يجب أن يكون حديث الإيمان لئلا يتصلّف فيسقط فى دينونة إبليس ، ويجب أيضاً أن تكون له شهادة (سمعة) حسنة فى المجتمع العلمانى، لئلا يسقط فى تعيير وفخ ابليس .كذلك يجب أن يكون الشماس ذا وقار ، ليس ذا لسانين (بوجهين) غير مولع (مدمن) بالخمر ، غير محب للمادة (المال) له سر الإيمان بضمير طاهر . وإنما هؤلاء أيضاً ليختبروا أولاً وإذا أثبتوا

أنهم بلا لوم فليخدموا كشمامسة . كذلك يجب أن تكون النساء ذوات وقار غير ثالبات (نمّامات) صاحيات أمينات يمكن الاعتماد عليهن فى كل شئ ، وليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة مدبِّرين أولادهم وبيوتهم حسنا لأن الذين يخدمون خدمة الشموسية يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة فى الإيمان الذى بالمسيح يسوع (١ تى ٣: ١-٣) « *من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك ، إن كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة له أولاد مؤمنين ليسوا فى شكاية الخلاعة ولا متمردين لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا ضرّاب ولا طامع فى الربح القبيح ، بل مضيفاً للغرباء ، محباً للخير ، متعقلاً باراً ورعاً ضابطاً لنفسه ، ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ الناقصين (١ تى ١ : ٥ - ٩)* »

الفقرات موضوع الدراسة هى (١ تى ٣ : ١-١٣) و الفقرات المماثلة لها (١ تى ١ : ٥ - ٩) وبولس هنا يتكلم عن موقف المشرفين أو شيوخ الكنيسة (١ تى ٣ : ٢ ، ١تى ١ : ٥ - ٧) وهم الذين يمكن أن نسمّيهم اليوم الرعاة . انظر(أعمال ٢٠ : ١٧ ، ٢٨ وقارن أف ٤ : ١١ ، ابط ٥ : ١ - ٢) ولما كانت معظم الكنائس فى القرون الأولى تلتقى فى منازل المسيحيين الأثرياء ، وحيث أنه يبدو أن أنواعاً مختلفة من المواهب كانت تعمل عادة فى الاجتماعات بما فيها موهبة النبوة (١ كو ١٢ - ١٤) فإن الرعاة الأوائل يحتمل أنهم كانوا يقومون بدور يختلف كثيراً عن دورهم اليوم . وبالمثل يمكن أن يقال عن الشمامسة الذين يوجه إليهم الحديث فى (١ تى ٣ : ٨ - ١٣) وتعبير شمّاس

نادراً ما يُفسّر فى العهد الجديد ، وحينما يفسّر فهو غالباً يشير إلى (خادم الكلمة) ، ومن الصعب مطابقة خدامنا على نماذج العهد الجديد حيث يصعب تحويل طبيعة تلك النماذج أحياناً .

وهذا لا يعنى بالطبع أنه يجب على خدام أو شمامسة اليوم القيام بنفس الأشياء التى كان يعملها نظراؤهم فى القديم ، فإن دور الخادم أو الشماس مستمد من الأنماط القيادية المدنية التى كانت موجودة فعلاً فى العالم اليونانى / الرومانى ، وخاصة فى المجامع اليهودية ، وكان المسيحيون الأوائل عمليين لدرجة أنهم تبنّوا الأنماط التى كانت تعمل فى حضارتهم، واستخدموها طبقاً لمطالب الإنجيل .. وبينما يأخذ معظمنا فى الحسبان الفروق بين أدوار العاملين فى الكنائس قديماً، والعاملين فيها حديثاً إلا أننا نتردّد كثيراً عند الأخذ فى الاعتبار الاختلافات فيما يتعلق بكشف المؤهلات المطلوبة فى هؤلاء العاملين .

قائمة بالمؤهلات (المواصفات)

سنواصل فى هذه الدراسة بحث نموذجنا السابق فى تحليل أحد النصوص تفصيلياً وليس عدداً من النصوص طالما أن الكثير من ملامح الخلفيات الحضارية والتاريخية تتوافق ، وهنا سنحلل (١ تى ٣ : ٢) بتفصيل واسع يحدد مواصفات منصب المشرف (الراعى) (٣ : ١) بشرط أن يكون مستوفياً للمواصفات أو المؤهلات الواردة فى (٣ : ٢ - ٧) ودواعى استكمال هذه المؤهلات يشار إليها أكثر من مرّة فى هذا النص، فإن ممثليّ الكنيسة يتعين أن يكونوا (بلا لوم) (٣ : ٢)وهذا يتضمن أن تكون لهم سمعة طيبة خارج الكنيسة (٣ : ٢)وإذا كان المسيحيون

الأوائل محاطين من كل الجهات ببيئة عدائية ، مثلما كان نظراؤهم من اليهود فى العالم اليونانى / الرومانى لذلك كانوا يحاولون أن يقدموا أفضل ما فيهم وما عندهم للعالم الخارجى ، وسبق أن قلت فى مكان آخر، أن بعض هذه المتطلبات مثل اشتراط أن يكون مدرس الكتاب المقدس ذكراً (٢ : ١١) ما يناسب مواقف حضارية معينة ، وليست ملزمة فى جميع المواقف ، ولن أكرر هذا الكلام هنا مرّةأخرى .

لكن هناك موضوع واحد يجب ألا يغيب عن أذهاننا أثناء الدراسة والمناقشة الحالية ، وهو : هل المقصود أن يكون ما جاء فى قائمة (١ تى ٣ : ٢ - ٣)قائمة عالمية ؟ هناك عديد من الدلائل على أن ذلك لم يكن هو القصد ، فكون بولس يورد فى (تى ١ : ٦ - ٩) قائمة مختلفة (وأن كانت متشابهة) فإن هذا يوحى بأن تلك القائمة لم تكن نمطاً موحداً ويمكن أن تختلف. فضلاً عن أنه لو كانت تلك القائمة نموذجاً معيارياً لكان من المحتمل أن يكون القادة أمثال تيطس وتيموثاوس يعرفونها مسبقاً ، لأنهما كانا مع بولس وشاهداه وهويعين قيادات كنيسة من قبل ، ورغم أن بولس كان يلجأ إلى ذكر ما كان قرّاءه يعرفونه من قبل. إلا أنه كان عادةً يقول ذلك فى حينه وعليه ،فإن مجرد تواجد هذه القائمة قد يوحى بأن بولس كان يؤسس قواعد جديدة لبعض المواقف المستجدة .

ومع ذلك ،فإن الكثير من المتطلّبات الأخرى فى القائمة تبدو لنا كأنها تعاليم أخلاقية معيارية من تعاليم العهد الجديد . وعليه فإننا قد نميل إلى الإحساس بأنه بينما تم التشديد على بعض عناصر القائمة ،لأنها ترتبط بالثقافة والحضارة الخاصة التى كان يكتب لها بولس ، إلا أنه ربما يكون قد نُظر إليها أو إلى معظمها على الأقل باعتبارها متطلبات تتمشى مع كل

الحضارات والثقافات ،سواء كانت تضعها فى قوائم مكتوبة فى كل مكان ، أو لا ، وما إذا كانت بعض هذه العبارات يمكن أن تشير إلى ملامح فريدة بثقافة بولس الخاصة هذا الأمر يحتاج إلى أن نفحصه فيما بعد ، إلا أن الواضح حالياً هو أن جميع هذه المتطلبات تناسب الوصف (غير ملوم) الذى يأتى فى أول المتطلبات وآخرها على السواء (٣ : ٢ ، ٧) . كانت قوائم المواصفات والمتطلّبات تستخدم لأنواع أخرى من الوظائف فى العالم القديم ، فإن (إطراء الفضائل الشهيرة) متواجد فى أماكن كثيرة فى النقوش القديمة ، وليس هناك فرق كبير بين إطراء شخص ما لتمسّكه بالمثل المتعلقة بالشرف ، وبين وضع قائمة بالمثل التى يتعين على الإنسان أن يحتذى بها ليصبح (غير ملوم) . وقد كانت هناك قاعدة فلسفية عامة تقول : إن أولئك الذين فى مركز السلطة السياسية عليهم أن يتميزوا بالسمو الأخلاقى لكى يكونوا مثالاً يحتذى . لذلك كان على من يريد أن يتبوأ مركزا عالياً أن يجتاز اختبارا ً على أساس قوائم المواصفات الخاصة بهذا المركز .

وقد عمدت (رسالة اريستياس اليهودية) إلى إعطاء يونانىّ الاسكندرية انطباعاً حسناً عن يهود الإسكندرية فوصفت مترجمى (الترجمة السبعينية) بأنهم شيوخ يحيون حياة نموذجية وأنهم خبراء فى شئون شريعتهم، وكانوا يتكوّنون من ستة من كل سبط .كما أن مخطوطات البحر الميت أيضاً تعطى بعض المواصفات الخاصة بالقادة ، خصوصاً فيما يتعلق بعمرهم .كما أن معلمى اليهود (الربيين) فكّروا كثيراً فى مواصفات القضاة الذين كانوا بعد اختبارهم على المستوى المحلى، يمكن أن ينتقلوا من المحاكم المحلّية إلى مراكز أعلى حتى يصلوا إلى عضوية السنهدريم :

« كل من كان عاقلاً حكيماً ، وديعاً متواضعاً ، يخشى الخطية ناضجاً بما فيه الكفاية، ومن يُسر الشعب به ويعينه قاضياً فى مدينته ، يمكن أن يترقّى » .

لقد كان معيار (غير ملوم) ملزماً على نطاق واسع فى العالم القديم وإذ أدرك بولس التحديات التى تواجه المسيحية فى بدايتها وتحامُل العامل عليها صمّم على أن يتفوُق على معايير العالم الأخلاقية ولا يدع الفضيحة تلطخ سمعة الكنيسة .

زوج امرأة واحدة :

افترضت بعض الطوائف أن معنى القول (زواج امرأة واحدة) هو(زوجة واحدة لمدة العمر) وبذلك لا تسمح للشيوخ أو الرعاة أن يتزوجوا مرة أخرى بعد وفاة أو طلاق شريكة الحياة، وبعض الطوائف الأخرى تفترض أن العبارة تشير فقط إلى الأشخاص المطلّقين ، حيث أن وفاة شريك الحياة لايلزم بأية قيود أخلاقية (كما لوكان الشريك البرىء فى الطلاق يلتزم بقيود أخلاقية معينة).

ويبدو أن بعض الترجمات تفترض (مد) وتوسيع هذه المواقف فتقول إحداها مثلاً (متزوج لمدة واحدة فقط) وتقول أخرى : (زوج لزوجة واحدة فقط) { مفترضين أن بولس ما كان يمكن أن يعنى إلا زوجة واحدة ، لا أكثر ولا أقل } لكن وجهة النظر هذه عن الموضوع ،لا يمكن اعتبارها أمراً مفروغاً منه ببساطة ، فما هى البدائل إذن للقول (زوج امرأة واحدة) فى العالم القديم ؟ كان هناك خياران على الأقل وهما : « تعدّد الزيجات» أو «اتخاذ محظيّة إلى جوار الزوجة» .

تعدد الزوجات :

كان تعدّد الزوجات محظوراً فى القانون الرومانى ، وأقل عقاب له كان (infamia) بمعنى أن أى شخص مذنب بهذا الذنب هو شخص ملوم .. وبالطبع فلم يكن الجميع يوافقون على مبدأ (الزوجة الواحدة) فى الأزمنة القديمة .. وقد دعا (أفلاطون) إلى أن يشترك الأوصياء أو (المربون) فى الزوجات معاً فى المجتمع المثالى، لكن هذا الرأى لم يكتسب أى تأييد فى الفكر العام ، وقد ذم لوسيان فى أحد مقالاته النقدية للفلاسفة هذا الاتجاه باعتباره أهم آرائه.

إلا أن تعدد الزوجات كان شرعياً ورسمياً فى فلسطين اليهودية ، وكانت له سوابق فى شريعة العهد القديم - مثله مثل الطلاق - ورغم أن هذه الممارسة لم تكن شائعة لكن يمكن اعتبارها أمراً مسلماً به ، والمشنا تجيز الزواج بثمانية عشر زوجة ، كما أن التقليد (الربى) اللاحق كان يجيز أكثر من ذلك .. بل يقال إن أحد الربيين نصح الرجال ألا يتزوجوا زوجتين لكن إذا تزوج أحدهم زوجتين فقد كان عليه - فى رأيه - أن يتزوج زوجة ثالثة .. وهناك قصة خيالية تروى أن أحد معلمى أوائل القرن الثانى خطب نفسه فى عام المجاعة إلى ثلاثمائة زوجة حتى يشاركنه طعام الكهنوت المتاح له - وبلا شك أن هيرودس الكبير قد تمتع بالكثير من الزوجات ، إذ كانت له تسع زوجات على قيد الحياة فى وقت واحد لكن لم يكن كل رجال فلسطين ملوكاً مثل هيرودس الذى لديه من الدخل ما يكفى لإعالة هذا العدد من (الحريم)

وقد كان متعدد الزوجات منتقداً على الأقل لأسباب لانرغب فى ذكرها اليوم ، ويقال أن (هلليل) قد اشتكى قائلاً :

كلما زاد اللحم ، ازداد الدود

وكلما زاد الغنى ، كلما زادت الهموم و كلما زادت الزوجات ، كلما زادت الفتنة

لكن هذا يبدو أنه يعني أن زوجة واحدة يمكن أن تكون خطرة بما فيه الكفاية فليس هناك سبب أخلاقي لرفض تعدد الزوجات فى حد ذاته وكان هناك شيء من عدم الاتفاق بين الربيين اللاحقين على ملاءمة تعدد الزوجات، رغم أن المعارضة لم تكن كافية لإعلان عدم شرعيته فى الحقبة التلمودية . . . . ومع ذلك فقد كانت (الزوجة الواحدة) هى القاعدة كما أن مخطوطات البحر الميت على عكس حكماء الفريسيين والربيين اللاحقين يرفضون تعدد الزوجات صراحةً .... والأكثر أهمية هو أن الشعب اليهودى خارج فلسطين كانوا يتبعون الممارسة اليونانية العادية ، وهى تجنّب تعدد الزوجات ، لأن عادة تعدد الزوجات لم تكن تمارس عند اليهود واليونانين فى آسيا . ، وهذا يوحى بأن بولس لم يكن لديه أسباب كافية لمخاطبة قادة الكنيسة فى رسالته بخصوص تعدد الزوجات ، وعليه فيمكننا استبعاد احتمال أن تكون عبارة (زوج امرأة واحدة) تعنى تحريم تعدد الزوجات .

التسرى - إتخاذ السرارى :

إذا كان تعدد الزوجات الشرعى غير ممارس رسمياً فى العالم اليونانى الرومانى ،فلا ينبغى أن يقودنا ذلك إلى الاعتقاد بأن الرجال لم يكونوا متورطين فى أنواع أخرى من العلاقات الجنسية المتعددة ، والأدلة ليست حاسمة لكى توحى أنها ممارسة معتادة ،لكنها تكفى لكى توضح أن ذلك لم يكن أمراً شاذاً .. وبعض هذه الأدلة غامضة ..فإن أحد الطقوس الدينية من القرن الأول قبل الميلاد فى آسيا الصغرى يحظر اتخاذ امرأة أخرى بالإضافة إلى الزوجة ، لكن القرينة تقول أن هذا يمكن أن يشير إلى الزنا مع زوجة رجل آخر.

وقد تبدو بعض الدلائل كأنها تحاجّ ضد هذه العادة ،فلم يكن اتخاذ السرارى مفضلاً فى التقليد اليونانى ، لكن اليونانيين كانوا مدركين للعادة الشائعة بين الشعوب الأخرى . كما أن القانون الرومانى أيضاً كان يحظر اتخاذ السراى بالإضافة إلى الزوجة . والشريعة اليهودية تشير إليها فى التعليق على العرف الذى كان سارياً أيام العهد القديم ، لكن أقرب العادات شبها باتخاذ السرارى فى أيام الربيين - والذى يتضح فى أدبهم - يتعلق بالعلاقات الجنسية مع السبايا أو الجوارى ، وقد كان هذا محظوراً ومداناً بصراحة.

لكن الشواهد الأخرى توحى بأنه فى تلك الفترة كانت تمارس عادة اتخاذ المحظيات فى عالم البحر الأبيض ، ونفس القوانين التى تحظرها تثبت وجود هذه العادة والحاجة إلى مقاومتها . إلا أن هناك أدلة مباشرة توضح أن عادة حيازة محظيات كانت أكثر انتشاراً أثناء هذه الفترة . خاصة فى الأوساط

الاجتماعية الدنيا ، لأن مثل هذه العلاقة كان فهمها أسهل من العلاقة الشرعية (الزواج) كما كان اتخاذ المحظيات أمراً عادياً جداً فى الأوساط العسكرية حيث لم يكن مسموحاً بالزواج الشرعى أثناء فترة التجنيد التى قد تطول إلى ما يزيد عن عشرين عاماً، وهناك بعض مستندات الخدمة العسكرية من القرن الأول . تفضّل الجنود الذين يقومون بإضفاء الصيغة الشرعية على علاقاتهم السابقة ، ولكنها تضيف شرطاً واحداً :

«يُعطى للأشخاص المذكورين أدناه ، ولأولادهم ونسلهم حق المواطنة والزواج الشرعى من زوجاتهم الذين كانوا يعاشرونهم فى وقت منحهم حق المواطنة أما إذا كانوا غير متزوجين من نساء ينوون الزواج منهن فيما بعد، فإنه يشترط أن يكون لكل رجل امرأة واحدة»

وبكلمات أخرى ، كان من المعروف أن بعض الرجال كان لهم أكثر من محظية واحدة ، وبالمثل يحذر (فوسيلو PS-PHOCYLIDES) من إقامة علاقات جنسية مع محظيات والده (وتأتى عبارة محظية بصيغة الجمع أي محظيات)

وعليه يمكن أن يكون المقصود من (اتى٣:٢) تحريم اتخاذ محظية ، وبصفة خاصة أكثر من محظية أو محظية واحدة بخلاف الزوجة ، ومع أن هذه العادات كانت أكثر انتشاراً من تعدد الزوجات ،فيحتمل أنها لم تكن منتشرة فى أفسس بحيث تستحق تحريماً خاصاً لها ، فإن الموضوعات الشبيهة بالطلاق والزنا والترمّل كانت بالتأكيد أكثر حدوثاً .

وحيث أن بولس يستخدم عبارة (امرأة رجل واحد) (١ تى ٥:٩) كما يستخدم عبارة (زوج إمرأة واحدة) فإنه يمكن إضافة بحث عن (امرأة رجل واحد) ، متبوعاً بالقاء نظرة سريعة عن معنى العبارة ،فمن

المحتمل أن يكون هناك معنى آخر تشير إليه العبارتين ، ولكن لا يمكن تقرير ذلك إلا بعد الإنتهاء من فحص دلالة كل منهما على انفراد فى قرينتها .. وما يمكن ملاحظته ، بادىء ذى بدء ، هو أن النساء لا يمكنهن ممارسة تعدد الأزواج ، أو اتخاذ المحظيات وعليه ، فيتعين أن يكون معنى عبارة زوجة رجل واحد شيء له علاقة بالزنا أو الطلاق أو الترمل أكثر من أى شيء آخر .

امرأة رجل واحد - اتى ٥ : ٩

قد يكون من المفيد استعراض تركيب مناقشة بولس فى (اتى ٥) قبل النظر فى العدد (٩) بصفة خاصة ، وقضيتنا لا تتعلق بالتركيب التالى بل تتعلق بوضع تعليمات بولس للأرامل، فى قرينة ذات معنى يفيد السبب فى إعطاء هذه المواصفات عن الأرامل وخصوصاً إذا كانت هذه المواصفات موازية لتلك المطلوبة فى قادة الكنيسة من الرجال .. لقد كان بولس يتكلم عن الشيوخ وقادة الكنيسة فى ٤ : ١٤ وإشارته إلى الشيوخ فى أصحاح (٥) يمكن أن تكون ذات صلة بقيادات الكنيسة (٥:١٧) وما يتعلق بأعمارهم (٥:١ - ٢) ، قد يكون هناك ارتباطا ، ما بين القيادة والسن علماً بأن قادة الكنيسة، الأصغر عمراً أيضاً كانوا مقبولين (٤:١٢) كما أن السيدات الكبيرات السن كن يقمن بدور خاص فى هذه الكنيسة، خاصة إذا كن أرامل ، فبدلاً من الاستغناء عن المسنين ، أعطتهم كنيسة أفسس مكاناً للخدمة والشرف وخدمة الصلاة (عدد ٥) وهذا الرأى اقترحه عدد من المفسرين، إلا أننى لم أكن أتفق معهم ، إلى أن تأملت فى تركيبة هذه

الفقرة نفسها التى قد توحى بعلاقة متبادلة بين الشيوخ قادة الكنيسة وبين الأرامل .

٥:١ - ٢ = الشيوخ/ كبار السن ، والأحداث ، العجائز/ الحدثات

٥:٣ - ١٦ = المهمة (؟) المطلوبة من الأرامل الأكبر سناً

عدد (٣) : أكرمهن أو ساعدهن (قارن عدد ١٧)

الأعداد (٤ - ٦) الأرامل يتحددن (فيما يتعلق بالعمل)

(٣ - ٤) أن يكن محرومات معوزات

(٥ - ٦) تقيّات (خدمات روحية للمجتمع)

عدد (٧) نصيحة للتأكيد على هذا :

الأعداد (٨ - ١٦) الأساس : أرامل تقيّات وحيدات

عدد (٨ و ١٦) وحيدات إذا لم يكن هناك من يعولهم

عدد (٩ - ١٥) تقيّات

عدد (٩ - ١٠) كشف بالمؤهلات الأخلاقية

عدد (١ - ١٥) الأرامل الحدثات خارج القائمة - بدلاً من ذلك يتزوجن

العدد (١١) الرغبات الحسية الشهوانية (مثال عدد ٦ ترك حياة الصلاة)

العدد (١٢) الارتداد عن الالتزام ليعملن ما يأتى : رفض الإيمان ،، إهدار مصادر إعالة المجتمع (٨ ، ١٥)

العدد (١٣) عيوب أخلاقية لأولئك اللاتى يكفلهن المجتمع دون أن يكون لهن عمل يعملنه

العددان ١٤ - ١٥ - الحل والأخطار

٥ : ١٧ - ٢٥ إكرام الشيوخ الرجال

العددان (١٧ و ١٨) وظيفة الشيوخ مدبرون كرامة مضاعفة لمن يعملون باجتهاد أكبر .

(العددان ١٩:٢٥) التعامل مع الشيوخ الذين يخطئون (قارن ٥:١٣)

العددان (١٩ - ٢١) أمور إجرائية

العدد (٢٢) تجنّب وضع اليد بالخطأ

العدد (٢٣) تجنب التقشف كالسابق (حتى لا يتمسك به المعلمون الكذبة) ٤:٣

العددان (٢٤ - ٢٥) لا تستطيع أن تسيرهم تماماً ، لكن اعمل ما في وسعك على أساس هذه المقاييس الخارجية

العددان (٦:١ - ٢) سلوك العبيد (العنصر الثالث من عناصر البيت التقليدى)

الاعداد (٦:٣ - ١٩) كل من يعلم تعليماً لا يوافق (ربما يكونوا هم المعلمون الكذبة الذين يريدون أجرة عن خدمة لم يقوموا بأدائها على الوجه الأكمل للمجتمع) هم جشعون .

إن هذه التركيبة فى حد ذاتها لا تدل على أن الأرامل كانت لهن وظائف كنسية ، لكن هذا الاحتمال يتزايد بتواجد تعبيرات الاحترام المستخدمة للأشخاص المكرمين فى مجامع اليهود فى الشتات فهؤلاء كانوا (شيوخ) بمعنى أنهم كانوا الرجال الأكبر سناً ، وربما رؤساء الاجتماعات و رعاتهم (آباء) و(أمهات) المجامع .. ويبدو أن القادة المذكورين فى أصحاح (٥) مختلفون عن كثير من قادة المجامع ، وإن كان يمكن أن يكونوا على صلة

بهم .. فبينما كان من المحتمل أن يتبرّع قادة المجامع بأموالهم لمجامعهم ، فإن الشيوخ المذكورين فى (اتى ٥) و اللذين كانوا مثل الآباء والأمهات المذكورين فى (٥:١ - ٢) كان يجب أن يساعدهم أبناءهم (٥:٤ و ١٦) فكانوا يتلقون مساعدات من الكنيسة مقابل خدماتهم إذا لم يكن لهم مصادر رزق أخرى .

رغم أن هذه هى طريقة قراءة هذا الأصحاح التى يبدو لى أنها أفضل طريقة لشرح عناصره إلا أنه يحتمل أيضاً أن بولس يعنى أن الأرامل هن فئة فرعية من السيدات المسنّات ، فهى فئة ليست مقصورة على الأرامل بل تشير إلى أى واحدة حرمت من الزوج ، وشرط أن تكون معدمة وتقيّة حقاً ، وأياً كانت الطريقة التى يقرأبها الاصحاح فإن الأرامل الحقيقيات اللواتى يمكن أن يسّجلن فى قائمة من يأخذن مساعدة من الكنيسة يجب أن تكون لهن سمعة حسنة (مشهوداً لها) عدد (١٠) ، ويلا لوم عدد (٧) لأنهن يظهرن لمن هم فى الخارج كممثلين رسميين للمسيحية مثلهم مثل الرعاة والشمامة .

والنص نفسه لا يوضح طبيعة العبارة (امرأة رجل واحد) بأكبر مما توضح العبارة الواردة فى (٣:٢) عن طبيعة (زوج إمرأة واحدة) ، لكن القرينة قد لا تتفق مع المعنى القائل (أنها تزوجت مرّة واحدة فقط) فإن بولس يأمر الأرامل الحدثات أن يتزوجن مرّةأخرى (عدذ ١٤) وذلك لتجنّب المشاكل التى كان من الواضح أنها تحدث بين الأرامل العاطلات عن العمل فى الاجتماع ، إذ كن ينشرن شيئاً يخالف التعليم الصحيح (٥:١٣ - ١٥) وما يقوله المعلمون الكذبة ، بما فى ذلك الامتناع عن الزواج (٤:٣) وربما يكون أنهن يتزعمن نوع التعاليم التى واجهها بولس فى

كورنثوس و ربما كان تشجيعه للأرامل الحدثات على الزواج هى محاولة لمحاربة التعليم الكاذب الذى يمنع الزواج ، وبدلاً من إعطاء هاتيك النسوة مركزاً أكيداً ، وربما دوراً فى التعليم فى الكنيسة ، طالما كانت لهن قابلية لنشر التعليم الكاذب (٢:١١ - ١٥) ، فإن بولس يأمرهن أن يتزوجن وأن يبتعدن بأنفسهن عن مجالات المعلمين الكذبة ، وذلك بإبطال دعواهم الرئيسية وهى (عدم الزواج) .

إذا كان هذا هو السبب فى حثّ بولس للأرامل الحدثات على الزواج مرّة أخرى فيحتمل أيضاً أن تكون هذه هى الطريقة التى يجب أن تكون أى أرملة مكتتبة فى كشف المساعدات فى الكنيسة امرأة رجل واحد . أولئك كن فى مراكز الشرف فى هذه الكنيسة ، ربما كنّ فى حاجة إلى الزواج مرّةأخرى وبذلك يصرن نموذجاً يوقف الدعاية الطنّانة للمعلمين الكذبة الذين يقولون بعدم الزواج . ربما كان ذلك متضمنا ـ بطريقة ما ـ فى تعبير (الأرامل) ، لكن بولس ربما أراد أن يُؤكد على حالة الزوج بطريقة مشدّدة ومع التسليم بأنها كانت متزوجة - ولا أحد يشك فى ذلك على كل حال - فلماذا يستخدم بولس تعبير (امرأة رجل واحد) ؟ للإجابة على هذا السؤال علينا أن نعود إلى أقرب العبارات تشابهاً معها ، والتى كانت مستخدمة فى العصور القديمة ، وبعد فحص هذه التشابهات فقط يمكننا أن نقرر ما إذا كانت ذات علاقة بتعليمات بولس أم لا .

مثالية (الزواج الواحد) فى الأزمنة القديمة

لم يكن بولس هو من أول من نادى بمثالية الإخلاص لشريك حياة واحد ، فقد كانت هناك تقاليد قديمة تمتدح المرأة التى لا تتزوج إلا رجلاً واحداً و تسمى فى الاتينية (univirae) فى اليونانية manadros) قال بعض العلماء أنه يمكن اكتساب بعض البصيرة حول معنى ما جاء فى (اتى ٩:٥) - (امرأة رجل واحد) وهى العبارة ذات الصلة بالعبارة الغامضة فى فقرتنا هذه وهى (زوج إمرأة واحدة)

وفى أوائل أيام الإمبراطورية الرومانية كان (كهنة جو بيتر flamines) الذين كانوا ضمن أشهر الخدام الدينيين فى الأزمنة القديمة ، لا يستطيعون أن يتزوجوا إلا من زوجات كن (univirae) أى اللواتى لم يفقدن الوالدين أو الأزواج ، وكان يُعتقد أنهن يجلبن الحظ السعيد للآخرين بمشاركتهن فى الطقوس ، كما أن عذاري (فستال) vestal vigins وكانت أكثر الوظائف التى يمكن أن أن تحتلها النساء فى روما إحتراماً وتبجيلاً ، كان يشترط أن يكون والداها مازالا على قيد الحياة ومازالا يحتفظان برابطة الزوجية، حتى يمكن اعتبار نسلهما (بلا عيب) ويخبرنا بلوتارك أنه طبقاً لعادة رومانية قديمة كان يجب على (Flamen Dialis) كاهن جوبيتر- أن (يستقيل من منصبه إذا ماتت زوجته) مما قد يوحى - مرّةأخرى - أن فكرة الفأل الحسن كانت واضحة فى مفهوم الـ (univira) .

والحافز الكائن خلف فكرة (شريك حياة واحد طول العمر) يبدو أنه قد تطور وتجاوز مفهوم (بالفال الحسن) فإن الزوجات المخلصات يصورن أحيانا أنهن لا يرغبن فى الزواج مرّةً أخرى بعد وفاة أزواجهن ، وذلك بدافع

حبهن لأزواجهن وأطفالهن . وهناك بعض الأوصاف المتطرّفة تصور الزوجات المثاليات كمن يحزنّ ويمتنعن عن الأكل حتى الموت على قبور أزواجهن ولاءً ووفاءً لهم لدرجة أنه :

« كانت هناك فكرة واحدة تنتشر فى المدينة كلها ، وتقول : إن أى شخص فى أى طبقة اجتماعية يفعل ذلك ، يكون هو المثال الحقيقى والرائع للحب والطهارة »

ويمتنع بعض الرجال أحياناً عن الزواج الثانى ، لكن نسبتهم أقل من السيدات ، إلا أنهم قد يتخذّون لهم سرية ، رغم تجنب الزواج فى حد ذاته ، حيث يكون اهتمامهم الحقيقى عموماً هو حماية ميراث أبنائهم ، وربما لتجنّب العلاقات غير المريحة بين الأبناء وزوجة أبيهم ، أما مثالية الزواج مرّةً أخرى ، بعد وفاة شريك الحياة ، لإظهار الحب والولاء فينطبق على الزوجات أكثر منه على الأزواج .

ولكن ، بينما ظل إظهار الولاء للزوج بالبقاء دون زواج يعتبر مثالياً ـ فإن قوانين الامبراطور أوغسطس قدمت نموذجاً معارضاً ليقول بضرورة زواج الأرملة مرّة أخرى , وبأسرع ما يمكن لإنجاب المزيد من الأطفال للدولة الرومانية إذا كانت الأرملة لازالت فى سن الإنجاب والعجز فى عدد النساء اللواتى فى سن الانجاب يوحى بأن معظم الأرامل الحدثات فى تلك الفترة قد تزوجن مرّة أخرى .

ويبدو أن مثالية (امرأة رجل واحد) قد تمسك بها بعض اليهود ـ كما هو واضح من التعبير (Mnandros) الوارد فى الطقوس الجنائزية اليهودية ـ واللغة بالطبع محصورة أساساً فى النساء ، فهناك إشارات نادرة إلى رجال يهود امتنعوا عن الزواج التالى . ويمكن فهم (Ps . Phocyli) على أساس

هذا : « لا تضف زواجاً إلى زواج ـ كارثة إلى كارثة » لكن القرينة هنا تشير إلى الارتباط بزوجة سيئة ، وعليه فإن هذا السطر يمكن أن يشير إلى سلسلة تعدّد الزوجات ـ كما جاء فى كتابات شعراء الرومان : « لا تظل متنقّلاً من زواج إلى آخر محاولا العثور على زوجة صالحة ـ بل اتخذ الزوجة الصالحة من البداية » وقد كان الربيون يهتمون بتقديم الأزواج إلى الأرامل ليتزوجن مرة أخرى بأسرع ما يمكن .

ومع ذلك ، فإن موضوع الزوجة الوفية التى ترفض الزواج مرةً أخرى بعد وفاة الزوج الأول ، قد لايكون ذا صلة وثيقة بالعبارة المخدودة (امرأة رجل آخر) الموجودة فى النقوش الجنائزية ، فإنه فى الغالبية العظمى من الحالات كما سيتضح فيما بعد - تظهر هذه النقوش على مقابر زوجات أراد أزواجهن الذين عاشوا بعدهن أن يكرموا بها زوجاتهم ـ ولايستطيع الأزواج الذين عاشوا بعد زوجاتهم أن يكرموا الزوجات اللواتى لم يتزوجن سوى مرةً واحدة ! واللواتى كن أيضا وفى نفس الوقت أرامل لأزواج سابقين !! وعليه فإ ن هذا التعبير لم يطلق على الأرامل إلا فى القرن الثانى الميلادى ، وقد أطلقه عليهم كتّاب مسيحيون كانوا يمجدون الترمل ، وهم بذلك يعكسون جوا متناميا من الزهد الجنسى ، وعليه فإنه فى أيام بولس الرسول يرتبط هذا التعبير ـ على الأرجح ـ بالوفاء الزوجى . وصلاح الزوجة يعبر عن زواج قوى مستمر .

ورغم عدم تواجد الصلة المباشرة بين مثالية الأرملة العزباء وبين امتداح (امرأة رجل أخر) المنقوش على المقابر ، ورغم حقيقة أن مثالية بقاء الأرملة بدون زواج كان يتنافس مع مثالية الأرملة الأصغر سناً التى تستمر فى إنجاب نسل فإن العديد من المفسرين يعتقدون أن هذا الاستخدام يعبر

عن لغة بولس . وإذا كان هذا صحيحاً فيكون بولس يقصى كل الذين تزوجوا ثانيةً من جميع مناصب الخدمة المسيحية - سَواء كانوا أرامل أو مطلقينَ - إلا أن هناك مشاكل صعبة ، فقد أراد بولس أن يقاوم بصفة خاصة المعلمين الكذبة الذين ينادون بتحريم الزواج (١ تى ٤ : ٣) وهل كان يمكن أن يقول مثل هذا الكلام الذى قد يساهم فى إذكاء بعض الميول الزهدية فى الثقافة التى سادت الكنيسة فيما بعد ، بل أن هناك أكثر من ذلك ، فهل كان يمكن أن يعطى تعليماته للأرامل الحدثات بالزواج مرة أخرى (٥ : ١٤) [حتى لو كان ذلك سيؤدى المستقبل إلى حرمانهن من التأييد الكنسى بسبب هذا التفسير لعبارة (امرأة رجل واحد) فى (٥ : ٩)] ؛ لقد كان محظوراً على الأرامل أن يكتتبن فى كشف المساعدات الكنيسة إذا تزوجن مرة أخرى (٥ : ١١ - ١٥) أما أولئك الغير مكتتبات فكان عليهن أن يتزوجن مما قد يتضمن أن الزواج الثانى فى أيام الشباب لم يكن مثار خلاف .

وبدلاً من حظر الزواج مرة أخرى بالنسبة لمن انتهت زيجاتهم ، يمكن أن يكون بولس مشدداً على أنه كان يتعين عليهن أن يكن شركاء حياة أوفياء لحياتهن الزوجية ، وكما سبق أن ذكرنا فإن تعبير (امرأة رجل واحد) فى أيامه لم يكن يستخدم ليدل على الأرامل كما جاء فى النقوش وأن معظم هذه النقوش كانت إهداءً من الأزواج الذين عاشوا بعد زوجاتهم ، وهذا قد يعنى أن الزوجات كن يمُتدحن لأنهن لم يتزوجن رجلاً آخر قبل أزواجهن الأحياء . لكن التفسير المقبول هو أن التعبير يخص أمانة الزوجة كزوجة صالحة طوال مدّة الزواج ، وقد يتضمن ذلك أنها لو لم تكن كذلك لكان يتعين عليها أن تبحث عن زوج آخر ، لأن زوجها كان يمكنه أن يطلقها ، أو

قد يكون أنها ظلت أمينة لزوجها ولم تهتم بأى رجل آخر خلال حياتها الزوجية ، وعلى أى حال فإن القصد بالعبارة موضوع النقاش " امرأة رجل واحد " هو إصدار حكم أخلاقى فى صالحها ، ولا تعنى أبداً أنها لم تكن سيئة الحظ لأنها ارتبطت بزوج لا يسعى إلى الطلاق .

وقد اعترض البعض قائلين إن تعبير (شريك حياة واحد) ليس هو الطريق الطبيعى لوصف الوفاء الزوجى ، بل إن القول ليس زانياً يكون ذا معنى أفضل ، لكن القول (ليس زانياً) كان يمكن أن يكون تعبيراً صريحاً أكثر من اللازم لا يمكن إضافته إلى قائمة بولس للمؤهلات الأخلاقية فهو قد يماثل القول (ليس قاتلاً) .. والأنسب أن يقال (شريك حياة أمين ومخلص صالح طول مدة الحياة الزوجية) مما يتناسب مع التشديد على حسن إدارة البيت وخضوع الأبناء لوالديهم (٣ : ٤ - ٥ ، تى ١ : ٦) والاهتمام بالمعلمين الكذبة الذين كانوا يقلبون بيوتاً بجملتها (تى ١ : ١٩) ما نعين عن الزواج (١ تى ٤ : ١ - ٣) والقول بحرمان شخص من التأييد الكنسى لأنه نبذ أرملة تقية وحيدة ، أو استبعاد راعٍ أو معلم قدير من الخدمة فى الكنيسة ، و بسبب زواج سئ تم منذ سنوات طويلة ، وغالباً قبل تجديده فى أغلب الأحوال هذا القول زعم يحتاج إلى ما يدعمه من النص الكتابى .. والحق أن هذا الزعم يعكس صورة الزهد الجنسى الذى كان ينادى به المعلمون الكذبة ، أكثر مما يعكس موقف بولس .

هذا فضلاً عن أن الارتباط بشريك واحد فى الزواج مدة الحياة ، لم يكن قط من المؤهلات المطلوبة فى القادة ، فى العالم القديم . بل لم يكن الرجال يمتدحون هم الذين كانوا فى تلك الحضارات يشغلون معظم أدوار القياده ، لكونهم حفظوا أنفسهم من النساء . على أن مثالية الإخلاص الزوجى كثيراً

ما كانت تُطلب فى القادة ، كما سنرى فيما بعد فى تفسير (١ تى ٣ : ٤) والقول أن (يدبر بيته حسناً) كان عادةً المعيار القديم للقيادة :

متطلبات أخرى فى القيادة

كثيراً ما يتم المرور على باقى متطلبات القيادة مرور الكرام - لسبب أو لأخر - مع تركيز الانتباه على عبارة (بعل امرأة واحدة) . ورغم علمى باستبعاد بعض الخدام من الخدمة وتكليفهم بوظائف أخرى ، لأن أولادهم قد خرجوا عن طاعتهم ، أو لكونهم غير مؤمنين (ا تى ٣ : ٤ ، تى ١ : ٦) فإن هذا المطلب يتم تجاهله ببساطة فى معظم الحالات ، ونفسر نحن ذلك بالقول « إن للأولاد إرادة حرة ، ويذهبون بها فى طريق حياتهم » مبينين أن الاحتفاظ بخضوع الأطفال لوالديهم هذه الأيام أصعب كثيراً مما كان فى الأزمنة السابقة . (وقد نتساءل أيضاً ما إذا كان لشركاء الحياة إرادة حرة كذلك .. ولكن مثل هذا السؤال يمكن أن يمضى بنا شوطاً بعيداً عن موضوعنا الحالى) .

وماذا عن مطلب أن يكون الأسقف (المشرف) « حليماً غير مخاصم وغير محب للمال » (١ تى ٣ : ٣) « لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع » (٢ تى ٢ : ٢٤ ، ٢٥) « ولا غضوب .. ولا ضراب بل محباً للخير » (تى ١ : ٧ ، ٨) وهناك كثير من الخدام الذين ينجحون فى تمزيق المواقف اللاهوتية للناس ، ويكون ذلك فى الغالب إرضاءً لأنفسهم أكثر مما يكون بدافع الاهتمامات الرعوية . ويفضل غيرهم البقاء فى دائرة الضوء أكثر من كونهم خداماً متواضعين ، مهتمين ببناء جسد المسيح . فهل يتعين إقصاء هؤلاء عن الخدمة إلى أن يتم تصحيح حياتهم ؟ ربما كان ذلك

هو المطلوب ، لكن تلك المؤهلات التى تتعلق بأسلوب الحياة الحاضرة واتجاهاتها ، يصعب التأكد من توافرها ، لكن حدوث زواج سابق لا يصعب التأكد منه ، وبالتالى فأنه يسهل تجاهل المؤهلات الأولى ، والتمسك بتنفيذ حجّة تتعلق بالزواج السابق .

ثم ماذا عن القول « صالحاً للتعليم » الوارد فى الرسائل الثلاث أيضاً (١ تى ٣ : ٢ ، ٢ تى ٢ : ٢٤ ، ٢٥ ، تى ١ : ٩) الأمر الذى يتطلّب وعلى الأقل الإلمام الكامل والمعرفة التامة لأسس إيماننا - وهى الأسفار المقدسة - مع إمكانية توصيل رسالتها بأمانة . بالاضافة إلى القدرة على تصحيح الأخطاء ، على أن يكون ذلك بكل لطف وأناة كما سبق أن ذكرنا . يختلف أسلوب التعليم من طائفة إلى أخرى ، فهناك بعض الرعاة المثقفين ثقافة عالية ، ومع ذلك يقدمون أراءهم الشخصية التافهة بدلاً من شرح الأسفار المقدسة ، بينما يستطيع بعض الخدام الذين ليسوا على قدر كبير من الثقافة أن يقدموا الكلمة بأمانة .. وأنا أعتقد أن مطلب بولس الخاص بقدرة الخادم فى التعليم الصحيح ، يتعلق بصفة خاصة بالمصدر الذى يستقى منه التعليم (راجياً أن يكون الكتاب المقدس) ومدى أمانته فى إعلانه عن رسالته (١ تى ٤ : ١٣) أكثر مما يتعلق بشهرة المعلم أو ألقابه العلمية ، وسوف نكّف عن التخمين عن مدى توصل كثير من الخدام اليوم إلى هذا المستوى .

إن تساهلنا غير اللائق فى بعض الأمور ليس عذراً لنا لكى نتحلل من بعض المعايير الكتابية الصحيحة .. فإذا كان القول (بعل امرأة واحدة) هو مطلب نابع من المعايير الحضارية ، وليس متعلقاً بمواقف معينة فى أفسس فيكون علينا أن نستخدم أى معنى نفهمه له .

وعليه ، فالسؤال هو ما إذا كانت المؤهلات المذكورة هناك يمكن أن تطلق فى كل الحضارات أم أن بولس يضع هذه القائمة بالذات لمخاطبة مواقف تثور عادة فى الحضارة الخاصة بها . قد نتفق جميعاً على أن الأساليب المحددة للتعليم (وبالتالى طريقة تقييم القول « صالحاً للتعليم ») وخاصيات الاحتشام أو ضبط النفس يمكن أن تختلف من حضارة إلى أخرى إلا أن هذه المؤهلات نفسها يمكن أن توضع ضمن قوائم أية حضارة ، لكن ماذا عن بعض المؤهلات الأخرى ؟

وكرم الضيافة (إضافة الغرباء) مثال مناسب ، فالتعبير لا يعنى دعوة للغداء مرة فى الأسبوع ، بل هى تتعلق بالأكثر بفتح بيوتنا لأناس فى حاجة إلى مكان للإقامة وخاصة للغرباء ، وقد كانت هذه فضيلة يونانية لكنها امتدحت بصفة خاصة فى أيام اليهودية الأولى التى اقتبست مثال ابراهيم بصفة خاصة .

عندما كان يسافر إنسان فى الأزمنة القديمة كان من الطبيعى جداً أن يبحث عن شخص من نفس دولته أو تجارته ليزوده بما يحتاج ، فقد كانت (الحانات) تتقاضى مبالغ ضخمة ، وكثيراً ما كانت هذه المبالغ تتضاعف عند استخدامها (كمواخير) لذا كان المسافرون كثيراً ما يحملون رسائل توصية لأصدقاء لكى يستقبلوهم فى مدنهم ، وهذا كان يحدث بصفة خاصة بالنسبة للمسافرين اليهود الذين يشمئزون من الإقامة فى المواخير إذا ما وجدوا البديل المناسب ،كما كان يمكن استخدام (المجامع) والمدارس لهذا الغرض ، لكن كان من الأفضل الإقامة فى بيت ، ويبدو أنه كان من المناسب بالنسبة للمضيف أن يصر على بقاء الضيف ولا يسمح له بالانصراف إلا إذا أصر الضيف على الرحيل ، وكثيرا ما استفاد بولس نفسه من هذه العادة

فى سفرياته الخاصة .

ورغم أن فضيلة كرم الضيافة هذه تجرى ممارستها فى كل الحضارات ، فإنه من المحتمل أنها ظهرت ضمن (قائمة بولس) لتكون علامةً على احترام الحضارة اليهودية العظيم لها . وفى حضارتنا (والكاتب يتحدث عن الحضارة الغربية الحديثة) يمكن أن تعتبر هذه الفضيلة أحيانا (غير محترمة) فمثلاً لى صديق كثيراً ما يجمع عدداً من العاهرات الشابات من الشوارع ويؤويهم فى بيته ، معظمهن من أمهات شابات كن يعتقدن أن الطريقة الوحيدة لإعالة أطفالهن هى احتراف الدعارة .. وكان صديقى وزوجته يعملان عملاً حسناً بأخذهما العاهرات بينهما وإشراكهن معهما فى محبة المسيح ، وكانا يرحبان بالمزيد من المساعدة التى يقدمها مسيحيون آخرون يرغبون فى عمل نفس الشئ .

لكن معظم كنائسنا اليوم تعتبر هذا التصرف (ملوماً) حيث أنه يجعلنا عرضة لاتهامات كاذبة من غير المسيحيين المتعطشين إلى اتهامنا بأية اتهام، فرغم أن المجتمع العلمانى يمدح المسيحيين من أجل خدمتهم للمجتمع ، فإن غير المسيحيين يمكن أن يحاولوا تبرير خطاياهم بتوجيه الاتهامات الكاذبة التى يجد الخدام صعوبة فى ارتكابها (والحقيقة أن نفس هذه الاتهامات قد وجهت إلى يسوع ، الأمر الذى لم يعفه - رغم ذلك من تقديم رسالة الله لكل شخص مع تمسّكه بعدم الخطأ) ، وأنا أعطى هذا المثال لكى أوضح أن مفهوم (غير ملوم) يمكن أن يختلف من حضارة إلى أخرى ، ومن مجتمع إلى آخر (مما يزيد من صعوبة عملنا) بل بين مختلف أعضاء المجتمع الواحد .

أن أكثر المطالب المفضلة فى هذه القائمة تتعلق بممارسة الأسقف (الناظر)

للسيطرة على أطفاله ، وهذه كانت فضيلة كثيراً ما تمدح بشدة فى الأزمنة القديمة ، كثيراً ما كانت تطلب كمؤهل أساسى فيمن يحكم الآخرين ، وعادة كان الزوج هو المسئول عن سلوك أفراد عائلته بما فيهم زوجته وإن كانت هناك استثناءات ترد على هذا الرأى .. وبما أن هناك نموذجاً لإدارة بيوت القادة المسيحيين فإن الانقسام داخل الأسرة كان يمكن أن يخلق مشكلات خطيرة فيما يتعلق باحتفاظ اجتماعات الكنيسة بقوتها .

ولأن هذه كانت النظرة القياسية المحترمة ، فقد كانت هذه سمة مميزة ضرورية للمسيحيين الأول .. أن يكونوا (غير ملومين) لكن السيطرة على أهل البيت كان تنفيذها أسهل فى تلك الأزمنة مما هى عليه اليوم ، فما كان يمكن للإنسان الذى لا يكرم والديه ولا يطيعهما أن يكون محترماً فى المجتمع الرومانى ، وتمسكت اليهودية أيضاً بذلك . كما كان للوالد دور تقليدى له سلطان فى المجتمع الرومانى رغم أن قوة الحياة والموقف كانت نادراً ما تمارس مع الأمناء البالغين . أما حق الأب فى تقرير ما إذا كان الطفل يربى أو يُهمل فكان علامة على موقفه القوى فى المنزل . بل أن سلطانه الأبوى كان يمتد شرعاً ليشمل الأحفاد وأحفاد الأحفاد إذا ما عاش الجد حتى يراهم .

ورغم أن حب الأب للأطفال كان متوقعاً كقاعدة ، فإن التأديب - وكثيراً ما كان تأديباً قاسياً (يشمل الجلد) - كان يشدد عليه في تعليم الأطفال ورغم أن بولس اتخذ جانب الأقلية التى لم توافقه على القسوة فى التأديب (١ تى ٦ : ٤) إلا أن الحضارة عموماً توجهت نحو طاعة الأبناء لوالديهم وسلطة الوالدين عليهم ، أكثر مما هو الحال عندنا اليوم ، ولا شك أنه من الواجب إلا يندمج الرعاة فى خدمة كنائسهم لدرجة أن يهملوا فى تربية

أبنائهم وأسرهم . لكن لم يكن هذا ما قصده بولس فى هذه الفترة ، وإن كان هذا هو أقرب استخدام للمبدأ حسب حضارتنا .

لقد قصد بولس أن يقول أن على تيموثاوس أن يختار قادة الكنيسة الذين أثبتوا مهارتهم الإدارية فى بيوتهم كما تشهد بها طاعة أولادهم لهم ، وأنا لا أشك فى أنه كان كانت ستوجد استثناءات لهذه الشروط اذا وجُدت ظروف غير عادية .. لكن الظروف غير العادية تُفهم عادة ولا توضع فى قائمة عامة .

لماذا إذاً كان بولس مهتماً لهذه الدرجة بما يفكر فيه الناس ؟ لأنه كان يريد أن لا يقع قادة الكنيسة تحت الدينونة (٣ : ٦) أى تحت اتهامات كاذبة يمكن أن تسبب لوماً للإنجيل (٣ : ٧) وقد أدرك الكُتّاب اليونانيون والرومان الذين قضوا أزمنة طويلة فى السياسة الحاجة إلى ذلك بسبب المعارضين والأعداء : « أن تعيش فى حذر وحرص ، مبتنبهاً لنفسك ، ولا تُقدم على عمل أى شئ بإهمال أوطيش ، أن تحفظ حياتك دائماً بعيداً عن الهجوم كما لو كنت محكوماً بنظام دقيق » .

وبذلك يكون قد تم اختبار تائب جديد و تستطيع الكنيسة أن تتأكد أن هذا التائب الجديد لن يجلب على نفسه ، أو على الكنيسة أى عار أو إهانة بسبب الإهمال أو التعجرف ، لكن هذا المطلب الذى كان سارياً على مؤمنى كنيسة أفسس ، التى كانت قد تأسست منذ أكثر من ١٠ سنوات ، غير موجود فى رسالة تيطس إذ يحتمل أن تكون حديثة التكوين وأن كل أعضائها من التائبين الجدد . لذا فإن قائمة المؤهلات التى وضعها بولس يجب اتباعها فى الحالات المحددة التى واجهتها رسالته ، وبكلمات أخرى فإن بنود هذه القائمة تكونت بهذا الشكل ، لأن بولس كان يخاطب

مجتمعات بعينها لها نوع محدد من التوقّعات من قادتها .

ويمكننا اليوم أن نتعلم من كل بند من البنود التى ذكرها بولس فى قائمته . إلا أن القوائم التى نضعها لمجتمعاتنا يجب أن تكون مختلفة عن قائمة بولس وقرائه ، تماماً كما اختلفت القائمة الواردة فى تيموثاوس الأولى عن تلك الواردة فى تيطس اختلافاً بسيطاً رغم تماثل الحضارات والموضوعات المطروحة للبحث .

أما الشئ الثابت فهو أهمية كون الشخص ذا سمعة حسنة فى المجتمع ، وحتى هذا المؤهل قد لا يكون أمراً عملياً إذا كانت الكنيسة واقعة تحت ضغط الاضطهاد ، وربما تدعى المعارضة القوية ضد المسيحيين عندئذ أنه لا يوجد فى الكنيسة من له سمعة طيبة .. أما بالنسبة للكنائس المستقرة القائمة فى مجتمعات مستقرة . وخاصة حيث يمكن أن تنتشر الشائعات الكاذبة عن المسيحيين ، فإن هذا بلا شك هو جزء من شهادة الكنيسة للمجتمع الخارجى ، تماماً كما كانت محاولات المجتمع اليهودى لكسب وجذب الانتباه فى العالم اليونانى الرومانى . فعلى القادة المسيحيين أن يعيشوا (فوق مستوى الشبهات) لكن لا يجب إلقاء اللوم عليهم بسبب ظروف خارجة عن إرادتهم ، كأن يهجر أحد طرفىّ الزواج الطرف الآخر ، أو يطلّقه بلا سبب معقول ولا يجيب إلقاء اللوم - فى حضارتنا اليوم - على شخص كان قد تم طلاقه أو تزوج مرة أخرى قبل أن يرجع إلى المسيح بسنين طويلة ، إلا أنه أصبح الآن عضواً منتجاً محترماً فى المجتمع المسيحى ، ولن يقدم أحد على هذا إلا إذا كان يفسر آيات الكتاب المقدس بعيداً عن قرائنها

ما هو الموقف الذى يتكلم عنه بولس هنا ؟

إن تعبير (صادقة هى الكلمة) الوارد فى الرسائل الرعوية ، يشير إلى أهمية التقليد الكنسى ، وبالنسبة للزوج والزوجة . إذا كان الموضوع يختص بزواج ثان . الشخص مُطلّق ، فإنه يمكن للتقليد الكنسى أن يقتبس المعيار الذى وصفه يسوع والذى كانت تعرفه كنائس بولس فى (١كو ٧) لكن إذا كان هذا المرجع (بعل امرأة واحدة) فيجب علينا مرة أخرى أن نسمح بالإستثناء الموجود فى (١كو ٧) الذى ما زال فى مقدروه أن يقدم لنا (شخصاً غير ملوم) .

لكن زواج المُطلّقين مرة أخرى ليس هو الموضوع هنا فإن (١تى ٣:٢-٧) مصوغة بما يمكن أن يسمى (inclusio) وهى صيغة بلاغية تحصر بين دفتيها مادة الموضوع ، فتبدأ الفقرة بالتعليمات التى تقول إن على الأسقف أن يكون (بلا لوم) (وكذلك فى ٥ : ٧ ، ٦ : ١٤) ويختتم بالتوجيه (تكون له شهادةَ حسنة من الذين هم من خارج) مما يمكن أن يكون تأميناً من السقوط فى اللوم ، والموضوع الرئيسى هنا هو : كيف يرى الذين هم من خارج الكنيسة ؟ هذا هو نفس الدافع وراء معظم النصائح فى النص (٢ : ١ - ٧) لو أن بولس مهتم بطريقة تقديم الكنيسة نفسها لمن هم من خارج فيكون من المستحيل أن يتكلم عن الزواج الثانى لرجل مُطلّق ، لأنه ما من أحد فى الأزمنة القديمة - سواء من اليهود أو اليونانيين أو الرومان - كان يلتفت إلى زواج ثان لأحد الرجال ، وحتى إذا كانوا يمتدحون النساء اللواتى لا تتزوجن ثانية (وهذا هو الوضع دائماً) ، وأياً كان ما تعنيه النقوش الخاصة بالشريك الواحد ، فإنها تمجد النساء اللواتى يتزوجن مرة واحدة فقط ، وليس الرجال الذين يتزوجون مرة واحدة فقط .

ولنفترض جدلاً أن هذه النقوش تعنى أن النساء اللواتى يتجنّبن الزواج مرة أخرى (فاضلات) فهل تكون الإشارة فى (١ تى ٣ : ٢) إلى مستوىً أعلى من مستوى المجتمع فيطلب عدم زواج الرجال الأرامل أو المطلّقين أيضاً ؟ إذا كان الأمر كذلك كان علينا أن نتوقّع أن يقوم بولس بتوضيح ذلك بكل وضوح ولكنه بدلاً من ذلك يهتم أكثر بأن يحدد بالكلمات النصيحة العادية الخاصة بتربية الأولاد فى الخضوع .

لقد كان الطلاق المتكرر وتعدد الزوجات أو الازواج مبعث سخرية فى تلك الحضارة - بما فى ذلك التزوج بمحظية إلى جانب الزوجة والخيانة الزوجية - ولذلك فإن بولس كان سيبدو شاذاً لو أنه ابتعد عن النصائح الأخلاقية المعيارية لحضارته فى نقطة واحدة فقط ، ورفض أن يوضح فى هذه النقطة ما يعينه بوضوح كاف حتى يستطيع قراءة أن يدركوا أنه قد عنى شيئاً مختلفاً كل الاختلاف عما كانوا بالطبيعة يفترضونه وهذه هى القضية بالتحديد حيث أن تحريم الزواج مرة أخرى فى تلك الحضارة كان يمكن أن يُفهم باعتباره شذوذاً ، وكان يمكن أن يقضى بالفعل على كل محاولاته لأن يكون (بلا لوم) من الذين هم من خارج .

فما هو الامر الذى يتكلم عنه بولس فى طلبه أن يكون الأسقف (بلا لوم) أو فوق مستوى النقد ؟ إن فهمنا للمجتمع القديم يمكن أن يساعدنا مرة أخرى فى الإجابة على هذا السؤال . لقد نُسبت إلى الطوائف الشرقية - بدون وجه حق - تهمة تحطيم القيم الرومانية التقليدية .

فما جاء فى أفسس (٥ : ٢١) **"خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله"** وأفسس (٦:٩) **"وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور تاركين** التهديد " وابط (٣:١) **"كذلكن أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن"**

يمكن أن يكون المقصود المحافظة على القيم العائلية التقليدية نوعاً من الشهادة لأولئك « الذين من الخارج » .

ففيما يتعلق بالحالة المذكورة فى تيموثاوس الأولى كان بعض المؤمنين قد اخطأوا بميلهم إلى النسك (١ تى ٤ : ٣) وكان هذا حرياً بأن يجلب اللوم على المجتمع الكنسى بطريقة تماثل فى خطرها ما كان يمكن أن تجلبه الاتصالات الجنسية غير الشرعية ، فقد كان الرومان يتجنبون آية تصرفات جنسية شاذة باعتبارها سبباً فى تمزيق الأسرة ، وكان يمكن النظر إلى الامتناع عن الزواج على أنه أمر يمزق شمل الأسرة .

فإذا كان موضوع (بعل امرأة واحدة) موجهاً لمقابلة المعلمين الكذبة والحفاظ على شهادة الكنيسة ، فإن مطالبة قادة الكنيسة هنا تكون بالزواج وليس بالبقاء بدون زواج . ويحتمل أيضاً أن تيموثاوس كان أعزباً وبكلمات أخرى فإن التعليمات كانت تتعلق بالحالة الاجتماعية المشار إليها بالذات . وتيطس أيضاً يشدد على القيم العائلية ، ويرى أن التهديد بهدم الأسر هو سبب الحفاظ على هذه المستويات القيادية (تى ١ : ١ - ١١) ويكون كل ما هو مقصود من هذه الفقرة أن عائلات بأكملها كانت تقع فى الخطأ ، لكن يصعب تقرير ما إذا كان هذا الخطأ يختلف كل الاختلاف جوهرياً عن الخطأ الذى نواجهه فى (١ تى) حيث تم استخدام لغة متشابهة فى الحالتين فى وصف المناقضين ، وأقصى ما يمكن استنتاجه أن الأزمة التى كانت تواجه الكنيسة فى كريت تشبه الأزمة التى كانت فى أفسس ، والتى تم تقديم تقرير عنها فى تيموثاوس الأولى .

وإذا كان النص فى كل من تيموثاوس الأولى وتيطس جاء بالقول (رجل امرأة واحدة) كمعيار ، فإنه لا يجب أن نتحدد بالموقف فى كنيسة أفسس ،

بل علينا أن نسترجع فى المقابل ما قلناه سابقاً بأنه لو أن هذه القاعدة تمثل قاعدة عامة لكان من الطبيعى أن يكون تيموثاوس وتيطس على علم مسبق بها ، كما أن حقيقة اختلاف القائمتين عن بعضهما اختلافاً ولو يسيراً ، تشير إلى أن القائمة لم تكن معياراً ثابتاً لا يتغير فى جميع الأحوال ، فإذا كنا نصرّ على أن ما قاله بولس عن هذا الوضع يجب أن يطبق بنفس بالصيغة فى جميع الأحوال ، فإننا يجب أن نظل ملتزمين بعدم حرمان الخدام الذين سبق أن تم طلاقهم من الزواج مرة أخرى ، بل علينا أن نحثهم على تأسيس أسر بأسرع ما يمكن طالما أن (بعل امرأة واحدة) يمكن أن يعنى أن بولس كان يحث على اضطلاع رؤوس الأسر بالقيادة فى الكنيسة .

استنتاج ختامى

إن المتطلبات الواردة فى (١ تى ٣ : ٢ - ٧) وما يشابهها تخاطب موقفاً حضارياً محدداً ، وتطبيقها يجب أن يتغير من مجتمع إلى آخر ، وحتى إذا لم يكن الأمر كذلك ، فإنه من الواضح على أى حال أن عبارة (بعل امرأة واحدة) ليس المقصود به الرجال المُطَلّقين الذين تزوجوا ثانية ، حيث أن الفصول السابقة قد أظهرت أن الطلاق المبنى على أسس شرعية يحل رباط الزوجية ، فإذا تزوج الرجل مرة أخرى بعد الطلاق فهو لا يكون زوجاً لزوجين بل لزوجة واحدة وهى الزوجة الثانية والمطلوب هنا هو ضرورة أن يكون المشرفون (الخدام) متزوجين وأرباب أسر ، مما قد يوحى أن الرجال المُطَلّقين عليهم أن يتزوجوا ، وإن كان لا يجب أن نضع هذا كشرط مؤهل لكل قيادات الكنيسة فى كل الأحوال .

إن هذه الفقرة تشير بلا شك إلى أهمية الحياة الأسرية المستقرة ، خاصة

لمن يخدم فى كنيسة مكونة من عدد من الأسر ، وهى تستبعد من الخدمة (ضمنا) أولئك الذين ينظرون باستخفاف إلى الزواج ، سواء الذين يبحثون عن الطلاق أو الذين ينغمسون فى الخدمة لدرجة إهمال أسرهم ، لكن هذا كمبدأ يستبعد الراعى الذى يقضى كل وقته بعيداً عن أسرته بأسرع مما يستبعد الراعى الذى كان مطلقاً وتزوج مرّةً أخرى منذ عشر سنوات مضت مثلاً ، لكن حياته الأسرية أصبحت الآن ثابتة ومستقرة ، والخادم الذى هجرته شريكة حياته يمكن فعلاً أن يعانى من نوع الرعاية التى يصفها بولس فى تيموثاوس الأولى (تماماً كما يعانى فيها أى راعٍ أعزب) لكن إذا كان الراعى موجوداً مع رعيته لمدة سابقة ، وكان مؤهلاً فى النواحى الأخرى ، مما يحتمل أن بولس كان سيتركه يخدم هناك ، وفى النهاية فإن كلا من بولس وبرنابا وتيموثاوس كانوا جميعاً عزاباً ، رغم كون معظم الرسل متزوجين (١ كو ٩ : ٥) .

وكما لاحظنا من قبل فإنه من الضرورى أن يكون الإنسان (بلا لوم) لأجل شهادة الكنيسة فى العالم ، لكن هل سياسة رفض رسامة خدام مُطلّقين هى حقاً (بلا لوم) إذا كان هؤلاء الخدام لم يُطلّقوا لخطأ فيهم ، أو إذا كان الطلاق قد حدث قبل تجديدهم ؟ ما الذى يحدث عندما يدعونا العالم للمثول أمام المحاكمة لأن لنا مقاييس تعكس (ناموسية) الفريسيين بدلاً من الإيمان أن صليب المسيح يستطيع أن يمحو كل الخطايا الماضية ؟

وتطبيق أقوال الكتاب المقدس لا يقتصر على البحث عما قاله بولس فى موقفه بل البحث عما يمكن أن يقوله فى موقفنا نحن ، وهذه هى نقطة ضعف معظم المفسّرين المحدثين الذين اقتبسوا أقوال بولس دون الالتفات إلى الموضوعات التى كان بولس نفسه يتكلم عنها .

(٨) كلمات ختامية

لقد فحص هذا الكتاب تعاليم العهد الجديد عن الطلاق ، وبحث كيفية تطبيق هذه التعاليم فى يومنا هذا ، وتوضح أصحاحات إنجيل متّى فى هذا الموضوع أنه إذا كان يسوع لم يسمح باستثناءات للزواج الثانى بعد الطلاق صراحةً إلا أن هذه الاستثناءات جاءت ضمناً فى كلمات تلاميذه كما فهمها كُتّاب الإنجيل بالروح القدس . ويضع بولس استثناءً مشابهاً بكيفية السماح بالطلاق ، وإن كان يختلف ، إذ يضيف (الهجر) إلى الزنا كسبب لطلاق شرعى ، كما أنه يسمح أيضاً بالزواج مرّةً أخرى لأن الطلاق الشرعى يعيد الطرف البرئ ببساطة إلى (العزوبية) ومن ثم يسمح بالزواج مرة أخرى بنفس الطريقة التى يسمح بها للأعزب أن يتزوج ، وهناك مزايا لمن يبقى أعزب ، وهذه تنطبق على كل من المطلق ، والذى لم يسبق له الزواج بنفس الدرجة .

وأخيراً فقد لاحظنا أن بولس لا يستبعد المُطَلّقين الذين تزوجوا مرة أخرى من الخدمة ، وفى الموقف الذى يتكلّم عنه فإن كبار قادة الكنائس المحلية كان لابد أن يكونوا منتسبين لرؤوس عائلات محترمة ، ولهم زوجات خاضعات وأطفال تشهد حياتهم بأن الزواج هو الطريق العملى لخدمة الله ، لكن حقيقة كون بولس نفسه أعزباً يقف ضد الادعاء بأن هذه الفكرة يمكن أن تطبق على كل قادة الكنائس فى كل زمان .

لكن تبقى بضعة أسئلة عملية للدراسة ، حيث أنها لم ترد بالتحديد فى دراستنا هذه ، فرغم أن الجزء الأساسى لهذا الكتاب يركز على النصوص الكتابية ، وما قصده كاتبوها بها ، فإن أهمية علاقة هذا الكتاب ترجع إلى

أن الطلاق والزواج أصبح موضوعاً رعوياً أسياسياً ، وفى الأمثلة التالية سوف نثيرالانعكاسات الرعوية للمبادئ الواردة فى هذا الكتاب .

ماذا عن الاستثناءات الأخرى ؟

يتّفق متّى على أن خيانة شريك الحياة يمكن أن تفسخ الاتحاد الزوجى ، وهذا يوحى بأن الطلاق مسموح به فى حالة الخيانة الزوجية المستمرة دون توبة أو روجوع . لكنه لا يبرر التخلّص من زواج متعب بعد أن تم ترميم وتجديد الروابط - فالخيانة تمثل استثناء واضحاً ، وبولس يواجه موقفا محدداً فعندما يرغب الشريك غير المؤمن فى ترك الشريك المؤمن ، فإن بولس يسمح بالطلاق والزواج مرّة أخرى ، ومُجمل تعليم العهد الجديد على أية حال . هو ضرورة تجنب الطلاق بأى ثمن .

لكن ماذا يحدث إذا تم الطلاق لأسباب أخرى غيرالحالتين الاستثنائيتين السابقتين ؟ وماذا يحدث عندما يقع الطلاق قبل التجديد ؟ وماذا يحدث إذا ندم الطرف المذنب بعد أن يكون قد تم فسخ الزواج وبدأ الطرف الآخر علاقة أخرى جديدة ؟ وهل يستطيع شريك الحياة الذي لحقت به إساءة جسدية أن يطلّق إذا فشلت كل طريقة أخرى ، وهل عليه أو عليها أن يظل بعد ذلك أعزباً ؟

هذه كلها أسئلة صعبة ووثيقة الصلة بمجتمعنا ، فلقد واجهت للأسف معظم هذا المواقف ومجموعة متنوعة أخرى أثناء تجربتى المحدودة فى الرعاية ، وعلينا أن نكون مستعدين لمواجهة أمثال هذه المواقف فى حضارتنا اليوم ، مفترضين أن تعليم يسوع عن هذا الموضوع عبارة عن مبادئ عامة قُصد أن يكون لها استثناءات ، كما يوضح كل من متّى وبولس مدركين

امكانية إستخدام أسلوب مُغرق فى المبالغة ، مما يسمح ببعض الاستثناءات التى لم يكتب عنها متّى أو بولس لأنها لم تكن وثيقة الصلة بصفة خاصة بالمواقف التى واجهتها .

ففيما يتعلق بأى خطية اقترفت قبل التجديد ، يعلمنا العهد الجديد صراحة أن المؤمن الجديد بالمسيح هو خليقة جديدة ، فكل الخطايا السالفة قد مُحيت ولا تعود تُذكر بعد ، فإذا أمكن أن يغفر لشاول الطرسوسى بعد كل ما عمله ضد المسيحيين ، ويرحب به فى شركة القديسين ، فإن الطلاق الذى تم قبل التجديد يجب ألا ينظر إليه بعد كخطية للمؤمن الجديد ، لكن هذا لا يعنى بالطبع عدم القيام بمحاولات للصلح إذا كانت هذه الإمكانية مازالت قائمة ، فالزواج مقدس سواء تم عقده قبل التجديد (كما كان الحال فى زواج معظم المؤمنين فى (١ كو ٧ ، ١ بط ٣) أو بعد التجديد . لكن فى حالة استحالة المصالحة ، فإن الحياة الجديدة تؤهل المؤمن الجديد للبدء فى علاقة جديدة فى الرب بشرط أن يؤخذ فى الاعتبار أن الزواج الثانى خاضعاً بالكامل لتعاليم الرب . فإذا أسيء إلى الزوجة جسدياً أو جنسياً (أو كان الزوج يعانى من ذلك فى أحوال نادرة) من شريك الحياة ، فتكون نصيحتى الرعوية لها أن تتخلص من هذا الموقف ، فإذا كانت المصالحة وبالتالى المحافظة على الزواج مستحيلة رغم محاولة الطرف البرئ لإصلاح الأمور ، فإنى أرى أن يكون الطرف البرئ حراً فى الزواج مرة أخرى . إن العهد الجديد لم يعط استثناءً صريحاً لهذه الحالة ، وهذا ليس برهاناً على عدم وجود هذا الاستثناء ، ولست افترض عدم حدوث إساءات من شركاء الحياة فى أيام كتابة العهد الجديد ، لكنى لا أستطيع أن أذكر وجود إية إشارات لها فى الآداب القديمة ، ومن ثم فإنه من الواضح أن كتبة العهد الجديد لم يكونوا

فى حاجة مباشرة إلى الكتابة عنها .. هل نستطيع بأمانة أن نؤكد بوجود زواج شرعى عندما يعامل أحد طرفىّ الزواج كمجرد شئ أو موضوع للتنفيس عن الغضب المكبوت لدى الطرف الآخر ؟ أليست هذه خيانة زوجية بمعنى ما ؟ ثم ألا يدلنا استثناء بولس الذى وضع لمواجهة خاصة على نوع الاستثناءات التى يجب أن نضعها فى المواقف المماثلة ؟

كثيراً ما قيل للزوجات اللواتى تعانين من ضرب الأزواج ، أن بقاءهن فى وضع الإساءة هذا أشبه بموقف المسيح الذى جعله يتحمل الإثم والعار الذى كان علينا أن نتّحمله نحن أنفسنا ، كما لو كان عليهن أن تلعبن دوراً فدائياً بالنسبة لأزواجهن ، لكن رغم تعليمات بطرس للزوجات والواردة فى (١ بط ٣) التى تبدأ بمثال آلام ربنا يسوع ، إلا أنها لم تكن تتكلم عن موقف الإساءة الجسدية ، لقد كان حرياً بالعبيد ، فى أيام بطرس أن يتحملّوا مثل هذه الإساءات الجسدية لأنهم لم يكونوا يستطيعون التخلص من هذا الموقف ، لكن الزوجات اليوم يمكنهن التخلص من الموقف ، ولا أن نعتقد أن بطرس أراد من العبيد أن يتحملوا الضرب لو كان فى استطاعتهم تجنّبه . بل أن المسيحيين الأوائل فى الحقيقة ساعدوا العبيد على الخروج من موقفهم إذا استطاعوا شراء حريتهم ، عندما كان المسيحيون الأوائل يستخدمون أموالهم فى أعمال الرحمة للذين هم فى ضيقة عظيمة ، وليس فى إقامة مبانى الكنائس . لهذا كانت هناك أموال أكثر تخدم هذه الأغراض . لقد كان بولس على حق حين كان يكرز بالإنجيل فى مواجهة الاضطهاد ، كما أنه كان على حق أيضاً عندما كان يهرب من الاضطهاد حين تسنح الفرصة (مثلا اع ٩ : ٢٤ ، ٢٥ ، ١٤ : ٦ ، متّى ١٠ : ٢٣) .

وإذا احتج البعض بأن ادعاءات الإساءة يمكن أن تتخذها بعض النساء

ذريعة وهمية أو مزيفة للتخلص من الزواج فإننا يجب أن ندرك أيضاً أن معايير الكنيسة ضد الطلاق قد استخدمها بعض الأزواج كفرصة لاستمرار قمع واساءة معاملة زوجاتهم ، قد يصعب اتخاذ قرار بخصوص شرعية الطلاق وقد يصبح من الصعب اتخاذ حكم بخصوص حالة ما ، فعلينا أن نكون متواضعين بحيث نمتنع عن إصدار أى حكم .. هناك حالات أخرى يسهل اتخاذ قرار فيها لكننا لا نريد أن نورّط أنفسنا فنعطى رداً على شكل صيغة لاهوتية سابقة التجهيز فنقول (لا طلاق تحت أى ظرف من الظروف)

أعرف سيدة رفضت أن تعترف بسوء معاملة زوجها لها ، كما رفضت أن تذهب المستشفى للعلاج بعد أن ضربها زوجها ، ثم ماتت بسبب إصاباتها ، وهى قد تصرّفت فى هذه الحالة من منطلق ولائها لزوجها وليس امتثالاً لنصيحة رعوية . لكن لو أن راعياً نصحها بأن تبقى فى موقفها ، فأنا أعتقد أنه يكون شريكاً مع قاتلها فى جريمته . وأنا أعترف أن هذه لغة صارمة ، لكن كثيراً من الكنائس قد أدارت وجهها إلى الجانب الآخر أثناء انكسار الناس . وقراءتى للكتاب المقدس تدعونى للنطق بهذه الكلمات الصعبة ، فهى تدعونا للكف عن غض النظر عن الناس ، وتدعونا إلى التحرّك لتجاوز الصيغ سابقة التجهيز ، والتعامل مع حياة الناس الذين مات عنهم المسيح .

كنت فيما مضى أنصح الناس أن يتعايشوا معاً أو أترك القرار للشخص الذى طلب المشورة ، ولم أكن أنصح قط بالطلاق ، لكننى عندما أستعيد الماضى الآن وأفكر فى تلك المناسبات القليلة التى علمت فيها ، أو شككت فى إساءة جسدية مثل الزنا ، أو أن والداً كان يعطى أبناءه المخدرات ، أقول

لنفسى أنه كان ينبغى علىّ أن أوصي - ولو بتفرقة مؤقتة - ورغم أننى لازلت أصر على أننا يجب أن نعمل ما فى وسعنا للإبقاء على الزواج ، إلى أن يصبح واضحاً أن أحد الشركاء مصرٌ على فسخه ، فهناك ظروف تكون فيها التفرقة بل والطلاق أمراً ضرورياً .. أما ساكنى الأبراج العاجية من اللاهوتيين الذين يقضون أوقاتهم فى تمحيص قواعد اللغة لنصوص العهد الجديد ، دون اعتبار للمواقف التى نواجهها ، أو المواقف التى يتعين على الرعاة مواجهتها يومياً ، فيفعلون حسناً لو أنهم أولوا اهتمامهم إلى نصوص مثل هذه : -

« فلو علمتم ما هو: أنى أريد رحمة لا ذبيحة ، لما حكمتم على الأبرياء » (متى ١٢ : ٧) .

« من أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر » (متى ١٨ : ٦) .

« فإنهم (الكتبة والفريسيون) يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم » (متّى ٢٣ : ٤) .

إن القساوسة (رعاة) دعوا لأن يعيشوا وسط رعيتهم ليعزوهم ويضمدوا لهم جراحاتهم ، بل أننا جميعاً كأعضاء فى الجسد مدعوون للبحث عن الضال أو المجروح (متّى ١٨ : ١٠ - ١٤) وكلنا مدعون لنعتنى ببعضنا البعض تماماً كما نعتنى بأنفسنا (متى ٢٢ : ٣٧ - ٣٩) لا بل لأن نحب بعضنا كما أحبنا المسيح ، وذلك بأن نخدم بعضنا بعضاً ولو إلى الموت (يو ١٣ : ٣٤ ، ٣٥) إن الطلاق خطأ لأنه ينتهك عهداً بالحب الأبدى تم قطعه أمام الله لشخص آخر خلق على صورة الله .. والحكم بإدانة

الطرف البرئ فى الطلاق (إن وجد) هو حكم خاطئ لأنه يحتقر ويزدرى صلاح المسيح من ناحية ، ومن ناحية أخرى يظلم شخصاً اختبر مرارة الإحساس بالنبذ ، كما أن رفض الجانب المذنب فى الطلاق - بعد أن يكون قد تاب أمر خاطئ لأنه يعتبر انكاراً للصفح الوحيد الذى يستطيع كل منا أن يحصل عليه من الله (متّى ٦ : ١٤ ، ١٥ ، ١٨ : ٢١ - ٣٥ ، كو ٣ : ١٣ ... إلخ).

بالطبع لا يوجد فى كل حالة طلاق طرف برئ ، فغالباً ما يكون فى إمكان الطرف البرئ عمل الكثير للمحافظة على الزواج ، وأحياناً ما تكون الاستثناءات مجرد أعذار إذ يحث أحد الشركاء الشريك الآخر على ارتكاب الزنا حتى يستطيع الطرف الأول أن يجد مبرراً للانفلات (وقد حدث ذلك فعلاً) وعدم الصفح ورفض قبول توبة الطرف الآخر ، أو التمسك بحدوث اعتداء جسدى حدث فى لحظة غضب واعتباره إساءة جسدية .. وأين نستطيع أن نضع الحدود ؟ بينما يستمر اعتبار الإذلال اليومى وأعمال القمع واللعن إساءات جسدية لا تستوجب الطلاق ، فى حين أنها فى الحقيقة إساءات من أقسى نوع ... لكن ماذا عن المناقشات التى يندمج فيها معظم الأزواج ؟ وماذا عن عدم الإحساس بالاحتياجات المعبر عنها أو غير المعبر عنها ؟ والاختلافات حول استخدام المال ؟ أو الخلاف حول من له حق قيادة الاسرة ؟ ويمكن أن تصبح الإساءات النفسية جملة مطّاطة تسمح بالطلاق لأى سبب تقريباً كما فعلت مدرسة هلليل ... هل يستطيع رجل تطليق زوجته لأى سبب ؟ هل هناك حدود نهائية نتوقّف عندها ؟

إن تعليم يسوع حول الموضوع تم وضعه بصيغة مغرقة فى المبالغة لسبب ما ، لذلك يمكن أن تكون هناك استثناءات لكن وجهة نظر يسوع هى ألا

نتجرأ أو نبحث عن الاستثناءات ، التى هى الملجأ الأخير الذى نلجأ إليه عندما يفشل كل شئ آخر (ان الزواج الصعب ليس مبرراً للتحرر .. حقاً لقد كانت الزيجات فى أيام يسوع يتم ترتيبها بواسطة الوالدين ، وبعضها كان يبدأ وهو يحمل فى ثناياه ما فى صالحه أكثر من غيره) لكن يسوع طلب من تابعيه أن يجعلوا زيجاتهم تستمر بقدر استطاعتهم ، وبنفس الطريقة اليوم ستظل هناك دائماً زيجات أكثر أو أقل راحة من زيجاتنا نحن ، علينا أن نعمل على نجاح الزواج بقدر استطاعتنا .

إن دعوة ملكوته هى لأن نكون خداماً ، وأن نضع جانباً رغباتنا ، ونطلب المصالحة والشفاء فى زيجاتنا بدلاً من التمسك (بكراهيتنا المكبوتة) . إن يسوع يطلب منا أن نكفل لزيجاتنا النجاح ، ولا أحد يعلم تماماً ما فى قلوبنا إلا الله ، لكن ذلك المعيار الداخلى هو الذى سنحاسب على أساسه ، وحتى لو عرف العالم كله أننا عملنا أقصى ما فى وسعنا ، فى حين أننا إن لم نفعل ذلك فإن الله يعلم الحقيقة ، واتباع تعليم الملكوت يعنى عدم الاحتفاظ بأى غضب أو شهوة فى قلوبنا . ويعنى عدم التطلع إلى طرق للتخلص من عهود زواجنا .. قد يزداد ضغط العبارة الاستثنائية علينا فى حضارتنا المعاصرة ، لكن يجب ألا ننسى أنها دائماً استثناءات نلجأ إليها بعد أن يفشل كل شئ آخر ، وقد يأتى الاستثناء أن عاجلاً أو آجلاً ، وذلك يتوقف على كيفية فرض تحطيم الزواج على الشريك المخلص ، لكن المدى نفسه يعتمد علينا ، فيجب علينا أن نعمل أفضل ما نستطيع لنجعل زيجاتنا حية وقوية .

أن رسالة يسوع واضحة لكل واحد : فبالنسبة للذين يفكّرون فى الطلاق يقول : (لا تفعلوا) ، ولأولئك الذين يعزمون الإدانة دون علم بالظروف

يقول أيضاً نفس الشئ (لا تفعلوا) - ولأولئك القريبين من طلاق مسيحى يُتوقع حدوثه يقول : قدّموا أنفسكم كوكلاء متواضعين للمصالحة والشفاء .. ولأولئك الذين ندموا وطلبوا إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها والتعويض (طالما كان ذلك ممكنا) عن اختيار خاطئ يقول : ثقوا فى غفرانه ، وللذين فرض عليهم فسخ الزواج (دون طلبهم أو رغبتهم) يقول : لتشفيكم نعمة الرب وقفوا بجانب حريتكم التى اخذتموها من المسيح التى ليس لأحد سلطان أن يأخذها منكم ، وسواء دُعيت للعزوبية أو للزواج بعد الطلاق فلتجعل .. حياتك حياة الصلاة التى تخدم كل المؤمنين الذين أنت على علاقة بهم ، دون أن تحتفظ بأية مرارة فى قلبك ، سواء ضد شريكك السابق أو ضد الكنيسة التى كثيراً ما يكون الخوف من الألم البشرى هو السبب فى حجب رغبتها فى شفائك .

استنتاج ختامى

هل الله ضد الطلاق ؟ يجب أن يكون جوابنا المدوى عن هذا السؤال : نعم ، لكن نعم هذه يجب أن تؤهل أو تُعّدل إذا كان الشريك الآخر هو الذى حطم الزواج . أن الكتاب المقدس يسمح بالتأكيد بتوثيق تحطيم الزواج رسمياً إذا كان الشريك الآخر قد حطّمه فعلاً ، ويصير الطلاق رسمياً بالذات لكى يسمح للطرف البرئ (إن وجد) أن يتزوج مرةً أخرى حسب رأفة الله عن طريق جسد المسيح ، وبعد أن يعمل الزمن على شفائهم ، وليس مسموحاً لنا أن نفكّر فى المطلقين كفئة دون أن نفرّق بين البرئ والمذنب منهم أو أن نخلط الأوراق معاً دون تمييز ، فالبرئ يجب أن يعامل معاملة العزّاب الآخرين ، أو معاملة الأزواج إذا كان قد تزوج مرة أخرى . والمذنب

يجب أن نساعده أولاً على التوبة ، ثم نبحث عن المصالحة إذا كانت لا تزال ممكنة .

لقد أصبح الطلاق شائعاً الآن فى المجتمع الغربى وهذه مأساة ، والكنيسة على حق فى اتخاذ موقف ضده ، لكن لم يعد ممكنا التضحية بالمسيحيين المُطَلّقين فى سبيل (المعايير) . فلم يكن الطلاق عملاً صائباً قط بالطبع لكنه أصبح الآن حجر عثرة للمزيد والمزيد من الناس ، فإلى متى ستستطيع الكنائس المحافظة الاستمرار فى تبشير الجموع فى مجتمعنا الذين تم طلاقهم بينما هى تحرم عليهم الحصول على وظائف فى الكنيسة ، بل وكثيراً ما تطلب منهم أن يظلوا عزاباً ؟ أن معظم الكنائس رغم موقفها من الطلاق والزواج مكتفية بألا تواجه إلا القليل جداً من ألم الطلاق المضنى والمشاكل التى تواجه الأطفال الذين يتربّون فى بيوت ينقصها أحد الوالدين ، وحاجة الطرف البرئ للثقة ، وحاجة الطرف المذنب إلى التصحيح والعودة إلى العلاقات الصحيحة مع الله ومع شعبه . إن الأسفار المقدسة تعطينا بعض المؤشّرات حول كيفية جعل تعاليمهما عملية قابلة للتطبيق فى حضارتنا ، تماماً كما كانت عندما كتبها كاتبوها ، فهل لنا الشجاعة لأن نطيع إرشاداتها ؟؟

ويتزوج بأخرى : ملحق (ا)
أقوال مختلفة عن الطلاق

هناك أكثر من مكان فى الأناجيل كما لابد أن يكون متوقّعاً يتحدث فيه يسوع عن موضوع الطلاق . ومما يعقّد الأمور وجود أربعة أناجيل وبعضها يسجل نفس المناقشات والكلمات عن يسوع بطرق يظهر فيها اختلافات بسيطة ، وهذا بالطبع لا يستدعى الشك فى انضباط الأناجيل . فى أيام يسوع كان الأمر طبيعياً للغاية بالنسبة للكتّاب الأكثر انضباطاً أن يضعوا الأقوال بكلماتهم الخاصة ، ويعيدوا ترتيب نظام مصادرهم ، مع إضافة أو حذف تفاصيل من مصادر أخرى ، وحيث أن أناجيلنا تعتمد على التقليد الشفهى ، فضلاً عن المصادر المكتوبة فيكون من الطبيعى أن يحتوى كل منها على بعض التفاصيل المختلفة . لكن التقارير المختلفة التى تتناول كيفية قول يسوع لأشياء بعينها هى التى تضع المشكلة أمام القارئ الذى يريد أن يعرف بالضبط ما قاله يسوع فى موضوع ما .. ففى إحدى القصص التى وردت فى إنجيل مرقس ومتّى يناقش يسوع الأسس الخاصة بالطلاق مع رجال الدين فى أيامه .. وفى مكان آخر ، فى لوقا ومتّى يحظر يسوع الطلاق تماماً مستخدماً هذا الحظر كمثال ليوضح أنه جاء ليكمل الناموس ويثبتّه ، ومن المحتمل تماماً أن يسوع قام بالتعليم عن الطلاق فى الحالتين ، لذا فإن الفكرة التى تقول أن يسوع أعطى تعليمه فى موقفين مختلفين ليست مشيرة للمشاكل ، وبالتأكيد فإنم متّى لم ير فيها أى مشكلة طالما أنه يقدم تقريراً عن الوضع الخاص بكل قول . والأمر المحير حقا

هو أنه فى كلا الفقرتين فى إنجيل متى ، يصرح يسوع بالطلاق على أسس معينة بينما لا توجد فى أقوال إنجيل مرقس ولوقا آية استثناءات مذكورة صراحة . والسؤال الذى يثيره هذا الوضع هو ما إذا كان يسوع قد سمح فعلاً باستثناءات أم لا ؟

وهناك ثلاث طرق ممكنة للرد على هذا التساؤل :

الأولى : وهى أقلها احتمالاً هى أن إنجيلاً واحداً أو اثنين قد فهما القول بطريقة خاطئة ، وهذا الاقتراح بعيد الاحتمال بسبب تقارب روايات الأناجيل فى التفاصيل الأخرى وتطابقها التام فى النقاط الأخرى ، مما يشير إلى عدم احتمال وجود سهو من جانب كتّاب الأناجيل .

والاقتراح الثانى : هو أن استثناء (متّى) ليس استثناءً على الإطلاق ولذا لم يكن مستحق أن يذكره فى إنجيل مرقس أو لوقا .. ووجهة النظر هذه يقول بها عدد من المفسّرين المحافظين اليوم ، لكن هذا الموقف لا يكفى لتفسير لماذا اختار متّى أن يضمن مثل هذا الاستثناء البسيط . أما الاحتمال الأخير ، وهو الذى نستحسنه فى كتابنا هذا فهو أن متّى كان يترجم القول كما هو وارد فى مرقس ولوقا أى أنه يوضّح معناه بالنسبة للظروف الجديدة ، وكل إنجيل من الأناجيل يصور يسوع بلغته وأسلوبه المنفرد . والحصيلة النهائية لكل منها هى ما نقبله نحن المؤمنين باعتباره موحى به ، ومن ثم فهو التصوير الموثوق به ليسوع . لهذا السبب فقد كتبت بحرية عن أقوال يسوع فى (متّى) رغم أن (متّى) حرّر ورتّب الكثير من أقوال يسوع فى شكلها الحالى .. وهذا ما يستطيع أن يطلّع عليه كل من يدرس الأناجيل مجتمعة .. ونظراً لأن المناقشات الدراسية الفنية حول انتقال التقاليد والمعتقدات من حين إلى آخر أمر غير مناسب للقرّاء المقصودين بهذا

الكتاب فأنا لا أستخدمها فى هذا الكتاب .

. ولأننا نؤمن أن كل روايات الإنجيل موحى بها ، فإن الصلة المضبوطة بينها وبين بعضها ، وتاريخ وكيفية وصولها إلى شكلها النهائى لايمثل أهمية كبيرةً بالنسبة لأغراضنا الحالية بنفس القدر الذى تشكّله أهمية معناها كما هى مكتوبة فى شكلها الحالى ، ولأن (متّى) يعطى قرينة أكمل لهذه الأقوال فقد ركزنا انتباهنا على فقراته وعلّقنا باختصار على الاختلافات بين ما جاء في إنجيل متى وما جاء فى الأناجيل الأخرى .

ملحق (ب) شريعة يسوع
فى الموعظة على الجبل

يأتى تحريم يسوع للطلاق والزواج مرة أخرى فى (متّى ٥ : ٣١ - ٣٢ ولوقا ١٦ : ١٦ - ١٨) من منطلق تأكيده على أن ناموس الرب خالد ، وأن يسوع قد جاء لكى يؤكد على معانيه الحقيقية ، وليس لكى يعرّضها للتشويه .. وكلا القولين يتم فى قرينة أوسع تدل على النقطة التى يود كل كاتب أن يشدّد عليها ، فمن جهة يشدد لوقا على مطالب الملكوت بخصوص مقتنيات التلاميذ (١٦ : ٩ - ١٥ ، ١٩ - ٢٥)فى حين يشدد متّى من جهة أخرى على أن الملكوت يصل إلى أعمق من ممارسات الناموس الطقسية التى كانت تمارس فى التقليد اليهودى (متى ٥ : ١٧ - ٢٠) ولأن قرينة (متّى) أكمل وتحتوى على عبارة الاستثناء ، فقد ركّزنا على ترجمة أقواله فى هذا الكتاب .

وباتباع (متّى) للنظام القياسى المحلى من حيث طلب الكثير من كُتّاب السير القدامى فهو يضّمن معظم كلمات يسوع عن الناموس فى هذا القسم عن أخلاقيات الملكوت فى الأصحاحات (٥ - ٧) من إنجيله . وقد جمع المسيحيون الأوائل من منطلق اهتمامهم الشديد بكل ما قاله يسوع كل تعاليمه ، وقام متّى بترتبها حسب الموضوعات ، وفى هذه الأصحاحات يقدّم متّى تقريره عما علّمه يسوع عن ناموس موسى .

ترجمات ناموس متّى

هناك أراء مختلفة حول المعنى الدقيق فى(متى ٥ : ٢١ - ٤٨). تقول إحدى الترجمات التقليدية أن يسوع هنا يعترض على الناموس ، وكما يقول (رودولف بولتمان) ، أن يسوع يعارض ترجمة الكتبة للناموس « محطماً بذلك السلطان الرسمى للأسفار المقدسة تماماً » وموقف (بولتمان) مثير للمشاكل حيث أن جماعات كثيرة من اليهود سبق أن عارضت ترجمة الكتبة للناموس دون أن يقوضّوا السلطان الرسمى للناموس ، وربما لم تكن ترجمة بولتمان ببساطة هى أكثر الطرق الطبيعية لترجمة النص بالنسبة لقارئ يهودى قديم - فضلاً عن أن قراءته ليست أكثر القراءات طبيعية للنص بالنسبة لنا اليوم ، فمعظم تلاميذى يتمسكون بالقراءة الأولى للنص كما أنه واضح كما سنوضح فيما بعد أنه فى (٥ : ٢١ - ٤٨) أن يسوع إنما كان يقوّى السياج حول الناموس ولا يهجره .

ويدرك كثيراً من الباحثين اليوم أن يسوع لم يكن يعارض كتابات موسى بل بالحرى كان يعتبرها (كلمة الله) ، ومع ذلك تظل هناك بعض الاختلافات فى الرأى بين هؤلاء الباحثين ، فبعضهم يقترح أن يسوع كان يتطرّف فى فهمه للناموس ويجعله أكثر صرامة كما يقول (ايسينز Essenes) ويقول أخرون بأنه كان فقط يدافع بحرارة أكثر - ملاحظاً ما كان مكتوباً فعلاً - ويعتقد كثير من الباحثين أنه كان يعارض ترجمة الفريسيين للناموس ، الأمر الذى يعتبرونه مجرد لفت النظر إلى حرفية الناموس .. بينما يشير غيرهم إلى تشابهات بين آراء يسوع وآراء الربيين القدماء .

ومع كثرة الاختلافات فى الرأى حول كيفية قراءة قرائن تعاليم يسوع هنا

فإنه يكون من الضرورى لنا أن نختبر النص بتفصيل أكبر ، وبفهم صيغ الكلام الذى يستخدمه يسوع فى هذه الفقرة ، وبذلك تساعدنا هذه الفقرة على إصغاء أفضل للنص بالطريقة التى سمعها بها سامعوه الأصليون .

متّى ٥ : ١٧ - ٢٠ ليس ضد الناموس

لا يحتاج المرء لأن يقرأ طويلاً فى متّى ٥ لكى يتحقّق من أن يسوع لم يكن ضد الناموس ، فإن هذا معلن وواضح فى الآيات (٥ : ١٧ - ٢٠) إن يسوع لم يأت لينقض الناموس بل ليكمله (عدد ٧) فهو فى الحقيقة غير راض عن آراء الفريسيين غير المقنع من جهة الناموس (عدد ٢٠) ويشدد متّى على أن يسوع لا يفسّر الناموس بطريقة تؤدى إلى إضعاف مكانته بل بدلاً من ذلك هو يفسّره بطريقة تدعم معناه الصحيح ، وهو معنى يناقض أحياناً التفسير الفريسى السائد لهذه الفقرة .

وواضح أن يسوع كان موافقاً على استمرار سريان الناموس فى هذه الفقرة ، فهو يعلن فى الآية (٤٨) أنه « إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس » قارن (٢٤ : ٣٥) وكان يمكن أن يفهم معظم القرّاء اليهود أن صيغة الحديث هذه تعنى أن الناموس سيظل قائماً إلى الأبد إشارةً إلى خلود العهد ، ويسوع كان يفهم التأكيد أن الناموس أبدىّ وأن عقوباته سيتم تنفيذها فى يوم الدينونة (٥ : ١٩ ، ٢٠) الحق أنه كان يعنى هذا ، فهو يقول فى عدد ١٨ لا حرف أو نقطة من الناموس ستزول ، وهذه الآية لا تعنى طبعاً أن الله قد استخدم حبراً غير قابل للإزالة فى كتابة الكتاب المقدس .. بل هى تعنى فقط أنه حتى أقل الأجزاء من (كلمة الله) هى صحيحة وخالدة وسارية إلى الأبد .. وقد

تكلم المعلمون اليهود (الربيون) كثيراً فيما بعد بنفس الطريقة عن أهمية أقل العناصر وأتفهها ، وتحدثوا عن كيف يمكن أن يباد ألف ملك مثل سليمان ولا يتم إلغاء حرف واحد من الكتاب المقدس ، وأن حرف الياء الذى حُذف من اسم ساراى فى سفر التكوين ، ظل يصرخ إلى الربّ من جيل إلى جيل طالباً التصحيح إلى أن تم إعادته إلى الكتاب المقدس عندما تم ايصال الحرف باسم يسوع ، ورغم أنه لا توجد طريقة لمعرفة الوقت الذى ترجع إليه هذه القصص اليهودية .. إلا أنها على الأقل توضح النقطة التى لا شك أن قرّاء يسوع قد فهموها وهى أنه يؤكد صدق أصغر التفاصيل فى (كلمة الله).

وفى ٥ : ١٩ يعلن يسوع قائلاً : -

« فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات » .

وهذه بالطبع طريقة قوية للقول بأنه يجب على المرء أن يحافظ على الوصايا .. والفقرة لا تجيب على أسئلة من تلك التى يحتمل أن نسألها اليوم مثل « ماذا يحدث إذا نقضنا وصية واحدة وحفظنا الأخرى » ؟ أو « كم منّا يمكن أن يكون الأعظم إذا حفظنا كلنا الوصايا كلها ؟ .. » إن أسئلة أمثال هذه تخطئ الهدف ، فإن هذا النوع من الكلام عن الأعظم والأصغر كان فى أيام يسوع نوعاً من الحديث الذى يستخدمه معلمو اليهود الذين كثيراً ما أحبوا وضع حججهم فى شكل تعبيرات ذات معالم متطرفة ، ويمكن أن نأخذ مثالاً على ذلك التمجيد المنسوب إلى أحد معلمى اليهود (الربيين) من أواخر القرن الميلادى حيث قال .

« لو أن كل حكماء اسرائيل وضعوا فى كفة ميزان ، ووضع اليعازر بن هيركانوس فى الكفة الأخرى لرجحت كفته عنهم جميعاً ، لكن (اباسول) اقتبس قول نفس الربى « لو أن حكماء اسرائيل جميعاً ومعهم اليعازر بن هيركانوس وُضعوا فى كفة ميزان ، ووضع الربى اليعازر بن اراخ فى الكفة الأخرى لرجحت كفته عنهم جميعاً » .

وواضح أنه ما كان فى مقدرور (اليعازر بن هيركانوس) و (اليعازر بن اراخ) معاً أن يكونا أثقل وزناً من جميع الربيين الآخرين ، وإلا كان على كل منهما أن يزيد ثقلاً عن الآخر لكن الحساب الدقيق لمن منهما أثقل من الآخر فى الملكوت لم يكن موضوع اهتمام معلمهما ، وكان كل ما يهمه ببساطة هو أن يختار المناسبات المختلفة لكى يتملقهما معاً بتعبيرات مغالى فيها . كما أن نفس هذه اللغة المتطرّفة كانت تستخدم فى الأمور المتعلقة مباشرة بالناموس ، فأى جزء من الناموس يمكن أن يمثل الناموس كله سواء كان هذا الجزء وصية صغيرة أو كبيرة ، وفيما يتعلق بالوصية الكبيرة قال حكماء اليهود أن أى من يعترف بالزنا فإنه ينكر الناموس كله ، وأى من ينكر الزنا فإنه يعترف بالناموس كله ، وكان يمكنهم أن يتناقشوا بنفس الطريقة فيما يتعلق بالوصايا الأصغر .

« أى من يقبل الواجبات الدينية بما فيها الأحمال العادلة يقّر بالخروج من مصر ، وأى من ينكر الواجبات الدينية بما فيها الأحمال العادلة ينكر الخروج من مصر » .

وبهذا المعنى كماقال الربى « أن أى واجب دينى مألوف يجب أن يكون ثميناً فى عينيك مثله مثل الواجب الرئيسى ، فلقد حملت الوصايا الصغيرة معها مواعيد بمكافآت أو عقوبات كبيرة« إذا مارس رجل وصية واحدة

فسوف تكون في صالحه ، وسينال طول العمر ، ويرث الأرض ولكنه إذا أهمل وصية واحدة فستكون لضرره ولن تطول أيامه ولن يرث الأرض »

وبكلمات أخرى كما يقول يعقوب في رسالته في العهد الجديد « لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل »

(يع ٢ : ١٠) وعندما يدين يسوع كسر أصغر الوصايا ، فهو يدافع عن فكرة كان حرياً بمعظم سامعيه أن يفهموها .. وبالوصول إلى القرن الثالث الميلادي استطاع الربيون أن يقروا أي الوصايا هي الأخف وأيها الأثقل ، فقيل أن الأخف هي « إذا وجدت عشاً فيه فرخ أو بيض والام حاضنة .. فلا تأخذ الأم مع الأولاد » (تث ٢٢ : ٧) والوصية الأثقل هي « أكرم أباك وأمك » (خروج ٢٠ : ١٢) وقد تلقت كلتا الوصيتين مكافأة واحدة وهي المكافأة بالحياة ، والتي ترجمها الربي إلى حياة أبدية وهكذا جادلوا بأن مكافأة حفظ حتى أصغر الوصايا هي (الحياة الأبدية) وعقوبة كسر أصغر الوصايا هي (الدينونة) ، وبذلك يكون معلمو اليهود قد أكدوا أن من ينفذ أصغر الوصايا كان يعتبر كأنه حفظ الناموس بالكامل . ومن يشتبه في أنه قد انتهك أصغر الوصايا يمكن أن يشتبه أيضاً في انتهاكه كل الوصايا الأخرى ، بل أن اليهودي كان لا يمكن أن يصير فريسياً ولا الأممي أن يهتدي إلى اليهودية إذا لم تكن لديه الرغبة في حفظ ولو قانون واحد غير معروف وكما عبّر عن ذلك أحد المعلمين فقال : «أن الرفض المتعمد لأية وصية كان طبقاً للتعليم الربي معادلاً لرفض الإله الذي أعطى هذه الوصية»

لا يتعلق الموضوع بمجرد كسر الوصية فإن الربيين اعترفوا بأن كل إنسان يكسر بعض الوصايا لبعض الأحيان ، كنه يتعلّق بتفضيل وصية ورفض الأخرى « أنا أحب الوصايا الفلانية أما الوصايا الأخرى فلا تستحق أن

أنتبه إليها » فإنكار الإنسان لمسئوليته عن عمل كل ما يوصى به الله مهما بدا تافهاً ، معناه إنكار سيادة الله والتمرد على شريعته ، كلها ، ومثل هذا الإنسان كان يستحق الدينونة فى نظر الربيين .

وليس معنى هذا أن اشتهاء سيارة جارك له نفس التأثير على جارك مثل قتله .. ولا أن نساوى بين قيمة الشريعة الطقسية والقانون الأخلاقى ، طالما أن يسوع نفسه قد ميز بين الأخف والأثقل من أمور الناموس ، (متّى ٢٣ : ٢٣) بل هو يعنى بدلاً من ذلك أننا لا نستطيع أن ننقى ونختار تعاليم الله التى سوف نطيعها ، بل يجب علينا أن نطيع كل ما يقوله ، والاستخفاف بأى قول يقوله الله معناه إنكار حقه فى أن يسود على حياتنا لكن بينما كان يمكن أن يتفق معظم معلمى اليهود مع ما كان يقوله يسوع حتى فى هذه النقطة ، لكن يسوع يقول لهم أن قلوبهم لم تكن متوافقة مع أقواله . وفى (متّى ٥ : ٢٠) يتحدّى يسوع الفريسيين الذين كانوا يمثلون فى أيامه الحركة الدينية التى تلقى الاحترام فى فلسطين والذين توصل خلفاءهم فى أيام متّى إلى مكانة أعلى كثيراً فى فلسطين اليهودية ، وقد استشهد بالفريسيين والناموسيين لالتصاقهم التام بالناموس لكن يسوع يجادل هنا بالقول أن التصاقهم بالناموس لا يكفى .. ولقد شدد أتقياء اليهودعلى النيّة القلبية الخالصة أكثر من الطقوس الخارجية ، لكن هذا بالتأكيد لم يكن يترجم دائماً إلى ممارسات كما هو الحال فى أيامنا هذه. وفى بقية أصحاح (٥) يمضى يسوع فى المطالبة بصلاح أعمق مما يجده فى أكثر أفراد الشعب تديناً فى يومه . ويمكننا تسمية معيار الصلاح الذى يطلبه : الشريعة القلب ومفتاح فهمنا لتفسير الناموس هو تقييم الإنسان لقريبه كما يقيّم نفسه (٧ : ١٢ ، ٢٢ : ٣٨) وقد كان هذا المبدأ مقبولاً

فعلاً فى اليهودية ، لكن يسوع يضع هذه الوصية داخل إطار تفسيرى جديد هو (الرحمة) (٩ : ١٣ ، ١٢ : ٧ ، ٢٣ : ٢٣) فى قرينة إرساليته (٢٨ : ١٩) ومجمعه (ص ١٨) .

التناقضات الستّة « سمعتم أنه قيل » :

يقول يسوع فى الموعظة على الجبل (سمعتم أنه قيل. أما أنا فأقول) ست مرات ، وقدفهمت هذه العبارة من جهة على أنها تعنى أن يسوع كان يشككهم فيما سمعوه ، وهو يقتبس فى معظم الأحيان آيات من العهد القديم لذلك فإن هذه الاقتباسات تسمى (التناقضات) ومن ثم يمكن أن نفهمها بالشكل التالى : إن ما جاء أولاً (ا) خطأ وما جاء بعد ذلك (ب) هو الصحيح كما لو كانت هناك تناقضات فعلاً ..

ومن جهة أخرى يمكن تقسيم هذه الأقوال على أنها تعنى « أن الأمر ليس فقط كما جاء فى (ا) بل أن الأقوال (ب) صحيحة كذلك . فإذا كان المعنى أن ا ، ب كلاهما صحيحين ، فإن يسوع لا يكون مصححاً للعهد القديم بل شارحاً له ، إنه يطلب تفسيراً للكتاب المقدس بأسلوب يصل لأبعد من مجرد تفسير يصل إلى الموضوع الموحى به فى النص ، ولا يتوقف عند الموضوع الحضارى المعّين الذى يواجهه النص ، وعلينا أن نقرر المبدأ الأرفع من الحضارة الوارد فى النص .

والرجوع إلى المعطيات السابقة أعلاه (فى ٥ : ١٧ - ٢٠) يكون الاحتمال الأرجح أن يسوع يفسر ناموس موسى ولا يفنّده ، وهو يضع تفسيره الخاص مقابل التفسير السطحى المجرد للناموس ، وبذلك يقف يسوع موقفاً صحيحاً داخل التقليد اليهودى ، وهو فى هذه الحالة لا يطالب

بتفنيد الناموس بل بالحرى تفسير الناموس كما يجب على أى معلم صالح أن يعمل . . .

وأولئك الذين يعتقدون أن يسوع كان يعارض ناموس العهد القديم ، كثيراً ما يدّعون أنه يناقض الناموس فى هذه الأصحاحات ، ومثالاً لذلك قوله أن الطلاق لم يعد مسموحاً به بعد ، رغم أن موسى كان قد سمح به، لكن هذا القول ناتج عن قراءة حديثة تماماً للنص ، وتكشف عن سوء فهم لكيفية فهم قرّاء القرن الأول لكلمات يسوع ، لأن التشدّد فى فهم الناموس لا يعنى أننا ضده فالتدقيق فى فهم الناموس كان يضع سوراً قوياً حول الناموس ليحفظ الإنسان من كسر مفهومه ، ولذلك فإن تحقيق مقاصد الناموس كانت تستدعى فى بعض الأحيان تجاهل بعض مسلّماته الواضحة .

ولم يكتف معلمو اليهود بأن يجعلوا الناموس أكثر صرامة بل أنهم أحياناً كانوا يجعلونه أكثر تساهلاً لكى يتكيف مع الظروف الجديدة حتى يمكن تحقيق مقصده ، وقد حدث هذا مثلاً عندما تم تغيير تفسير قانون (السبت) بحيث يسمح بالحرب الدفاعية يوم السبت ، وكذلك عندما أوجدوا طريقاً يلتف حول موضوع الإعفاء من الديون بحيث يستطيع الفقراء أن يقترضوا من الدائنين الذين كانوا يخشون من فقد أموالهم .. ولذلك فإن ممارسة بعض أجزاء الناموس يمكن أن تعلّق مؤقتاً بواسطة الأنبياء أو الحكماء ، وعندما يكون ذلك ضرورياً للبقاء على قيد الحياة .. وقد كانت كلتا المدرستين الرئيسيتين فى الفكر الفريسى متساهلتين فى بعض النقاط ومتشددتين فى نقاط أخرى ، لكن طالما اتبع المعلم أى مدرسة منهما (ولم يختر ببساطة أن يتبع الطريقة المتساهلة لأيهما طول الوقت) كان تعليمه مقبولاً لدى الربيين اللاحقين له . واللغة التى يستخدمها يسوع فى هذه

الفقرة « سمعتم أنه قيل . أما أنا فأقول لكم » ما كانت لتعطى أى شخص دلالة على أنه يقتبس الناموس لكى يفنّده ، بل إنه بالنسبة لأى قارئ يهودى قديم ما كانت لتعنى شيئاً أكثر من أن يسوع كان يفسّر الشرائع الكتابية التى يعرفها الناس فعلاً .. والكلمة اليونانية المترجمة (أما) فى القول « أما أنا فأقول » هى كلمة ضعيفة بعض الشئ حيث تترجم فى أماكن أخرى أحياناً بالقول (وأنا) بدلاً من (أما أنا) ، وهناك معنى أقوى للكلمة لو أن (متّى) أراد أن يؤكد أن يسوع كان غير متّفق مع ما سمعه جمهوره ، وكان يمكن أن تفهم عبارة سمعتم أنه قيل ، عند الاقتباس من الكتاب المقدس على أنها صيغة مهذّبة للقول (قال الله لكم فى الكتاب المقدس) فلو أن هذا ما كان يسوع يقصده فيمكننا أن نتأكد أنه كان يتّفق مع ما كان يطلبه (الله الآب) .

كما كان معلمون يهود آخرون يردّدون كثيراً كلمات مثل « يمكن لأحدنا (أنا أو أنت) أن يسمع » أى أن يفسّر فقرة بطريقة معينة ، ثم يمضى فيقدم تفسيراً مختلفاً أكمل وأشمل .. وكان يمكن لأحد المعلمين أن يتحدّى تفسير معلم آخر ويقول (أنت تقول كذا وكذا ولكن كيف تعلم أنك على صواب » كما كان يمكن لمعلم آخر أن يقول على سبيل المثال « أنا أقول » أو « أنا استشهد بالحالة الفلانية » دون أن يدّعى تفنيد أقوال من سبقوه وليس هناك بالضرورة شئ غير عادى فى القول « سمعتم أنه قيل .. أما أنا فأقول لكم » فقد كان لمعلمين آخرين أن يقولوه بنفس البساطة التى قالها بها يسوع ، أما الباحثون الذين لم يلحظوا ذلك فيصرّون على أن كلمات يسوع هى فعلاً ضد الناموس ، وأنها ما كان يمكن أن تقال قبل ذلك ببضعة شهور ببساطة ، وهناك عالم معاصر عظيم درس أقوال الربيين اليهود

والقدماء ويدعى (سولومون شيشتر Solomon Schechter) قد أشار إلى الأقوال المشابهة عام ١٩٠٠ .

وليس معنى هذا بالطبع القول أن اقتران كل المعالم الخاصة بهذا الحديث ما كان يمكن أن ينتج عنه صورة مؤثرة عن السلطان ، لقد كان يسوع يقول بوضوح بأن عنده التفسير الصحيح للناموس ، وأنه لم يكن يستشهد بأى سلطات أخرى لكى يثبت موقفه ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل سامعيه يقولون عنه أنه كان يعلمهم كمن له سلطان ليس كالكتبة (متى٧:٢٨ ، ٢٩) كما جاء فى ختام الموعظة على الجبل (متى ٧: ٢١ ـ ٢٧) ولكن هذا لا يعنى أن يسوع كان يضع سلطانه الخاص فى مواجهة سلطان الأسفار المقدسة.

لقد حدث مرة أن تناقشت مع أحد العلماء الذى كان يجادل بالقول أن يسوع كان يأخذ موقفاً ضد العهد القديم ، وهو فى هذا كان يتبع موقف (بولتمان) وقد اعتبر أن التفسير الذى قمت به هو محاولة أصولية لانقاذ العهد القديم . لكنى ناقشته (وأعتقد أننى نجحت فى إقناعه حيث أنه فى النهاية سلّم بهذه النقطة) فى أن قرّاء (متّى) ما كان يمكن أن يعتقدوا أن يسوع كان يعارض الناموس على الإطلاق ، بل أنهم كانوا يرون أنه كان يفسّر مطالب الناموس على مستوى القلب والدوافع والنيات .

وقد فحصنا فى هذا الملحق طبيعة أقوال يسوع عن الناموس فى الموعظة على الجبل ، ونحن هنا أيضاً إذ نفهم الطرق المحددة التى عبّر بها الشعب عن التعليم فى أيام يسوع فإن ذلك يساعدنا على فهم أوضح لما عناه يسوع وقصده .

لنتزوج ثانية

دراسة فاحصة متأنية تجمع كل النصوص الكتابية التى تناولت موضوع الطلاق والزواج مرة أخرى سواء فى الأناجيل أو الرسائل وتهدف هذه الدراسة إلى الوصول للمعانى الحقيقية التى قصدها كُتّاب الأناجيل والرسائل وبالتالى الوصول إلى المعانى الحقيقية التى قصدها المسيح فيما يتعلق باستقرار الأسرة المسيحية والأخطار التى تهددها





١.١.٣٧.٦